

الأمم زِيد

العطاء العلمي والتحرك جهادي

مجموعة مختارة من الكتابات وأوراق الندوات



م محفوظات
جميع محققون

الطبعة الأولى

٢٠١٩م / ١٤٤١هـ

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com



www.yemenscholars.com

رابطة علماء اليمن

<http://www.facebook.com/scholarsYemen>

info@yemenscholars.com

الموقع الإلكتروني:

Facebook

البريد الإلكتروني:

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تقدم رابطة علماء اليمن للشعب اليمني وللأمة الإسلامية هذه المادة المتواضعة والقيمة بعنوان: (الإمام زيد العطاء الفكري والتحرك الجهادي) وقد تضمنت سلسلة من الأبحاث والكتابات النفيسة تتكلم عن إمام من أئمة المسلمين وإمام من أئمة أهل البيت الصادقين، الثائرين، السابقين بالخيرات والقائمين بالقسط وأحد قرناء القرآن بل حليفه وورثته الذين قال تعالى عنهم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذُنَ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] وقال الإمام علي في شأن أئمة الدين: «وَأَيْنَمَا الْأئِمَّةُ قُومًا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَعَرْفَاؤِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخَلَّكُمْ لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ لَا تَقْنَى غَرَائِبُهُ».

لقد تبوء الإمام زيد عليه السلام المكانة الرفيعة واستحق مقام الإمامة العظيم لأنه تحمل مسؤولية التغيير ومواجهة الانحراف والتحريف وسياسة التضليل والتدجين المتراكمة وصدع بكلمة الحق أمام سلاطين الجور وعلماء السوء وسعى لإصلاح الأمة على خطى جده الإمام الحسين

الذي قال عند خروجه على يزيد الطاغية: وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) وعلى ذات الدرب والمسار تحرك الإمام زيد قائلاً في آخر لحظات حياته بعد أن جسد أخلاق الأئمة قولاً وعملاً وتجسدت فيه الإمامة ظاهراً وباطناً ولحق بركب العظماء ولحقت روحه الطاهرة بقافلة شهداء كربلاء وصفين والجمل والنهروان وتبوك والخندق وخيبر وأحد وبدر فقال عليه السلام: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرنى أني لقيت محمداً عليه السلام ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام أن أجبت لي نار ثم قذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرنى أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد عليه السلام ونحن بنوه يا معاشر الفقهاء ويا أهل الحجى، أنا حجة الله عليكم هذي يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله ونقسم فيكم بينكم بالسوية فسلوني عن معالم دينكم فإن لم أنبئكم عما سألتم فولوا من شئتم من علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين وعلم جدي الحسين وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله عليه السلام وعيبيته علمه، وأني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي ولا انتهكت محرماً لله عز وجل منذ عرفت أن الله يؤاخذني عليه.

مع الأسف لم يُعط الإمام زيد حقه من الاهتمام ولم يتعامل مع

عطاءه الفكري وتحركه الجهادي التعامل المنصف المجرد من الهوى والميولات المذهبية الضيقة بل حشر في زوايا وموروثات ومصطلحات ومفاهيم لا تتسجم مع مقامه العلمي والجهادي ولا تعبر عن سيرته ومسيرته التصحيحية والإصلاحية في الأمة فذلك المذهب - المحسوب على الشيعة - بناء على قواله الثقافية وروايته التاريخية الضعيفة والموضوعة وبيئته المغالية والمتعصبة يقول: ليس زيد إماماً، بل ويتجرأ على عتابه والاستنكار عليه قائلاً: لماذا خرج من الذي أذن له؟ والبعض أدرك عوار هذا المنطق وأحرجه هذا الموروث المتعصب فأراد أن يجمل العبارة وينمق القناعة ويزين الموروث الضحل فيما يتعلق بإمامة الإمام زيد بقول ظاهره الإنصاف والصدق لكن باطنه الإجحاف والتزوير حيث اعتبر أن تحرك وثورة الإمام زيد تحركاً مأذوناً من قبل المعصوم وزعم كذلك بأن التحرك والثورة وبيع الأنفس والأموال من قبل الإمام زيد إنما كان ثأراً للحسين ومصابه في كربلاء وطلباً للرضا من آل محمد وكأن الإمام زيداً عليه السلام إنما ثار انتقاماً وانفعالا وبدافع ثأري ويكفي دحضا لهذا الزعم وردا لمثل هذه التخريصات والتأويلات الفاسدة ما قاله الإمام زيد نفسه حين قال لأتباعه والثائرين معه: لا تقولوا: خرجنا غضباً لكم، ولكن قولوا: خرجنا غضباً لله ودينه"، طالبا منهم أن يجاهدوا بنية صادقة ملؤها اليقين قائلاً أيضاً: "عباد الله! لا تقاتلوا عدوكم على الشك ففضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة.. البصيرة ثم القتال، فإن الله

يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضالتها كمن قتل نفساً بغير حق. عباد الله البصيرة .. البصيرة " فلم تكن ثورته تأرية أو انتقامية بل كانت ثورة قرآنية قام بها كتكليف إلهي وديني غضباً لله تعالى.

وفي المقابل نجد مذهباً آخر - محسوباً على من يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة - لا يقل خطورة ولا إساءة للإمام زيد وعطاءه الفكري وتحركه الجهادي عن سبق ذكرهم فنجد أصحاب هذا الموروث المذهبي المتعصب أيضاً والمتظاهر بالمحبة والاحترام للإمام الحسين والإمام زيد سيرة وفكراً، فقها وثورة لكنه سرعان ما يتنكر للإمام الحسين والإمام زيد وثورتها المباركة وعطاءهما الفكري والثوري العظيم والمشرق الذي استندت إليه ثورات الربيع العربي ففتنخروا كلماتهم ويظهرون عوار وضحالة معتقدتهم عندما نسمع ونقرأ آراءهم المشوهة والمخطئة لثورة الإمامين ويقومون بنسف ونسخ ذلك الفضل والحق الذي شهدوا به للإمام الحسين والإمام زيد فمثلاً يقول الذهبي عن الإمام زيد عليه السلام: خرج متأولاً، وقتل شهيداً وليته لم يخرج. وقول الذهبي هذا الذي أصبح ساري المفعول منذ أن قاله إلى يومنا وأصبح عمدة في المناهج الأموية الوهابية واتخذته الكثير من علماء السوء مبرراً وجعلوه دليلاً على حرمة الخروج على الطغاة الجائرين حتى لا تعرف الأمة والأجيال مدى الانحراف والتحريف الذي حصل في عصر بني أمية الذين (اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً) كما هو الحال والواقع

السياسي اليوم مع بني سعود قرن الشيطان والفساد والإفساد والضلال والتضليل وأمراء الإمارات الذين هم صورة مصغرة عن الانحراف الأموي وامتداد له حتى ساعتنا هذه إن نظامي نجد والإمارات أشد خطرا وأعظم جرما وأكبر جريمة مما كان عليه بنو أمية لأنهم لا يهيؤون الساحة الإسلامية لنفوذهم وملكهم بل لهيمنة ونفوذ اليهود والنصارى وليت الذهبي سمع ووعى قول الإمام زيد عليه السلام:

حَكْمُ الْكِتَابِ وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ فَرَضًا جِهَادَ الْجَائِرِ الْخَوَّانِ
فَالْمُسْرِعُونَ إِلَى فَرَائِضِ رَبِّهِمْ بَرًّا مِنَ الْآثَامِ وَالْعُدْوَانِ
وَالْكَافِرُونَ بِفِرْضِهِ وَبِحُكْمِهِ كَالسَّاجِدُونَ لِصُورَةِ الْأَوْثَانِ
كَيْفَ النَّجَاةُ لِأُمَّةٍ قَدْ بَدَّلَتْ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانَ

ولذا كان لزاما علينا أن نقف عند هذا الإمام العظيم لنعطيه بعضا من حقه ونقوم ببعض من حقوقه علينا كحاملين لهويته ومهتمين بفكره ومنتمين إليه وسائرين على نهجه الجهادي مقابل ما قدمه للأمة الإسلامية من فكر لا تزيده مرور الأيام إلا لمعانا وجمالا واحتراما ومرجعية ثورية للأحرار التواقين للخلاص من الطغاة والمستكبرين الجدد فما قام به الإمام زيد من ثورة فكرية وجهادية وما مثله من قيم ومبادئ ومؤهلات جعلته الإمام في زمنه وإلى اليوم كإمام يقتدى به ويسار على نهجه الوضاء وفكره الخالد.

فكان لا بد من عرض هذه الصفحات وإخراج هذا الإصدار النفيس إلى النور ليكون مدخلا للوعي إلى ما مثله الإمام زيد وأحياءه وقام به فقد مثل خيرية الأمة أمام شرارها وإمامة الحق أمام الملك الباطل والعضوض وأحيا في أمة جده المصطفى الثوابت القرآنية والدينية التالية:-

• أحيا الإمام زيد عليه السلام خيرية الأمة بعد أن ماتت ومثلها التمثيل القرآني قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

• أقام الشهادة على الناس في عصره ومثل قيم الدين ومبادئه المثلى والحقيقة أمام الزيف الأموي والانتماء الشكلي للإسلام قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

• مثل الرسالة الربانية بأجل وأبهى وأصدق صورها ومصاديقها وسعى لتكوين الأمة الربانية المتصلة بالله تعالى وهكذا هو مشروع الصادقين والثائرين من آل محمد قرناء القرآن قال تعالى: ﴿مَا كَانَ

لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٧٩، ٨٠﴾.

• أحياء في الأمة المفهوم الإسلامي والحقيقي لمبدأ الإمامة ووظيفة السلطة ، الإمامة التي لا يتصف بها ولا يكون أهلها إلا من أقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقوم بها ومن خلالها كل فرائض الدين قال رسول الله ﷺ : «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله» وقال الإمام زيد عن هذه الفريضة العظيمة والأساسية والجوهرية وهو يحتاج ويخاطب علماء السوء الذين خذلوه وخذلو الحق وضيعوا هذه الفريضة وأماتوها فبين معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. فبدأ بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بفضيلة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر عنده، وبمنزلة القائمين بذلك من عباده.

ولعمري لقد استفتح الآية في نعت المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالى في الآخرين: ﴿وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]. فلعمري لقد استفتح الآية في ذمهم بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، فاعتبروا عباد الله وانتفعوا، واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هيئتها وشديديها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، وردّ الظالم، وقِسْمَةِ الْفِيءِ والغنائم على منازلها، وأخذ الصّدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصِلَةِ الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ

هذا هو الإمام زيد إمام الإئمة ومحيي الدين والأمة ومخرجها من الظلم والظلمات ومنتقذها من البدع والانحرافات والخرافات قال رسول الله ﷺ: «إن عند كل بدعة يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين».

وها هو الإسلام يكاد به من جديد ويتعرض للتشويه والتحريف من قبل الأنظمة ولا سيما أنظمة الخليج أنظمة البترودولا التي استطاعت بمالها الوفير واقتصادها الكبير وثرواتها الطائلة أن تشتري الذمم والولاءات وأن تقدم الخدمات الخيانية لأمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا وأن تجعل من الأمة الإسلامية أمة القرآن أمة مأمورة لا أمرة وتابعة لا متبوعة ومتفرقة لا متوحدة ومسلوبة الإرادة والقرار والهوية

بسبب فساد حكامها وانحراف وتحريف علماء السوء الذين يتكلمون بما يريد حكام الجور أن يتكلموا به ويختارون من الآيات والأحاديث النبوية ما يريد الحكام أن يختاروه ويرتضوه ولو كان الإمام زيد عليه السلام حاضرا بيننا اليوم وهو يشاهد ما نشاهده من منكرات وانحرافات وظلم ومظالم واستكبار لجدد خطابه وبعث برسائته الخالدة لكل عالم وخطيب ومرشد وداعية قائلاً: فوالذي نفس (زيد بن علي) بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لَنَضْعَضَعَ بُيُوتَ الْجَبَّارِينَ، وَلنَهْدِمَ أَسَاسَ الظَّالِمِينَ، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وأدهنتم في دينه، وفارقتم كتابه.

هذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزينتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء محوتم كتاب الله محوًّا، وضربتم وجه الدين ضرباً، فندَّ والله نديد البعير الشارد، هرباً منكم، فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحق من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، ورفعت رؤوسهم فوق الأُسنة، وصفدوا في الحديد، وخلص إليهم النذل، واستشعروا الكرب وتسرّبوا الأحران، يتنفسون الصعداء، ويتشاكون الجهد؛ فهذا ما قدمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فالله المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين.

إن ذكرى ثورة واستشهاد الإمام زيد عليه السلام محطة سنوية وتاريخية لشحن الهمم، وتقوية العزم وتصحيح المسار ووضع الأولويات أمام التحديات الكبرى والمخاطر العظمى.

تمثل ثورة الإمام وتجربته التاريخية فرصة عظيمة للتوعية والوعي الثوري الذي يواجه الفساد الداخلي ويوقف المفسدين عند حدهم وهي فرصة للتعبئة الجهادية أمام حقد وحسد وكيد اليهود والنصارى وحلفاءهم من المنافقين الذين يسارعون فيهم لإطفاء نور الله وتدجين واستعباد عباد الله واتخاذ دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا من جديد.

ستجد أخي القارئ في صفحات هذا الكتاب وأسطره الأبحاث والكتابات القيمة والمفيدة التي تبرز شخصية الإمام زيد وتظهر مكانته المرموقة والمتميزة بعيدا عن التعصب وستعرف الدور التغييري والتنويري والفكري لهذا الإمام العظيم وستتشبع بالكثير من المعاني والقيم الجهادية التي سعى ولا زال يسعى أعلام أهل البيت لتعزيزها وإحياءها في الأمة وما نسمعه اليوم من محاضرات ونشاهده على الفضائيات من كلمات الوعي الثوري وخطابات التنوير من قبل قيادة الثورة إلا خير شاهد على حضور ثورة الإمام زيد ومن قبله الإمام الحسين اللذان ثارا على الظلم والفساد ولم يداهنا أو يجاملا على حساب الدين ومصصلحة المستضعفين وحقوقهم فقد كانا أقرب ما يكونا من همومهم وآمالهم وآلامهم وأوجاعهم وجوعهم وكان

خطابهما الثوري بمثابة عقد اجتماعي لإحقاق الحق وإزهاق الباطل وهذا ما يجب أن يكون عليه الثوار اليوم فيما يتعلق بخطاب القيادة إلا يتعامل معه كخطاب إعلامي أو طرح وعظي بل نريد أن نرى الترجمة الحقيقية والتطبيق العملي في الواقع كل في مسؤوليته ووظيفته.

نريد أن نرى الإمام زيدا مشورعا حيا وحاضرا على مستوى الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي وإلا يكون هذا الإمام وكل أئمة أهل البيت مجرد عنوانا نتغنى به أو شخصيات نتفاخر بها وننتمي إليها في المناسبات وكفى.

مشروع أهل البيت مشروع متكامل وواقعي وليس مجرد نظريات لا تقبل التطبيق أو رؤى لا تقبل الممارسة ولذا فإن أماننا فرصة تاريخية للتغيير وإعادة الأمل للمستضعفين وبناء الدولة العادلة في اليمن الحبيب وفق الأسس الصحيحة والآليات السليمة التي طبقها النبي وأهل البيت عليهم السلام ولا سيما بعد ثورة الـ ٢١ من سبتمبر المباركة التي كانت ولا زالت أملا ومشروعا لإعادة اليمن إلى الصدارة بعد استلاب هويته من قبل حكام نجد وسفراء الدول العشر وبتواطئ من قبل الأنظمة والتيارات السياسية والدينية التي صنعتها الأيدي الصهيونية وأدارتها المخابرات الماسونية.

هاهو الإمام زيد اليوم بيننا فكراً وممارسة نظرية وتطبيقاً قولاً وعملاً أخلاقاً وقيماً ومبادئ.

فهل ستكون عند مستوى الانتماء إليه كإمام يقتدى به وعند مستوى الاحتمال بسيرته كسيرة يسار بها وعند مواقفه الخالدة والإحياء لثورته التغييرية كمحطة للتغيير والرقي وفرض الإرادة الثورية العادلة؟ أم أنا سنبقى حبيسي النظريات والتنظير وأسيري المناسبات ومقتصرين على الإحياء الشكلي؟

إن مناسبة المولد النبوي الشريف ، وذكرى الهجرة النبوية المباركة ، وذكرى كربلاء ، وذكرى ثورة الإمام زيد وذكرى يوم الولاية لهي من أهم المناسبات والذكريات والمحطات التاريخية التي يجب أن تعزز الأمل في إقامة الحق والعدل وإقامة الدين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

نأمل أن تجد سيرة الإمام وثورته وفكره وفقهه الاهتمام والدراسة من قبل الجامعات اليمينية وأن ينصف كغيره من الأئمة وتدرس سيرته ومواقفه الدراسة التحليلية والموضوعية البعيدة عن الأهواء والعصبيات المذهبية والسياسية والحزبية

والله من وراء القصد

حليف القرآن وثورة المبادئ والقيم^(١)

أ. طه الحاضري

المحور الأول الشخصية القرآنية

الحديث عن شخصية الإمام زيد عليه السلام وفضله لا يتجه إلى سرد الأحاديث النبوية الشريفة فيه - وهي في حد ذاتها فضل عظيم - ولا إلى التربية التي نشأ عليها في بيت والده زين العابدين عليه السلام - وهو فضل لا يستطيع أن ينكره أحد - ولا إلى انتسابه إلى أهل البيت عليهم السلام - وهو شرف كبير - وإنما يتجه إلى ارتباطه العملي الوثيق بالقرآن الكريم، وإلى النتيجة العظيمة لهذا الارتباط في واقعه وفي واقع الأمة.

فالارتباط العملي بالقرآن الكريم فضل ليس فوقه فضل، ومن هذا المنطلق كان فضل أهل البيت عليهم السلام هو ارتباطهم بالقرآن الكريم، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض).

(١) ورقة مقدمة في ندوة أقامتها رابطة علماء اليمن بعنوان (حاجة الأمة إلى ثورة وفكر الإمام زيد

عليه السلام) ٢٢ محرم ١٤٣٩ هـ.

وشخصية الإمام زيد عليه السلام كانت في عصره أهم شخصية من بين أهل البيت عليهم السلام عموماً معنية بحديث الثقلين، فقد كانت شخصيته بحق شخصية قرآنية حتى لقب بحليف القرآن، وهذه شهادة لها مدلولاتها العظيمة.

فمنذ ولادته عليه السلام كان له ارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية حيث وردت الأحاديث الشريفة عنه وعن ثورته واستشهاده، والتي منها أنه عليه السلام نظر يوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: (المقتول في الله، المصلوب من أمتي، المظلوم من أهل بيتي سمي هذا)، وأشار إلى زيد بن حارثة .. ثم قال: (أدن مني يا زيد زادك الله حباً عندي، فإنك سمي الحبيب من ولدي) وكانت هذه الأخبار النبوية متداولة بين أهل البيت عليهم السلام وحين وُلد الإمام زيد عليه السلام أخذ أبوه زين العابدين عليه السلام المصحف الشريف، واستفتحه ونظر إلى أول آية في الصفحة التي فتحها فكانت: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فأطبقه ثم فتحه فكانت أول آية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾، فأطبق المصحف، وفتحه مرة ثالثة فكانت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾، فأطبق المصحف، وضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون، عزيت في ولدي هذا، إنه زيد أما والله ما أجد من ولد الحسين في يوم القيامة أعظم منه وسيلة، ولا أصحاباً أثر عند الله من أصحابه).

حليف القرآن

تربى الإمام زيد عليه السلام على القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وتلقى تربية قرآنية على يد أبيه زين العابدين وأخيه الباقر عليهما السلام، ومن نتائج هذه التربية الحسنة أن عكف عليه السلام على قراءة القرآن واختلى به يتدبره حتى تشربت به روحه كما تحدث عن نفسه بقوله: (خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت في طلب الرزق رخصة وما وجدت من فضل الله إلا العبادة والفقه).

وكان إذا قرأ القرآن يبكي من خشية الله تعالى حتى يظن من عنده أنه سيموت، وكان إذا ذكر الله أو سمع شيئاً من ذكر الله أغمي عليه حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا، وكان إذا سمع آيات الترغيب والترهيب ماد كما تميد الشجرة في اليوم العاصف ولهذا عُرِف بين الناس بحليف القرآن، فكان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿تَقشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

شهادات بفضل الإمام زيد عليه السلام وعلاقته بالقرآن

توالت شهادات أكابر العلماء من أهل البيت عليهم السلام ومن غيرهم ممن عاصره بأنه عليه السلام كان وحيد عصره في علاقته بالقرآن، وكان الأفضل

بلا استثناء من أهل البيت على وجه الخصوص ومن علماء وفضلاء الأمة على وجه العموم في عصره، فهذا الإمام جعفر الصادق وهو ابن أخيه يشهد بذلك بقوله: (كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهننا في دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله). ويقول أيضاً لمن سأله عن البيعة لعمه الإمام زيد عليه السلام: (نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا)، وكان الإمام جعفر عليه السلام يوقره ويحترمه كثيراً ويُعظّمه فيمسك له الركاب ويسوي له الثياب على السرج.

وشهد بذلك أيضاً سلمة بن كهيل بقوله: (ما رأيت أنطق لكتاب الله من الإمام أبي الحسين) وشهد كذلك سفيان الثوري بقوله: (قام مقام الحسين، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله) وشهد الأعمش بفضله على سائر أهل البيت بقوله: (ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد بن علي، ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع) ويشهد بذلك أيضاً خالد بن صفوان وهو من مشاهير العرب وفصحائهم وخطبائهم بقوله: (انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي) وقد شهد كذلك أبو حنيفة النعمان بفضله على سائر الأمة في عصره بقوله: (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمنه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين).

الإمام زيد عليه السلام ومرجعية القرآن

لم تكن علاقة الإمام زيد عليه السلام بالقرآن نظرية بل كانت علاقة عملية شاملة، فكان القرآن الكريم هو مرجعيته ومحور حركته وجوهر أفكاره، وكان دائماً يستقي منه الهدى ويتحرك في أوساط الأمة متسلحاً به، ينشر الوعي والفكر القرآني الصافي والنقي والثقافة الإسلامية الأصيلة، ويدحض كل الثقافات المغلوطة والأفكار المنحرفة من خلاله مستشهداً بآياته.

فقد دحض كل مزاعم الأمويين الذين تملّكوا الحكم في الأمة الإسلامية بالحديد والنار والمكر والتدليس والترغيب والترهيب، وارتكبوا جرائم فضيعةً ومجازرَ وحشيةً بحق أهل البيت عليهم السلام وبحق الأمة بشكل عام، فننّد كل الأفكار التي اختلقوها من أجل توطيد حكمهم اللاشعري وتعميده بصيغة دينية، وحاولوا عبرها طلاءه بشرعية إسلامية، فجمعوا حولهم كثيراً من علماء السوء وأجزلوا لهم العطايا واختلقوا كثيراً من الأفكار التي نسبوها إلى الإسلام، والتي بمجملها تدعوا إلى الرضا بهم وبظلمهم وإجرامهم وإلى طاعتهم وحرمة الثورة عليهم، والتي عمدوا إلى تعميمها رسمياً وفرضوها كمنهج حكومي.

فننّد عقيدة الجبر وقام بحملة توعوية فأفحم علماء السوء الذين كانوا يُروّجون لها، وحرّر كثيراً من الناس من رقِّ هذه العقيدة، والتي كان النظام الأموي الغاشم قد أشاعها بين الناس حتى يتقبلوا ظلمهم واستبذادهم وفسادهم.

كما فنّد عقيدة الإرجاء عقيدة أن الإيمان قول بلا عمل والتي هدفوا من خلالها إلى تبرير فسقهم ومجونهم وانحلالهم الأخلاقي، واستشهد بالقرآن الذي تعج آياته باقتران الإيمان بالعمل.

كما فنّد عقيدة طاعة ولي الأمر الظالم وإن أخذ مالك وقصم ظهرك، والتي هدفت إلى إعطاءهم حصانة من المساءلة الشعبية والثورية، ودعا إلى التغيير والإصلاح والثورة انطلاقاً من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يفوح به القرآن الكريم، يقول: **عَلَيْكُمْ**: (واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هيئتها وشديدها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، وردّ الظالم، وقسمه الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

كما فنّد فكرة أن الكثرة هم أهل الحق وأن القلة هم أهل البدع والباطل والتي كانت تهدف إلى شرعنة وجودهم في السلطة، وذلك في مناظرة شهيرة بينه وبين علماء البلاط الأموي الذين انتخبوا أكثرهم علماً وأجلهم قدراً عندهم لعرض هذه الفكرة فردّ عليه الإمام زيد **عَلَيْكُمْ** ردّاً مضحماً من القرآن الكريم فقال: أما بعد فإن أناساً من هذه الأمة يتكلمون في الجماعة ويزعمون أنهم أهل الكثرة، وأنهم حجة الله على أهل القلة من الناس، وأن القليلين من هذه الأمة هم أهل البدع

والضلالة، وإنا سمعنا الله تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وعلا نوره وظهرت حجته، قال - فيما نزل من وحيه الناطق الصادق على محمد عبده ورسوله ﷺ، يخبر الأمم الماضية مثل: أمة نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد ﷺ، وهم أولوا العزم من الرسل، وغير أهل الكُتُب - إن أهل الحق والجماعة وأتباع الرسل أهل القلة، وإن أهل البدع والضلالة هم الأكثرون، وإنا سمعنا الله جل اسمه يثني على أهل القلة ويمدحهم، ويذم أهل الكثرة وَيَجْهَلُهُمْ وَيُسَفِّهُهُمْ ويكذبهم ويضلّهم، وينهى عباده الصالحين عن اتباعهم والافتداء بهم والأخذ بمقالهم. ثم ذكر الآيات التي في القرآن الكريم التي تثبت ذلك.

فأحجم عالم أهل الشام وسكت الشاميون فلم يجيبوا لا بقليل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده، فلما خرجوا قالوا لكبيرهم: فعل الله بك وفعل، عزرتنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها فخرست فلم تنطق! قال: ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجني بكتاب الله؟ فلم أستطع أن أكذب كتاب الله.

دعوته ﷺ إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم

وكان ﷺ يدعو إلى جعل القرآن الحَكَم في الاختلاف والتنازع، وكان يدعو العلماء على وجه الخصوص إلى القبول والرضا والتسليم به، وأبدى استعدادة للنقاش حول القضايا التي هي محل خلاف والاحتكام إلى القرآن سواء كانت النتيجة له أو عليه يقول ﷺ: (فאלله الله عباد

اللَّهُ أَجِيبُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسَارِعُوا إِلَيْهِ، وَاتَّخِذُوهُ حَكَمًا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ، وَعَدَلًا فِيمَا فِيهِ اخْتَلَفْنَا، وَإِمَامًا فِيمَا فِيهِ تَنَازَعْنَا، فَإِنَّا بِهِ رَاضُونَ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهُونَ، وَلَمَّا فِيهِ مُسْلِمُونَ لَنَا وَعَلِينَا).

وكان يحض ويحث على جعل القرآن مرجعية شاملة للأمة كلها، ويؤكد على اتباعه فيما يحب الناس ويكرهون، وعلى اتهام كل رأي وعقيدة تتعارض مع القرآن، ويوضح الطريقة الصحيحة للتعامل الإيجابي معه فيقول: (أوصيكم أن تتخذوا كتاب الله قائداً وإماماً، وأن تكونوا له تبعاً فيما أحببتم وكرهتكم، وأن تتَّهَمُوا أنفسكم ورأيكم فيما لا يوافق القرآن، فإن القرآن شفاءٌ لمن استشفى به، ونورٌ لمن اهتدى به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به رَشَدًا، ومن حكم به عدلًا، ومن خالص به فَلَاحٌ، ومن خالفه كَفَرَ، فيه نَبَأٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ، وخَبْرٌ مَّعَادِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى أَمْرِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَمَشْتَبِهَاتِ الْأُمُورِ وَبِدْعِهَا، فَإِن كَلَّ بَدْعَةَ ضَلَالَةٍ).

وفيما يتعلق باختلاف الناس في السنة النبوية أوضح كيفية كشف الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، وذلك بقاعدة العرض على القرآن يقول ﷺ: (ما ذهب نبي قط من بين أمته إلا وقد أثبت الله حججه عليهم، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحدِّث الذي كان من بعده، وإنه يكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وقد قال رسول الله ﷺ: «أعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله، وأنا بريء منه».

المحور الثاني

الإمام زيد (ع) ومكف الداء والدواء في إصلاح الأمة

لقد درس الإمام زيد عليه السلام أوضاع الأمة وشخص الفئة التي لها تأثير كبير في أوساطها فكرياً وثقافياً وحتى سياسياً، وكانت هذه الفئة هي العلماء، يقول عليه السلام: (إنما تصلح الأمور على أيدي العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور في أيديهم، لم يستطيعوا إلا بالجهل والسّفه إقامتها، فحينئذ تَصْرُخُ الموارِيث، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون.) وقد ركز عليه السلام على العلماء لما لهم من أثر كبير في الناس سلباً وإيجاباً، وحيث أن الطغاة يستعملون علماء السوء كأداة فعّالة للتبليس على الناس ولتزييف الحقائق وقلب المفاهيم، ولما لسكوت العلماء من رضى ضمنى يفهمه العامة من الناس، فقد أولى عليه السلام اهتماماً كبيراً بالعلماء وحملهم المسؤولية وخصّهم برسالة عظيمة وجليلة وضّح فيها دورهم الإيجابي حينما يتحركون في خط الإسلام، ودورهم السلبي حينما يدورون في فلك الظالمين، وأكد فيها على ضرورة أن يمتلكوا الوعي السياسي والحس الثوري والروح الجهادية.

ولذلك لا عجب أن يكون أبرز العلماء العاملين والفقهاء الفضلاء أبرز مؤيدي الإمام زيد عليه السلام في ثورته، كالإمام جعفر الذي قال: (هو والله

أفضلنا وسيدنا وخيرنا) وكالإمام أبي حنيفة النعمان الذي قال: (لقد ضاهى خروجه خروج رسول الله ﷺ يوم بدر) والذي قال حين أتته رُسُل الإمام زيد عليه السلام: (هو والله صاحب الحق، وهو أعلم من نعرف في هذا الزمان، فاقرئنا مني السلام، وأخبرنا أن مرضاً يمنعني من الخروج معه، وأرسل بثلاثين ألف درهم لإعانتته على الثورة، وقال: لئن سُفيت لأُخرجن معه).

مكانة العلماء مرتبطة بهداية الناس إلى النجاة

يقول الإمام زيد عليه السلام في رسالته إلى العلماء وهو يوضح مكانتهم وارتباطها بدورهم: (وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدعوة والنُحفة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبيين، وآثاركم متبعة، وطُرفُكم تُسلك، كل ذلك لما يرجوه عندكم مَنْ هُوَ دونكم مِنَ النُّجاة في عرفان حق الله تعالى).

العلماء المتخاذلون شركاء المجرمين في جرائمهم

سكوت العلماء وتخاذلهم عن نصره الحق بأي مبرر كان وتحت أي ذريعة كانت هو بمثابة الشراكة مع المجرمين والجائرين والمعاونة لهم في كل جرائمهم من سفك للدماء وظلم وعناد، لأن المجرمين يستغلون هذا السكوت والتخاذل كحجة على عدم قبولهم للحق، حيث يبررون ذلك

بموقف العلماء الصامتين، كما أن صمت العلماء وتخاذلهم يجعل كثيراً من الناس يتخذون نفس الموقف ويقولون إذا تحرك العالم الفلاني فستتحرك فهو أعلم منا، وقد يظن العالم أنه ليس مع المجرمين ولكن نتيجة موقفه السلبي تجعله معهم، وهذا ما أكده الإمام زيد عليه السلام في رسالته إلى العلماء بقوله: (عباد الله إن الظالمين قد استحلوا دماءنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خذلاً نكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفيما أنكروه من فضلنا عناداً لله، فأنتم شركاؤهم في دماننا، وأعوانهم في ظلمنا، فكلُّ مالٍ لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله تعالى أخضروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نبذوه، وكل حكم لله تعالى عطلوه، وكل عهد لله نقضوه فأنتم المعينون لهم على ذلك بالسكوت عن نهيمهم عن السوء.

عباد الله إن الأحيار والرهبان من كل أمة مسؤولون عما استحضفوا عليه، فأعدوا جواباً لله عز وجل على سؤاله).

وهنا فليعد كل عالم لا يتحرك ضد العدوان ولا يقوم بدوره ولا يتحمل مسؤوليته، جواباً لله عز وجل.

فما أتعسها من حالة حين يظن العالم أنه على خير وقريب من الله ويعرف الشريعة ويكثر من الصلاة وقراءة القرآن، ثم يأتي يوم القيامة متحملاً لدماء الشهداء والأطفال والنساء، ويسأله الله تعالى عنها كما يسأل المعتدين ثم يحشره مع المجرمين، كم هي خسارة وندامة وبؤس

وحسرة، وهذا ما أشار إليه الإمام زيد عليه السلام بقوله وكأنه يخاطب ويعاتب العلماء الصامتين المتسمين باسمه والحاملين فكره على وجه الخصوص : (لا مالاً تبذلونه لله تعالى، ولا نفوساً تُخاطرون بها في جنبِ الله تعالى، ولا داراً عطلتموها، ولا زوجةً فارقتموها، ولا عشيرةً عاديتموها. فلا تتمنوا ما عند الله تعالى وقد خالفتموه، فترون أنكم تَسْعَوْنَ في النُّور، وتَتَلَقَّكُمْ الملائكة بالبشارة من الله عز وجل؟ كيف تطمعون في السَّلَامَةِ يوم الطَّامَةِ؟! وقد أَخْدَجْتُمُ الأمانة، وفارقتُم العِلْمَ، وأدْهَنْتُم في الدين، وقد رأيتُم عهد الله منقوضاً، ودينه مَبْغُوضاً، وأنتم لا تَفْزَعُونَ ومن الله لا ترهبون. فلو صبرتم على الأذى، وتحملتُم المُوْنة في جنبِ الله لكانت أمور الله صادرة عنكم، وواردة إليكم. عباد الله لا تُمَكِّنُوا الظالمين من قِيادكم بالطمع فيما بأيديهم من حُطَامِ الدنيا الزَّائِلِ، وتراثها الأفل، فتخسروا حظكم من الله عز وجل).

علماء السوء كرسى يجلس عليه المجرمون

دائماً ما يعتمد المجرمون على فتاوى علماء مقربين منهم، ودائماً ما يتحرك هؤلاء العلماء في أوساط الناس للتضليل والتدجيل وتزييف كل ذلك مقابل حفنة من المال، وهذه الحالة السيئة تحدث عنها الإمام زيد عليه السلام في رسالته إلى العلماء والتي خصَّ علماء السوء بفقرات منها، موضعاً الدور الخطير الذي يقومون به، فخاطبهم بقوله: (فوالذي نفس زيد بن علي) بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق

الذي تعرفون، لَتَضَعَنَّ بُيُوتَ الْجَبَّارِينَ، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشترىتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وأدهنتم في دينه، وفارقتم كتابه.

أهذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان؟ فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزيتتم لهم الجورَ، وشددتتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء محوتهم كتاب الله محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً، فَنَدَّ وَاللَّهِ نَدِيدَ الْبَعِيرِ الشَّارِدِ، هرباً منكم، فسبوا صنيعكم سُفِكَتْ دَمَاءُ الْقَائِمِينَ بدعوة الحق من ذرية النبي ﷺ، ورُفِعَتْ رُؤُوسُهُمْ فوق الأُسْتَةِ، وُصِّدُوا فِي الْحَدِيدِ، وَخَلَّصَ إِلَيْهِمُ الذُّلُّ، واستشعروا الكَرْبَ وَتَسَرَّبُوا الْأَحْزَانَ، يتنفسون الصُّعْدَاءَ، ويتشاكون الجهد؛ فهذا ما قدمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فالله المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين).

وكم رأينا من العلماء قصفوا الشعب اليمني بفتاواهم قبل طائرات العدوان، فمنهم الذي قال: التحالف بأمر الله، مروراً بتكفير الشعب اليمني في يوم عرفة، وصولاً إلى من ارتضى إبادة أربعة وعشرين مليون يمني من أجل مليون عميل وخائن ومرترق يعيشون.

المحور الثالث

القيم والعبادئ في ثورة الإمام زيد (ع)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمة قرآنية وإسلامية أساسية، وفريضة واجبة ومنظومة دفاعية -إن صح التعبير- ضد الظلم والتسلط والفساد، وهي التي دفعت الإمام الحسين عليه السلام إلى القيام بثورته المباركة، واعتبار التنصل عن القيام بها والتهرب منها نقص في الدين، وهذا ما لم يرضه الإمام زيد عليه السلام لنفسه، بل قد كان يخشى أن يلقي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لم يقم في أمته بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أن هذه الفريضة كمال في الدين والدين بدونها يُعتبر ناقصاً يقول عليه السلام حين خفقت رايات الجهاد فوق رأسه: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً ولم أمر أمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر) فكان يسعى لفكائك نفسه من المسؤولية تجاه ما تعانيه الأمة، وكان رضاء الله تعالى أهم هدف بالنسبة له يقول عليه السلام: (والله لو علمت عملاً هو أرضى لله تعالى من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلت ولأتيته، ولكني لا أعلم عملاً هو أرضى من قتال أهل الشام).

وكان ينادي العلماء كونهم الأقرب إلى القران وتعاليم الإسلام بقوله: (عباد الله انصحوا داعي الحق، وانصروه إذا قد دعاكم لما يحييكم، ذلك

بأن الكتاب يدعو إلى الله وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر). وعند التحليل البسيط لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد أنه مبدأ شامل وسياج آمن للدين والأمة، فالأمر هو بما هو معروف من كتاب الله وسنة رسوله وليس بغريب ولا جديد ولا دخيل، والنهي عن المنكر هو النهي عما أنكره الشرع الحنيف والعقل السوي، فالأمر ببساطة إقامة العدل والحق.

فالجهد معروف لأنه واجب وأن فضله عظيم وأنه وأنه ... الخ والتعبئة الجهادية ضد العدوان تنطلق من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن لا ينطلق في تحركه من هذا المبدأ فهو أصلاً لا يأمر بالمعروف وبالتالي هو لا يعمل بالمعروف فيكون موقفه منكراً شعر بذلك أو لم يشعر.

والقرآن الكريم لا يُرخص للناس السكوت والخنوع والذلة والقعود، ولا يسمح لهم بالتفرج على الفساد والبغي والظلم، وقد نُصح الإمام زيد عليه السلام من بعض محبيه أن يعدل عن ثورته فرد على الناصح بالقول: (والله ما يدعني كتاب الله أن أسكت) وقال: (لَا يَسْعِينِي أَنْ أَسْكُتَ وَقَدْ خُوِّفَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَتُحَوِّكِمَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَذَلِكَ أَنِّي شَهِدْتُ هِشَاماً وَرَجُلٌ عِنْدَهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِلْسَّبَابِ لَهُ: وَيْلَكَ يَا كَافِرُ أَمَا إِنِّي لَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْكَ لَأَخْتَطَفْتُ رُوحَكَ وَعَجَّلْتُكَ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ لِي هِشَامٌ: مَهْ، عَنْ جَلِيسِنَا يَا زَيْدُ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَا وَيَحْيَى ابْنِي لَخَرَجْتُ عَلَيْهِ وَجَاهَدْتُهُ حَتَّى أَفْتَى).

فيا ترى ما هو عذر القاعدين، ويا ليت شعري ما يكون جوابهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَهُمْ اللَّغْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

إصلاح الأمة هدف لا بد أن يسعى لتحقيقه كل مؤمن

إصلاح الأمة كان العنوان العريض والهدف الشامل لتحرك الإمام زيد عليه السلام وتضحيته وثورته، وهو من باب قول النبي ﷺ: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) وكان اهتمام الإمام زيد عليه السلام وهمه وتفكيره بإصلاح الأمة لا ينفك عنه نهائياً ولا ليلاً، فذات مرة كان في سفر ومعه صاحبه عبد الله بن مسلم بن بابك فلما كان نصف الليل واستوت الثريا قال له: يا بابكي أما ترى هذه الثريا أترى أحداً ينالها؟ قال صاحبه: لا. قال: (والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الارض أو حيث أقع فأقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمة محمد ﷺ) وكان يدي استعداده وللتضحية أنه لو علم أن نار توجب له فيؤذف فيها وأن الله يصلح أمر الأمة لفعل راضياً يقول عليه السلام: (والله لو أعلم أنه توجب لي نار بالحطب الجزل فأؤذف فيها وأن الله أصلح لهذه الأمة أمرها لفعلت).

وكان إصلاح الأمة في نظر الإمام زيد عليه السلام شاملاً فهو إصلاح سياسي وثقافي وفكري واجتماعي واقتصادي مالي وإداري، ويتضح ذلك من البرنامج السياسي لثورته والذي قال فيه: (إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وقسم الفيء بين أهلهم، ورد المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب).

لقد بذل روحه وضحي من أجل إصلاح الأمة من أجل الناس من أجل المستضعفين، ولم يكن مجرد واعظ بل كان رجل قول وفعل، فهو القائل: (وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفيء، والغنائم، وثبتت الأمين المؤمن، غير الرأشي والمرثي الناقض للعهد؛ فإن نَظَهَر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأى هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم؟).

الأخلاق العسكرية

يقدم الإمام زيد عليه السلام القيم والأخلاق في حالة المواجهة مع العدو، وهي القيم والمبادئ الإسلامية لكن هذه القيم والمبادئ كثيراً ما كانت مجرد نظريات، وفي أرض الواقع كان الكثيرون ينسونها أو يتناسونها، ولا يستطيعون ضبط أنفسهم وأتباعهم في حالة المواجهة، أما الطغاة فلم تكن في واردهم، ونظراً لما مرت به الأمة من مجازر وحشية وجرائم نكراء داخلية كادت تكون هذه الجرائم والمجازر سنة في القتال.

يقول الإمام زيد عليه السلام في وثيقة يجب أن يحفظها ويعيها كل ثائر ومجاهد، ويؤكد فيها على أن الهدف هو الدعوة إلى الهداية وأن اهتداء العدو خير من قتاله، ويؤكد أيضاً على الأخلاق العسكرية وعلى ضرورة أن يكون المجاهدون واعين ومستبصرين بأهدافهم ومحافظين على أخلاقهم ومبادئهم وقيمهم، يقول عليه السلام: (إِذَا لَقَيْتُمُ الْقَوْمَ فَادْعُوهُمْ إِلَىٰ آمْرِكُمْ فَلَا تَسْتَجِيبَ لَكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَّكُمْ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَعَلَيْكُمْ بِسِيرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ لَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلَا تَفْتَحُوا بَابًا مُعْلَقًا، وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ، عِبَادَ اللَّهِ: لَا تَقَاتِلُوا عَدُوَّكُمْ عَلَى الشَّكِّ فَتَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْبَصِيرَةَ، ثُمَّ الْقِتَالُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِي عَنِ الْيَقِينِ أَفْضَلَ جَزَاءٍ يَجْزِي بِهِ عَلَى حَقِّ إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَشْكُ فِي ضَلَالَتِهَا كَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ حَقٍّ، عِبَادَ اللَّهِ الْبَصِيرَةَ الْبَصِيرَةَ).

وهنا تحضر القيم والمبادئ في الموطن الذي كان الإمام زيد عليه السلام أحوج ما يكون للمقاتل الواحد ضد جيوش بني أمية الكثيرة العدد والعدة إلا أنه لا يريد أن يقاتل معه إلا المخلصون والمؤمنون بعدالة قضيتهم.

الثورة ليست انتقاماً

قد يندفع بعض المقاتلين في خط الحق إلى الانتقام والمعاملة بالمثل كردة فعل على مجازر العدو وجرائمه، ولكن الجهاد والثورة هي من أجل القضاء على الظلم والاضطهاد والمجازر والجرائم، لأنها لو ارتكبت هذه الجرائم بحق العدو فما الفرق بين الثوار المجاهدين وأعدائهم.

لقد بلغ الإمام زيداً عليه السلام مقالة لبعض أتباعه عن نيتهم الانتقام من بني أمية ومعاملتهم بالمثل وهم من فعلوا الأفاعيل بأهل البيت عليه السلام، فقام فيهم خطيباً قائلاً: (أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم أن قائلًا يقول: إن بني أمية فيئؤ لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتصدق دعوانا عليهم!! حكم بلا علم، وعزم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجبت لمن نطق بذلك لسانه، وحدثته به نفسه،

أبكتاب الله أخذ؟ أم بسنة نبيه ﷺ حكم؟ أم طَمَعَ في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور له؟ هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطى الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يخطِ المنصفُ حصَّه، ولم يُبَقِّ الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحقُّ أنفه، العدل أولى بالأخرة ولو كره الجاهلون.

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق، كل نفس تسمو إلى مناها، ونعم صاحب القنوع، وويل لمن غَصَبَ حقاً، أو ادعى باطلاً).

الثورة عهد بالتغيير الإيجابي

دائماً ما تتكرر العبارات الرنانة والوعود الزائفة للناس في الثورات، وتكون الدعاية والترويج طاغية لجذب الناس والوصول إلى الأهداف بسرعة، وكثيراً ما يتنكر الثوار إلى المبادئ ويبدأون بالتدرج في السقوط إلى الواقع الذي ثاروا عليه بسبب القيادة اللامسؤولة.

وكان الإمام زيد عليه السلام يؤكد على أن العهد بينه وبين الناس هو الوفاء بأهداف الثورة الواضحة والمشروعة والضرورية، وكان يؤكد أيضاً على أن أي انحراف عن أهداف الثورة فهو بمثابة نقض للعهد بينه وبينهم، وليس لهم طاعته ولا مناصرته، فكان يقول: (فإنما ندعوكم إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم الذي إذا عمل فيكم به استقام لكم دينكم، ومن استجاب لنا

منكم على هذا فهو في حلٍّ مما أخذنا عليه وما أعطانا من نفسه إن لم نستقم على ما وصفنا من العمل بكتاب الله وسنته نبيه).

الروح الجهادية

لم يكن الإمام زيد عليه السلام شخصاً سلبياً لا يتأثر بما حوله، بل كان يتفاعل ويقف المواقف البطولية بكل شجاعة ولا يخاف في الله لومة لائم، ولم يكن أيضاً شخصاً يهتم بنفسه ومصالحه بل كان يهتم بالناس ويتألم لحالهم، وكان قوَّالاً بالحق أمام الجبابة ولا يأبه بالنتائج طالما مواقفه لله وفي سبيل الله.

فهو عليه السلام الذي كان يدخل مجلس الخلافة وهي بمثابة دولة عظمى في زمانها فلا يسكت على الباطل ويُعلم الناس أنهم من يصنعون الجبابة بسكوتهم وخوفهم، فمرة سمع الخليفة الأموي هشاماً الطاغية يقول: من قال لي اتق الله ضربت عنقه. فقال له عليه السلام (يا هشام اتق الله) ومرة قال للطاغية هشام بعد حديث دار بينهما: (لن تجدني إلا حيث تكره) ومرة خرج وهو يقول: (ما كره قوم حر السيوف إلا ذلوا).

ومرة سمع يهودياً يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس الخلافة وبمسمع الخليفة نفسه والحضور كلهم صامتون فانبرى مدافعاً عن جده رسول الله وقال المتكلم وكان يهودياً: (ويلك يا كافر أما إني لو تمكنت منك لاختطفت روحك ولأعجلن بك إلى النار) فقال له الخليفة: مه، عن جليسننا يا زيد، فخرج عليه السلام مغضباً وقال: والله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى).

وذات مرة رأى امرأة تقتات من القمامة فقال: (أنت وأمثالك يخرجونني غداً فأقتل).

فكان لا يأبه لمصيره إذا ما قام بواجبه فهو القائل: (وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أمورنا، والجهاد في سبيل خالقنا، وشريعة نبينا ^{صلى الله عليه وسلم}، صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديناً) ويقول: (فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأبي هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم؟).

وحين دنت الشهادة لتعاقبه بعد أن أصيب بسهم غادر في جبينه كان حريصاً على استمرار الخط الثوري الجهادي بعده فبادر ابنه يحيى سائلاً له عمّاً سيفعل بعد استشهاده قائلاً: (أي شيء تريد أن تصنع).

فأجابه بالقول: (أجاهدهم إلا أن لا أجد الناصر) فقال: (نعم يا بني جاهدهم، فوالله إنك لعلى الحق وهم لعلى الباطل، وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار) ثم قال: (الشهادة الشهادة، الحمد لله الذي رزقنيها)

والله من وراء القصد

مفهوم الرفضة وثورة الإمام زيد (ع)

أبو محمد المرتضى

«الرفضة» الكلمة التي أصبح لها حضور كبير داخل العالم الإسلامي المعاصر، فتنبذ بها تياراتٌ دينيةٌ إسلاميةٌ تياراتٍ إسلاميةٍ أخرى، ويتناقلها الناس دون أن يعرفوا معناها وسبب تسميتها، ودون المعرفة بالأحداث التي جرت في فترة تاريخية مفصلية واستثنائية نتج من خلالها مفهوم «الرفضة».

وللأسف ارتبط مفهوم "الرفضة" في أذهان كثيرين بالمقلوب، فأصبحت تُطلق على كل من يتحرك في مواجهة الصهيونية ويقف ضد سياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

ولفهم الموضوع لا بد من توضيح بداية ظهور هذه التسمية وملابساتها، حيث أن لها علاقة بالثورة في الإسلام بثورة الإمام زيد عليه السلام ضد حكام بني أمية الظالمين، وباختصار فأول من أطلقها هو الإمام زيد عليه السلام على قوم تراجعوا في اللحظات الأخيرة خوفاً وجبناً عن الجهاد معه والمشاركة في الثورة بعد أن بايعوه، واختلقوا لذلك عذراً ومبرراً أنه ليس الإمام وإنما هو جعفر الصادق عليه السلام، وفي رواية أخرى

معظم مؤرخي وعلماء آل البيت- لكن سنناقشها على افتراض صحتها - وهي أنهم قالوا للإمام زيد رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال الإمام زيد عليه السلام: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذأ بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم؟! فقال لهم: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفنونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك؟ فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا بظالمين؟ فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أحببتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل، ففارقوه ونكثوا بيعته، وقالوا: سيق الإمام، وكانوا يزعمون أن الباقر محمد بن علي أخا الإمام زيد بن علي هو الإمام، وكان قد توفي يومئذ، وكان ابنه جعفر الصادق حياً، فقالوا: جعفر بن محمد إمامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام فسامهم زيد «الرافضة».

وكانت طائفة منهم قبل خروج الإمام زيد عليه السلام مروا إلى جعفر الصادق، فقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع أفتري لنا أن نبايعه؟ فقال

لهم: «نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا»، فجاءوا فكتموا ما أمرهم به).

ومن خلال التأمل البسيط والتحليل الموضوعي لهذه الرواية والتي يعتمدها الكثير ممن ينبزون غيرهم بـ «الرافضة» ويستدلون بها ويتشدقون بها على الآخرين، من خلال التأمل والتحليل نجد الآتي:

- أن هذه الرواية تؤكد رؤية وعقيدة الإمام زيد عليه السلام حيث أكد فيها على أفضلية الإمام علي عليه السلام وعلى أحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أحقية أهل البيت عموماً بقوله: (إنا كنا أحق بسُلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين).

- توضح هذه الرواية رؤية الإمام زيد عليه السلام المتوازنة في أبي بكر وعمر كونهما تقديماً للإمام علياً عليه السلام بأنهما أخطئاً، ولكن لم يبلغا بذلك عنده كضراً، وأشاد بعدلها في الأمة ولم يتبرأ منهما ولا سبهما بل ترحم عليهما وذلك بقوله: (رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً) وطلب المغفرة هي لمن أخطأ وعصى وأذنب، ويقول أيضاً: (إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسُلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفَعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كضراً قد ولو ا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة) وهذا النص يؤكد أن مفهوم «الرافضة» لا يُطلق على من رفض خلافة أبي بكر وعمر كون الإمام زيد عليه السلام يعتقد أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام

وأهل البيت بشكل عام بقوله: (إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين) وذكر أن أبا بكر وعمر استأثرا بالخلافة ودفعوا أهل البيت عنها بقوله: (وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه) وذكر أيضاً موقفه من تقدم أبي بكر وعمر للخلافة بقوله: (ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة) ولذلك ترحم عليهما وطلب لهما المغفرة كونهما أخطأ في التقدم على الإمام علي عليه السلام بقوله: (رحمهما الله وغفر لهما) ويؤكد أيضاً موقف أهل البيت من أبي بكر وعمر بقوله: (ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً).

• يوضح الإمام زيد عليه السلام أن لا مقارنة بين أبي بكر وعمر وبين الظالمين من بني أمية بقوله: (إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم) ففصل بينهم، واعتبر الظالمين من حكام بني أمية ليسوا كأبي بكر وعمر اللذين عدلا في الناس وعملا بالكتاب والسنة في الحكم بخلاف الحكام الظالمين من بني أمية الذين ظلموا الناس وخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

• أهم ما ركز عليه الإمام زيد عليه السلام في فكره الثوري والجهادي - وهو موضوع في غاية الأهمية ودرس لكل الثوار وكل الأمة - هو أن موضوع خلافة أبي بكر وعمر ليس من أهداف الثورة، فلم يثر ويخرج على بني أمية من أجل خلافة الإمام علي عليه السلام ولا حتى من

أجل إمامة أهل البيت، ولا ضد خلافة أبي بكر وعمر بل ضد من يظلم الأمة كلها.

- بعد نقاش الإمام زيد عليه السلام مع من سألوه عن أبي بكر وعمر وإجاباته الرصينة الواعية في هذا الموضوع الحساس، وما سألوه إلا لكي يبحثوا لهم عن مبرر للتخلف عن المشاركة في الثورة ونكث البيعة، ولمعرفة الإمام زيد عليه السلام بما يبطنوه دعاهم مجدداً إلى القيام بواجبهم الثوري والجهادي رغم موقفهم من أبي بكر وعمر، ولم يأمرهم بالتخلي عن رؤيتهم، ووضح لهم أن هدفه هدف إسلامي إنساني وليس طائفياً مذهبياً بقوله: (وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أحبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فليست عليكم بوكيل) وفي هذا إجماع لمن يريد تحويل مفهوم «الرافضة» ويجعل سبب تسمية الإمام زيد عليه السلام لهم بهذا الاسم رفضهم لخلافة الشيخين، حيث إن البعض للأسف يطلقون هذه التسمية ويصمون بالرفض بمجرد أن يفضل أحد الإمام علياً عليه السلام وممن وصموا بهذا المصطلح الإمام زيداً نفسه من حيث يشعرون أو لا يشعرون كونه يؤمن بأحقية الإمام علي عليه السلام كما سلف ذكره في هذه الرواية، والأعجب أنهم يأخذون مصطلح «الرفض» عن الإمام زيد عليه السلام ثم يضلونه بسبب عقيدته ومواقفه وفكره السياسي، ويخطئونه بسبب ثورته وخروجه على الظالم وهو عليه السلام ما سمي «الرافضة» إلا لتركهم الجهاد معه ضد

الحاكم الأموي الغاشم، بل ويقدمون من خرج الإمام زيد عليه السلام عليهم من الحكام الظلمة من بني أمية ويعتبرونهم أولياء الأمر الشرعيين ويحرمون الخروج عليهم.

• إن هؤلاء المتناقضين من أكثر من يسئ إلى الشيخين أبي بكر وعمر حيث يقدمون أنفسهم للناس وكأن أبا بكر وعمر كانا يمثل أخلاقهم، وأن عقيدتهما مثل اعتقاداتهم مع العلم أن عقيدة الشيخين في الله تعالى سليمة، ومثل عقيدة الإمام علي عليه السلام عقيدة التوحيد والعدل والوعد والوعيد وكان الإشكال فقط في العقيدة السياسية.

• إن التركيز على مفهوم "الرافضة" الذين لم يُقاتلوا مع الإمام زيد عليه السلام، وتخلوا عنه في ظرف حساس ولحظة حرجة غير منطقي أمام التساهل وعدم تسليط الأضواء على من قاتلوا الإمام زيدا، وجاهدوا الإمام وثار عليهم وقتلوه وقطعوا رأسه وصلبوه عارياً وأحرقوه وحتوه وذروا رماده في نهر الفرات والبساتين، وفي ذلك ما فيه من تميع لقضية الثورة في الإسلام حيث يُشنع على «الرافضة» القاعدين ولا يُشنع على قتلة الإمام زيد عليه السلام المحاربين له.

• وفي الرواية الثانية أيضاً تأكيد لما هو موجود في كتب أهل البيت أن الإمام زيدا عليه السلام قطع أيضاً أعذار هؤلاء الذين أحجموا عن المشاركة في الثورة بقولهم إن الإمام هو جعفر الصادق عليه السلام حيث رجعوا إلى جعفر الصادق وقالوا له: إن زيد بن علي فينا يبايع أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا،

فجاءوا فكتموا ما أمرهم به. وفي هذه الرواية دلالة كبيرة وتأكيد لا يقبل الشك أن الإمام زيداً عليه السلام كان هو الإمام بتحركه وتحمله المسؤولية وليس كما تدعيه الشيعة الاثنا عشرية الذين يشنعون على الإمام زيد عليه السلام بسبب خروجه وثورته وأنه خالف الإمام المنصوص عليه والمعصوم جعفر الصادق - حسب اعتقادهم وهذا غير مُسَلَّم به - ومن يتكلمون بإيجابية على الإمام زيد عليه السلام فبدعوى أنه خرج بإذن جعفر الصادق عليه السلام وهو أمر غير صحيح.

• سيجول في الأذهان الآن تساؤل وهو: هل كل من قال بإمامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأنكر إمامة الإمام زيد عليه السلام «رافضي» طبقاً لسبب التسمية؟ وكيف ذلك؟ وأين هم اليوم من ثار ويثور كما صنع الشعب الإيراني في ثورته الإسلامية وكما يصنع حزب الله في جهاده ضد الصهيونية؟

والذي نستطيع قوله في الإجابة على هذه التساؤلات هو أن لفظ «الرفضية» ضد لفظ الجهاد الواعي والملتزم بأخلاق الإسلام، ومن هذا المنطلق فمن يجاهد منهم ويثور فلم يعد رافضياً بل أصبح مجاهداً مع الاحتفاظ بحق عدم قبول الأفكار غير المنطقية لديه، ومع الاحترام الكامل والتأييد الجهادي له ضد أعداء الأمة، والدعم السياسي في هذا الجانب دون الذوبان في التفاصيل المذهبية عنده، وإذا كنا لا نرضى أن نتمذهب بفكرنا فبالأحرى أن لا ننحدر إلى مربع المذهبية والطائفية بفكر غيرنا، وإن من لا يجاهد حين تتوفر المعطيات للجهاد ممن يعتقد بإمامة

الإمام زيد عليه السلام ويقعد ويتعذر ويتعلل بمتابعته شخص قاعد يقول: إنه هو الأولى بالاتباع من الشخص القائم الذي أثبت كفاءته وجدارته وأهليته فهو «رافضي»، والتاريخ يكرر نفسه، والذين من هذا النوع مشكلتهم جهادية وليست الإمامة، ولو قام القاعد الذي يلتفون حوله لخذلوه وتركوه ولقالوا - كما يحصل في الواقع المعاصر أيضاً - أن الواجب اتباع قاعد آخر، فمثل هؤلاء لا يثورون حتى يوم القيامة لأنها نفسية مترسخة فيهم، فالذي يترك ويخذل القائم بالحق دون عذر شرعي قرآني فهو «رافضي»، والذي يقاتل داخل الأمة بدون قائد قائم بالحق يقاتل تحت رايته فهو خارجي من الخوارج، إلا في حالة الدفاع عن النفس والمال والعرض.

إضاعات معاصرة من ثورة الإمام زيد (ع)

بقلم/ محمد حسن زيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، توكلت على الله رب العالمين:

الموقف من الإساءة إلى النبي

الإضاعة (١): جاء زيد وفي مجلس هشام يهودي يسب رسول الله ... الخ، وهذا متطابق مع ما يحدث في زمننا وبشكل ممنهج غير مسبوق، ونموذج هشام يتجسد في جملة من مسؤولينا ومثقفينا من اللامبالاة التامة بمقدسات الإسلام وبديهياته المتفق عليها، والإضاعة هنا أن الحفاظ على قدسية أسس وبديهيات الإسلام هو أهم دور لأهل البيت ومسؤوليتهم الخاصة حين تخفت جذوة ارتباط صفوة الناس بالله والرسول والكتاب، وذلك مصداق لخبره عليه السلام: «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

واستدعى هشام زيداً عليه السلام وكانت آخر مرة فجاء وفي مجلسه يهودي يسب رسول الله عليه السلام فانتهره زيد وقال يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك فقال هشام: مَهْ يا زيدُ لا تؤذِ جليسا ؛ فخرج زيد عليه السلام

وهو يقول: «من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء».

ولعل من الغرائب التي عايشناها حين كان يمارس بعض الصحفيين حرية الرأي والصحافة بالتطاول على الله تعالى والاستخفاف بنبيه الكريم دون أن ينكر عليهم أحد في المستوى الرسمي أو الثقافي، وفي المقابل تقوم القيامة وتتحرك مشاعر الجنون والريبة ضد التشيع ويصفون الشيعة بـ(المجوس) في استباحة ضمنية لدمائهم وجميع حقوقهم، وهذا التناقض المفوض إنما كان لأن النظام العالمي قد عادى حزب الله بعد تموز ٢٠٠٦ فسلط أوغاده عليه وعلى ما يمثل، فما عادت حرية الرأي والصحافة تتسع له، وهذا شيء طبيعي ومتكرر في عهد الطفافة عبر كل الأزمان ولم يسلم منه حتى الأنبياء صلوات الله عليهم وبركاته.

السعي لتحقيق التوزيع العادل للثروة

الإضاءة (٢): ما يُروى عنه عليه السلام حين شاهد امرأة تأكل من بقايا الطعام، فتألم وقال: "أنت وأمثالك يخرجونني غداً فأقتل" .. أو بهذا المعنى! فالقضية الأساسية هي طلب العدل والقيام بأمر المستضعفين وليست صراعاً محموماً على السلطة وحسداً للآخرين على مآثرها والفخر بها، وذلكم عمر بن عبدالعزيز الأموي رحمه الله لم يُعرف أنه قد خرج عليه إمام من أئمة أهل البيت حين أقام العدل والتزم سبيل التقوى، بل

كان الحديث عن ميلهم إليه ووقوفهم معه.

قال عليه السلام: «يا معاشر الفقهاء، ويا أهل الحجا، أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بينكم فيأكم بالسوية».

مواجهة سياسة الإذلال

الإضاعة (٢): الإمام زيد لم يبتدر هشاماً بالحرب والخروج، بل كانت محاولات هشام الحثيثة لإذلال زيد وتركيعه وهو الذي لم يقترف ذنباً إلا أنه أمر الظالم بالمعروف ونهاه عن المنكر هي ما اضطر الإمام زيد عليه السلام لإعلان الخروج عليه، قال عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أني مكره مجبور مضطر غير مختار ولا مالك لنفسي، اللهم واكفني كيده وأبسني جبهه عز لكيلا أخشع لسلطانة، ولا أرهب من جنوده، اللهم وابسط لساني عليه بإعزاز الحق ونصرتيه، كي أقول قول الحق ولا تأخذني لومة لائم، ولا إذلال الجبارين، اللهم واجمع قلبي على هدايتك، وأرني من إعزازك إياي ما يصغر به عندي ملكه، وتدلل لي نحوته، اللهم فاطرح الهيبة في قلبه ودلل لي نفسه، واحبس عني كيده».

ولعلنا نلمس هذا الاضطرار أيضاً في الحروب المتكررة التي عاشتها اليمن في العقد الأخير وتم فرضها على هذا الشعب لقهره وإذلاله تحت شعارات كاذبة وأهداف وهمية انتهاء بهذه الحرب العالمية التدميرية

المفروضة على اليمن قرابة (الثلاث سنوات) قصفاً وحصاراً وتفتيتاً وقطعاً للأرزاق ومجازر جماعية ومازالت تتعنت ولا ترضى بأي حل وتصر على إذلال اليمن وتركيعه معتمدة على تفوقها المادي وموالاتها لطواغيت الأرض من دون الله.

الاختلاف المذهبي ليس مبرراً للعودة

الإضاءة (٤): الإمام زيد بن علي عليه السلام قاد الصفوة الفكرية في عصره في فترة اتمت بنشوء المدارس الفكرية، وهذا دليل على خطأ من يجعل من التباينات الفكرية عذراً للعزلة السياسية والقطيعة النضالية، وهو يدل أيضاً على ضرورة العمل على تجاوز الخلافات الفكرية وإمكانية تحقيق الوحدة السياسية للأمة رغم الاختلاف الفكري فالكثير ناضلوا مع زيد بن علي عليه السلام رغم أنهم قد لا يوافقونه في بعض الآراء الأصولية والفروعية كأبي حنيفة رحمه الله، والإمام زيد استوعبهم؛ قال أبو حنيفة لما أته رسل الإمام زيد عليه السلام: هو والله صاحب الحق، وهو أعلم من نعرف في هذا الزمان، فاقربناه مني السلام، وأخبراه أن مرضاً يمنعني من الخروج معه، وأرسل بثلاثين ألف درهم لإعانتته على الجهاد، وقال: والله لئن شفيت لأخرجن معه، وقد كان يقول رحمه الله: ضاهى خروجه خروج رسول الله يوم بدر، وقال الأعمش: والله لولا ضرة بي لخرجت معه.

مسؤولية أهل البيت الجهادية

الإضاءة (5): قول زيد عليه السلام حين خفقت الرايات: الحمد لله الذي أكمل لي ديني ... أن أُجِجَتْ نارٌ ثم قُذِفَتْ فيها ... إلخ، إن خط النبوة النقي الصافي يحتاج لتضحيات أهل البيت كي يبقى نقياً من الغلو والانتحال والتحريف، وليست القضية تمييز بني هاشم تمييزاً طبقياً وتكبرهم على خلق الله واستثناهم بالنعم والغنائم والفخر دون الناس، دور أهل البيت هو مسؤولية صعبة رأى الإمام زيد أن أداءها قد تم حين استشهد لا حين أصبح ملكاً أو رئيساً، فقضية أهل البيت ليست إثبات أفضليتهم على الناس وتقدمهم على سواهم في أي ميدان إلا في ميدان الريادة في التضحية من أجل مبادئ جدهم المصطفى والشعور بالمسؤولية تجاهها حين ينشغل غيرهم بأموره وحياته وأولاده ومعاشه.

"وعندما خفقت الرايات على رأس الإمام زيد بن علي عليه السلام قال : الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أن لقيت محمداً عليه السلام، ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنهم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام؛ أن أُجِجَتْ لي نارٌ ثم قُذِفَتْ فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى، مع محمد عليه السلام، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات الله وسلامه عليهم".

ضرورة كسر الأصنام الفكرية

الإضاءة (٦): في مناظرة الإمام زيد مع علماء الشام قبل الخروج إشارة مهمة لضرورة كسر الأصنام الفكرية التي ركزها الظالمون لتثبيت سلطانهم قبل خوض المعركة العسكرية، ففكرة الجبر التي ازدهرت في ظل الدولة الأموية وأصلت للخنوع والقعود والسلبية في المجتمع وثبتت الظالم على عرشه كان لا بد من كسرها وخوض معركة فكرية معها تمهيداً للمعركة العسكرية لا العكس.

ومن جانب آخر؛ هذا يبين كيف يمكن أن يتحول الخطاب الديني إلى عامل سلبي لتكريس الواقع الراكد عندما ينحرف في ظل الدولة الظالمة، وهي معركة لا بد أن يخوضها جميع المصلحين قبل المعركة العسكرية كما خاضها الأنبياء صلوات الله عليهم؛ "إنما تصلح الأمور على أيدي العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين"

عناوين الرفض وشعاراته الواهية

الإضاءة (٧): في المواجهة مع «الرافضة» عدة عبر وفوائد، منها: أن خذلان الحق قد يتلبس بالحرص على الحق وقد يتقمص أجلاً الشعارات وأنبؤها وأنظفها، وأنه قد يصر على التركيز على اعتبارات فكرية معينة ولو أدى ذلك لخذلان الرضا من آل محمد في سعيه لإقامة العدل ودحض الباطل وذلك مهما كان ظاهره نقياً وحريصاً فليس إلا عملاً شيطانياً

منحرفاً مهما تلبس بالدقة والتحري والتدين.

"فالرافضة هم الذين رفضوا بيعة الإمام زيد بن علي عليه السلام، قال الإمام الهادي: وإنما فرق بين زيد وجعفر قوم كانوا بايعوا زيد بن علي، فلما بلغهم أن سلطان الكوفة يطلب من بايع زيداً، ويعاقبهم خافوا على أنفسهم، فخرجوا من بيعة زيد، ورفضوه، مخافة من هذا السلطان، ثم لا يدرون بماذا يحتجون على من لامهم وعاب عليهم فعلهم، فقالوا بالوصية حينئذ.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله: "سيكون من بعدي قوم يرفضون الجهاد مع الأختيار من أهل بيتي، ويقولون ليس عليهم أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، يقلدون دينهم، ويتبعون أهوائهم."

البصيرة لا العصبية

الإضاعة (٨): عباد الله: البصيرة.. البصيرة... الخ، الإمام زيد يحرض أصحابه على التحري والتبصر ونبذ التعصب حتى لو كان له، فليست القضية قضية تعصب أعمى وميل حزبي وطائفي وقومي وديني يزيئه في النفس حب الدنيا والإخلاق إليها، فمثل هؤلاء لا يثبتون في ساحة حرب ولا نضال، بل القضية قضية بصيرة وإخلاص نية لله ونصرة للحق وإقامة للعدل ودحض للباطل وتحرر تام من الأطماع والأنانية والطموحات الدنيوية الزائلة حتماً والتفافه بالمعيار الأخروي الأبدي.

"عباد الله البصيرة.. البصيرة".

قال أبو الجارود فقلت له: "يا ابن رسول الله يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟! قال: نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون، فأولئك مني وأنا منهم".

الأعداء والنيل من المصلحين

الإضاعة (٩): عانى الإمام زيد عليه السلام من أسلوب السفاهة والبلطجة والنيل من الرموز كتكتيك من تكتيكات الحرب التي استخدمها العدو المنافق اللئيم:

"ظهر رجل من أهل الشام من كلب على فرس رائع فلم يزل شاتماً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ فجعل زيد يبكي حتى ابتلت لحيته وجعل يقول: اما احد يغضب لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ أما أحد يغضب لرسول الله ﷺ ؟ اما أحد يغضب لله؟"

تحريف مفهوم القيادة

الإضاعة (١٠): أن من يفترض به أن يقود الناس ويتولى شؤونهم يجب أن يكون نظيفاً وأكمل الناس تأهيلاً وسلوكاً وعقلاً لا أن يكتفى في مؤهلاته أنه من أبوين يمينيين حتى لو كان ماكرأً كذاباً جباراً لئيماً، بل إن البعض قد بلغ به الشطط أن يشترط فيه الجرأة على اقتراف المعاصي والمجاهرة بها باعتبار ذلك انفتاحاً واعتدالاً ونبذاً للتطرف!! ومن المعلوم أن عواقب تولي مثل هؤلاء (المعتدلين) وخيمة جدا لا يسلم منها فرد ولا

بيت ولا شيء وقد تؤدي إلى تشوه عميق ومزمن في حاضر الأمة ومستقبلها، ولذلك من مسؤولية حاملي راية أهل البيت مواجهة هذا النوع من الطواغيت مهما كانت التضحيات.

دخل زيد عليه السلام مرة وقد سمع بأن هشام بن عبد الملك قد أعلن على رؤوس الملأ في يوم حج وأقسم أن لا يأمره أحد بتقوى الله إلا ليقطن رأسه فلما دخل عليه الإمام زيد قال له: اتق الله، يا هشام! فقال: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟ فقال: نعم! إن الله لم يرفع أحداً فوق أن يؤمر بتقوى الله ولم يضع أحداً دون أن يأمر بتقوى الله، فقال هشام: هذا تحقيق لما رفع إلي عنك، ومن أمرك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك ولا تشاور سلطانك ولا تخالف على إمامك، فقال الإمام زيد: من وضع نفسه في غير موضعها أثم بربه ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه ومن لم يعرف قدره ضلَّ عن سبيل ربه ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك أفقتري يا هشام من ذلك؟ ذلك من عصى ربه وتكبر على خالقه وتسمى باسم ليس له وأما الذي أمرك بتقوى الله فقد أدى إلى الله النصيحة فيك وذلك على رشدك، فوثب هشام من مجلسه وقام قائلاً: أخرجوه من مجلسي ولا يبيتن في معسكري. فخرج زيد وهو يقول: سأخرج ولن تجدني والله إلا حيث تكره، وخرج وهو يقول: والله ما كره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا.

الكيد والضجور السياسي

الإضاعة (١١): الإمام زيد عليه السلام عانى من أسلوب التشويه والكيد السياسي كما يعانیه المناضلون اليوم، وهو كما يبدو سمة ثابتة لأئمة الظلم والكفر عبر الزمن وغرضه الحيلولة بين الحق الأبلج لأئمة الهدى وبين عامة الناس، علماً أن الأنبياء واجهوا هذا النوع من الكيد السياسي والدعائي حين اتُّهموا بالسحر والشعر، ولم يكن ذلك عذراً للناس الذين خذلوهم ووقعوا ضحية لهذه الدعاية المنهجية.

أرسل هشام إلى واليه في العراق ليتدبر أمر زيد بن علي، وكتب هشام إلى يوسف بن عمر: إذا قدم عليك زيد بن علي فاجمع بينه وبين خالد، ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإني رأيته رجلاً حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله، فلما قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال: لم أشخصتني من عند هشام؟ قال: ذكر خالد بن عبد الله أن له عندك ستمائة ألف درهم، قال: فأحضر خالداً! فأحضره وعليه حديد ثقيل، فقال له يوسف: هذا زيد بن علي، فاذكر ما لك عنده! فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير، ولا أردتم بإحضاره إلا ظلمه".

خذلان القيادة سبب للهزيمة العسكرية

الإضاعة (١٢): إذا تم الإخلال بالشروط الموضوعية للنصر العسكري بالخيانة أو التقاعس أو التفرق والاختلاف فلا يحق لنا أن نتوقع حدوث

معجزات عسكرية في الميدان، إذ لم يطمع بذلك النبي ﷺ يوم أُحُد حين عصاه الرماة.

وأصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة مائتان وثمانية عشر من الرجال؛ فقال زيد بن علي عليه السلام سبحان الله فأين الناس؟ قيل: هم محصورون في المسجد فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر.

ثم قال لا يسعنا عند الله خذلانهم فحمل حتى وصل إليهم وأمرهم بالخروج فلم يفعلوا ولم يفلحوا.

وقال نصر بن خزيمة: يا أهل الكوفة أخرجوا من الذل إلى العز وإلى خير الدنيا والآخرة وأدخلوا الرايات عليهم من طاقات المسجد فلم ينجح ذلك فيهم شيئاً.

الهزيمة العسكرية لا تعني الهزيمة الكلية

الإضاعة (١٣): الهزيمة العسكرية لا تعني الهزيمة الكلية، بل قد تكون الهزيمة العسكرية (في معركة) سبباً في الانتصار الكلي في الحرب ضد الباطل، فدم الإمام زيد عليه السلام لم يذهب هدراً بل أدى فيما أدى إلى سقوط الدولة الأموية وإلى نشوء مدرسة الزيدية الفكرية والسياسية والتي رفعها أهل البيت وأصبحت شعاراً لهم، وهذا ما أراده زيد بخروجه فهو لم يرد الحياة أو الخلود في الدنيا ولكن تحولت مواقفه وآراؤه إلى ثورة مستمرة فجرها شهيد يأتي بعده شهيد، فسلام الله عليه وعلى من سار على نهجه.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لسبطه الحسين عليه السلام: "يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غُرّاً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب"

أبرز الأهداف التي حققتها ثورة الإمام زيد :

- الحفاظ على خط النبوة النقي الصافي الذي كاد أن يندرس في ظل ولادة المدارس الفكرية المتنوعة، فكانت ثورة زيد عليه السلام علامة فارقة في التاريخ.
- وضع المسمار الأخير في نعش الدولة الظالمة، فدم الإمام زيد لم يذهب هدراً.
- بيان إمكانية الوحدة السياسية للأمة رغم الاختلاف المذهبي فالكثير بايعوا الإمام زيد عليه السلام رغم أنهم قد لا يوافقونه في بعض الآراء الأصولية والفروعية كأبي حنيفة.
- التعرف على نموذجين خطيرين لبسا ثوب الديانة لكنهما أضرا بمصير هذه الأمة، نموذج المقاتلة (الظالمين) ونموذج الراضة (الخاذلين).
- وضع الأسس الأولى لفلسفة الثورة عند أهل البيت والنظرية السياسية في الإسلام وبيان الخطوات العملية للثورة باعتبارها عملاً بناءً لا طلباً للسلطة أو هدماً وتخريباً وطلباً للفتنة وشق الصف وكان بيان ذلك بأنها بدأت بالتوضيح والمباينة وإلزام الحجة ثم تحولت إلى عمل عسكري لا يهدف إلى القتل بل يهدف إلى البصيرة، كما بينت شروط المتصدي للإمامة عند الزيدية.

- إعادة الدور القيادي والريادي لأهل البيت (عليه السلام) ذلك الدور الذي ظن البعض أنه قد انتهى بعد مجزرة كربلاء وفتح الباب الذي لم يغلق لثورات أهل البيت مستقبلاً.

البرنامج السياسي الذي قدمه الإمام زيد في ثورته:

- بناء الإنسان بإحضار وعيه وقدح الشعور بالحرية في نفسه (رسالة إلى العلماء):
- لنقض الجبر باعتباره أفيونا فكرياً.
- إقامة العدل ومحاربة الفقر في قوله : من أجل هذه خرجنا.
- ضرورة التبصر والاعتناع والوعي في قوله: البصيرة البصيرة بخلاف الخصم الذي كان يعتمد على تغييب الوعي).
- إعادة النظر في المرجعيات السائدة: (المرجعية للقرءان بما يمثله من قيمة دستورية تقاس بها جميع التفاصيل والتشريعات:
- صلاح العلماء باعتبارهم الموجه الرئيسي للرأي العام.
- مسؤولية المتكاملين من أهل البيت في قيادة تقديم التضحيات وضرورة التقاف الناس حولهم مع في ذلك من مشقة وغرم).
- ضرورة إقامة العدل ؛ تجسد ذلك في قوله للمرأة التي تأكل من بقايا الطعام، لأجل هذه خرجنا.
- ضرورة الاحتكام لكتاب الله والرجوع إليه وتصحيح المسار الفكري والسياسي ليتلائم مع تراث الإسلام والنبوة الذي شابه الفساد والتحريف

في ظل عبادة الطواغيت، يقول زيد عليه السلام في بيان هذا الهدف: "وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تُحصى وإلى البدع أن تُطفاً، فإن أنتم أحببتمونا سُدتم وإن أنتم أبئتم فليست عليكم بوكيل، ففارقوه ونكثوا بيعته"، ويقول عليه السلام في القرآن الكريم: «أوصيكم أن تتخذوا كتاب الله قائداً وإماماً، وأن تكونوا له تبعاً فيما أحببتم وكرهتكم، وأن تتهموا أنفسكم ورايكم في ما لا يوافق القرآن، فإن القرآن شفاء لمن استشفى به، ونور لمن اهتدى به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به رَشَد، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَج، ومن خالفه كفر، فيه نبأ من قبلكم، وخبر معادكم، وإليه منتهى أمركم».

- ضرورة وحدة الأمة، وضرورة الابتعاد عما يثير الحساسيات المذهبية التي تؤدي إلى شق الصف، وكان الثمن هو انشقاق الرافضة عنه، قال لصاحبه في يوم من الأيام: (أما ترى هذه الثريا؟ أترى أحداً ينالها؟ فرد صاحبه: لا، فقال: «والله لوددت أن يدي ملتصقة بها فأقع إلى الأرض فأنتقع قطعة قطعة وأن الله يجمع بين أمة محمد، وفي رواية: أن الله يصلح بين أمة محمد).

- برسالته إلى العلماء أراد عليه السلام تصحيح البنية الفكرية السائدة في ذلك العصر من الأفكار الخاطئة التي كرسها الطغاة لحفظ عروشهم وأدت إلى تغييب وعي الإنسان وقتل حرئته مثل أفكار الجبر والتشبيه وغيرها، والتشديد على التكليف الكبير الملقى على عاتق علماء الأمة

كونهم من أهم المنابر الإعلامية القادرة على توجيه الرأي العام في ذلك الزمان، فكانوا يوجهونه لما يغيب وعي الإنسان ويحد من حريته، يقول عليه السلام "انما تصلح الأمور على أيدي العلماء، وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين"

- ضرورة احترام الآخرين من العلماء والصالحين حتى لو كانوا مختلفين، وهذا ما فعله مع أبي حنيفة وغيره من الأتقياء العقلاء إذ كان الإمام زيد على ود بهم جميعاً ولم يعرف عنه سوى ذلك.

- نبذ العصبية حتى لو كانت لأهل الحق، فلم تكن العصبية لأهل الحق في رأيه لتنجي صاحبها طالما لم يكن مقتنعاً بما يفعل، وهو ما أعلنه لمن بقي معه من أصحابه حيث قال لهم: "البصيرة البصيرة".

- ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ عبر عن ذلك في مقولته الشهيرة : الآن سألقى جدي رسول الله وقد أمرت في أمته بالمعروف ونهيت عن المنكر".

- على أهل البيت دون غيرهم تكون مسؤولية المبادرة والقيام بالتوضيحية عندما تخمل الأمة وتركن إلى الواقع المقيت، ولذلك فمسؤوليتهم في التصدي للثورة، والإمامة ليست غنماً اختصوا به دون سواهم بل هي غرم كلفوا أعباءه وقدموا التضحيات الجليلة من أجله قروناً من الزمان، ويمكن تلمس ذلك من خلال مجموع رسائله: الصفوة وغيرها - أن من يقود حركة التصحيح في المجتمع ينبغي أن يتحلّى بعدة شروط ؛

أبرزها العلم والتقوى والزهد في حطام الدنيا وأن يكون محل إجماع لا أن يفرض نفسه، وكان قد أشار لكل ذلك في مقولته الشهيرة "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُلوًا عَنِ الدُّنْيَا، وَبِغَضًا لَهَا وَأَهْلِهَا، فَإِنَّ خَيْرَهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمَعَهَا يُنْفَدٌ، وَصَفَوْهَا يَرْتَقُّ، وَجَدِيدَهَا يَخْلُقُ، وَخَيْرَهَا يَنْكُدُ، وَمَافَاتُ مِنْهَا حَسْرَةٌ، وَمَا أُصِيبَ مِنْهَا فِتْنَةٌ، إِلَّا مَنْ نَالَتهُ مِنْكَ عِصْمَةٌ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الْعِصْمَةَ مِنْهَا، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ رَضِي بِهَا، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا مَنْ أَمَّنَهَا خَانَتْهُ، وَمَنْ أطمَأَنَّ إِلَيْهَا فَجَعَلَتْهُ، فَلَمْ يُقِمِّمْ فِي الذِّي كَانَ فِيهِ مِنْهَا، وَلَمْ يَطْعَنْ بِهَ عَنِهَا.

زيد بن علي بن الحسين إمام علم وقائد ثورة

عبدالواحد العمدي

ليس من السهل الحديث عن شخصية بحجم شخصية الإمام زيد بن علي عليه السلام، إذ أنه في مثل هذه الشخصية العظيمة يتجدد تاريخ الجهاد، وتتجسد أصالة الشهادة، ويتجلى معنى العطاء والتضحية، لتبرز حقائق الإيمان المطلق بالعبودية الخالصة لله تعالى، والحرية الكاملة للإنسان، والعدالة والمساواة بين أفراد وجماعات الأمة، كل هذه القيم والمثل والمعطيات والمعاني تجسدت في روح وعقل وفكر الإمام زيد بن علي عليه السلام، وكل مفردة منها تحتاج إلى وقفاتٍ طوال، ليس من السهل علينا أن نقدمها في هذا المقال المختصر، ولكن يمكن أن نشير إلى ومضات سريعة قد تشكل لنا في مجملها صورة حية لشخصية الإمام زيد ومنهجه الإصلاحية وخطه الثوري ضد الظلم والاستبداد.

لا شك بأن الرضوخ هو منطق الضعفاء ومبرر الجبناء، ولا تتواجد هذه الصفات إلا بين أمة مفككة، إرادتها معدومة وثقافتها هزيلة، محدودة الأثر، معدومة النظر، سريعة الزوال، وكثيرة العثار، حين أدرك

الإمام زيد أن مجتمعه أصبح بهذه الصفات اتخذ قراره، وحين اتخذ قراره كان يعلم أنه يسير في طريق شائك وصعب، سيجره لا محالة إلى (الشهادة)، ولكنه رغم ذلك لم يتردد في قراره، ولم يتراجع عنه حين خذله الناس لأنه:

أولاً: كان يحمل همّ أمته وشعبه ووطنه في نفسه وضميره، وفي فكره وعقيدته، فأصبحت القضية جزءاً من مشروعه الإنساني وواجهه الديني، وبالتالي كان لابد أن يقوم بدوره ويؤدي واجبه مهما كانت النتائج، ومهما كلفه ذلك من تضحية وثمن.

ثانياً: لم يكن هدفه ولا همه الوصول إلى التغلب العسكري والتربع على كرسي الحكم، بل كان سقّف أهدافه أعلى من ذلك، فتورته في الأساس هي مشروع تحرير وإصلاح، تحرير الأمة من استبداد الحاكم الأموي، وإصلاح وبناء لما أصاب الدولة الإسلامية من اختلالات عميقة في بنيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، إثر تسلط وتعاقب أمراء البيت الأموي على رأس الدولة الإسلامية وفي عقر دارها، هذا المشروع النهضوي كان يحمل في طياته كل أسس ومبادئ بناء الدولة المدنية العادلة، ومن أبرز تلك الأسس المدنية التي كان الإمام زيد يحرص عليها: إعادة حقوق الأمة، وتحقيق حريتها وكرامتها، وإزالة حكم الفرد المغتصب لحكمها ومؤسساتها، وتصحيح مفاهيم الفكر والعقيدة من الانحراف الذي أصاب مفاصل المجتمع الإسلامي وشرعن لحكم التسلط

بكل أنماطه المختلفة باسم الدين، هذا ما خرج الإمام زيد بن علي عليه السلام من أجله: تحقيق مرضاة الله عبر تصحيح الفكر والعقيدة ومن أجل مصلحة الأمة عبر رد حقوقها المصادرة وكرامتها المسلوبة.

من هذه الأسس الثورية الراقية التي غرسها الإمام زيد بين أبناء جيله، وجعلها خطأ للأجيال القادمة من بعده، يمكننا أن نستوحي منها دروساً عملية نحن في أمس الحاجة إليها اليوم في عصرنا الحالي ولحظتنا الراهنة، منها:

• **ثورة الفكر: يُعلِّمُ الناس من خلالها أصالة الإسلام الحق، الذي جاء بفكر الحرية مقابل فكر الجبر والجمود والتبعية العمياء، لقد كانت ثورة فكرية أعادت للأمة إنسانيتها وعقلها، وكشفت زيف التبعية التي جمدت فاعلية العقل الإنساني وألغت دوره المحوري الذي جاء الإسلام ليعلي من شأنه ويجعله أساس انطلاق للأمة في مسيرتها الحياتية، يقول مصطفى العمري: "اعتقد أن من ينصف حركة الإمام زيد ويتمعن فيها ويدرسها دراسة الباحث المتأني الغير متحزب شيعياً كان أو سنياً يجد أن عقب هذه الثورة كان إسلامياً وإسلامياً خالصاً ليس فيه من السفساف المسموعة اليوم ولا الأدران التي تحجب العقل عن التفكير فتجعله طمساً ليس فيه حركة أو بريق"⁽¹⁾.**

(1) مصطفى العمري، مقال بعنوان: (مسيرة الإمام زيد بن علي عليه السلام ... أما أن للعلاء أن يعقلوها)، نشر بتاريخ: ٢٠٠٧/١١/٢ شبكة اخبار الناصرية.

• **ثورة الحرية والكرامة** يلخص للأمة فيها معنى الحرية في الحياة ويعرفهم كيف يدافعون عن حرياتهم، وكيف يحافظون عليها وأنه لا قيمة للإنسان بدون حريته، وإنه متى ما سلبت من الإنسان حريته كان من السهل سلب كرامته واستباحة دمه وعرضه، لقد ولد الإنسان حراً ولا بد أن يعيش حراً ويموت حراً، لقد منح الله حق الوجود، فمن حقه إذاً أن يعيش هذا الوجود في كل جوانب حياته، وليس لأحد أياً كان أن يحد من هذا الوجود أو يقيد حركته.

• **ثورة انتصار الدم على السيف**، وهنا عبرة وعضة ليس لها مثيل، ذلك لأن هذا السلاح لا يمتلكه أي فرد، إذ هو سلاح محله القلوب والأفئدة، سلاح لا يُكسر ولا يُدمر، ذلك السلاح هو قوة الإيمان، وصدق الإرادة، وصلابة الموقف، وقد مضى به الإمام زيد بن علي عليه السلام ليعلم الأجيال أن الدم ينتصر على السيف، ليبقى انتصاره مدوياً في الأفاق، خالداً مع خلود الزمن.

• **ثورة العطاء والفداء والتضحية**، التي تعلم الأمم والشعوب كيفية العطاء والبذل ومقدار التضحية والفداء، تعلمهم الإيثار والصمود، وتربيههم على الصدق والإخلاص، وتعرفهم أنه لا حدود أبداً للتضحية والعطاء.. مقابل حرية وكرامة الإنسان. يقول مصطفى العمري عن ثورة الإمام زيد: "لقد حَطَّتْ تلك الأناملُ العلوِيَّةُ الشريفةُ من آل الرسول (ص) في غرة ذلك

التأريخ المنصرم، خطت عهداً ووعداً وتضحيةً وفداءً، وقالت حقاً ونطقت صدقاً ودافعت بفناء. وتجلت إلى عالم أسمى، وأوسع، وأكبر، وتهجدت لله عارفة به، مؤمنة بقضائه، راضية بما هي عليه، متوشحة الفقر والحرمان والبعد والمطاردة من قبل حكام الجور"^(١).

إن ثورةً بكل هذه المعطيات لا يمكن أن يكون لها خط رجعة، لأن هذا هو عطاء الإسلام الذي لا تراجع عنه، ولا حدود لقيمه ومبادئه، والإمام زيد بن علي عليه السلام عندما خرج انطلق من تلك المعطيات وأعلن ثورته تحت نداء العدالة والحرية والكرامة.

فأصبحت ثورته مقياساً جديداً للثورات، لتنجب لمبادئ الإنسان معانياً أشمل، ودروساً أوثق، وعبراً أدق وأعمق، فتحول الفرد إلى إنسان الحرية، والجماعة إلى ثورة الأحرار، والموت إلى حياة الشهادة، والعطاء إلى بذل الروح.. معان لا حدود لعمقها، ومواقف لا نظير لها، وضياء صفحات لا سطوع لغيرها، عبرة مؤثرة، وذكرى خالدة، ونصر مؤزر، ورضوان من الله. ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ذلكم هو الإمام زيد بن علي، العالم العارف، الفارس الشجاع، والقائد المجاهد، والعابد الزاهد، الذي تعد حياته منهج حركة وكفاح، ودروس

(١) مصطفى العمري، مقال بعنوان: (مسيرة الإمام زيد بن علي عليه السلام... أما أن للعلاء أن يعقلوها)، نشر بتاريخ: ٢٠٠٧/١١/٢ شبكة اخبار الناصرية.

عمل وإصلاح، وتعتبر شخصيته نموذجاً لما يجب أن يكون عليه الرسالي، تلکم هي صورة الإصلاح والتفاني، والغيرة والإخلاص، وحب الخير للأمة، قد تمثلت في هذه الشخصية الفذة.

لقد سقط شهيداً من أجلنا نحن الأجيال؛ لأنه أراد أن تصلنا المفاهيم والقيم التي جاء الإسلام لترسيخها وهي خالية من الشوائب والتزييف.

كلمة لمحبي الإمام زيد (ع):

يكتب البعض عن الإمام زيد بن علي عليه السلام فيؤطره ويحصره في قالب رباعي وكأنه ملكية خاصة لجماعة معينة أو مذهب معين أو طائفة محددة، وفي حقيقة الأمر هذا غير صحيح وينم عن قصور في فهم أبعاد وخصائص مثل هذه الشخصية العملاقة، وما تمثله من انعكاس أصيل وعميق لمبادئ الإسلام العليا وقيمه السامية، فمثل الإمام زيد بن علي والإمام الحسين لا سبيل للإلباسهما عباءة المذهبية ولا يمكن أن يكونا علامة تمييز لجماعة محدودة من الناس، إنه من الظلم والجهل أن ندخل الإمام زيد بن علي في مثل تلك الدوائر المغلقة على نفسها، ولو درسنا وتأملنا بعمق معطيات شخصية الإمام زيد ولو تتبعنا مسيرة حياته العلمية والإنسانية والجهادية لأدركنا أنها تفوق بمراحل واسعة تصوراتنا الذهنية المؤطرة وما يملؤها من ادعاءات تشكل رؤيتنا وفهمنا القاصر لشخصية كالإمام زيد وأمثاله من رواد النهضة الإنسانية.

إن الإمام زيد بن علي عليه السلام عنوانٌ عالمي لراية العدالة الإنسانية التي لا حدود لها، إنه ميراثٌ للبشرية جمعاء، وليس لطائفة معينة، وما انتسابنا إليه إلا انتماء فخر واعتزاز وإيمان بأهدافه النبيلة التي ناضل وجاهد لتحقيقها من أجل حرية وكرامة وحقوق الإنسان، وهذا الانتماء يحملنا مسؤوليات كبرى، من أهمها كيف يجب أن نقدم هذه الشخصية العظيمة للعالم بكل ما تحمله من معطيات ورؤى وقيم ومبادئ، مسؤوليتنا تحتم علينا أن نقدم الإمام زيدا للعالم كقائد لثورة العدل والحق والتوحيد عبر التاريخ، لا أن نقدمه كإمام مذهب فقهي، أو إمام علم أصولي، لا شك أنه جمع من العلوم أوسعها وكان بحراً في كل فنون العلم، لكنه كان أيضاً يحمل ما هو أكبر من ذلك وما يؤهله ليكون رمزاً من رموز التاريخ البشري، والدليل على ذلك أنه فجر ثورة كبرى ليحقق العدل والحرية والعزة والكرامة للإنسان، وليس من أجل الانتصار لطائفة أو جماعة، وإلا لما بقيت ثورته خالدةً إلى يومنا هذا، ولأن الخلود والبقاء لا يتحقق إلا لما يتمتع ويمتلك خصائص العالمية، وثورة الإمام زيد والإمام الحسين هما من هذا النوع الفريد والنادر في حركتهما النهضوية المؤثرة في حياة كل إنسان. إذاً فشخصية الإمام زيد سلام الله عليه كان لها تأثير بالغ في البشرية لما أحدثته هذه الشخصية الفذة من تغيير في المفاهيم والثقافات لدى الملايين عبر التاريخ.

• ثورة الإمام زيد ثورة فكرية أعادت للأمة إنسانيتها وعقلها، وكشفت

- زيف التبعية التي جمدت فاعلية العقل الإنساني وألغت دوره المحوري.
- ثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام تعلم الأمم أن الدم ينتصر على السيف.
- إن الإمام زيد بن علي عليه السلام عنوان عالمي لراية العدالة الإنسانية التي لا حدود لها، إنه ميراثٌ للبشرية جمعاء، وليس لطائفة معينة.
- مسؤوليتنا تحتم علينا أن نقدم الإمام زيداً للعالم كقائد لثورة العدل والحق والتوحيد عبر التاريخ، لا أن نقدمه كإمام مذهب فقهي، أو إمام علم أصولي.
- الإمام زيد بن علي كان يحمل رسالةً تؤهله ليكون رمزاً من رموز التاريخ البشري .. لأنه كان يتمتع ويمتلك خصائص العالمية.
- الإمام زيد ليس ملكيةً خاصةً لمذهب أو طائفة، بل هو قائد كل الأحرار في العالم، وملهم كل الثوار الذين ثاروا من أجل الحرية والعدالة الإنسانية.
- إن شخصيته ورسالته تفوق بمراحل واسعة تصوراتنا الذهنية المؤطرة وما يملؤها من ادعاءات تشكل رؤيتنا وفهمنا القاصر لشخصية كالإمام زيد وأمثاله من رواد النهضة الإنسانية.
- مسؤوليتنا تحتم علينا أن نقدم الإمام زيد للعالم كقائد لثورة العدل والحق والتوحيد عبر التاريخ، لا أن نقدمه كإمام مذهب فقهي، أو إمام علم أصولي.

أخيراً: يجب أن ندرك جميعاً بأن الإمام زيد بن علي عليه السلام ليس ملكية خاصة لمذهب أو طائفة، بل هو قائد كل الأحرار في العالم، وملهم كل الثوار الذين ثاروا من أجل الحرية والعدالة الإنسانية، لأنه من خلال منهجه الثوري أراد أن يُعَلِّم الناس أصالة الإسلام الحق، الذي جاء لتحرير البشرية من أغلال الجهل والجمود، لذلك أسس لثورة العدالة والحرية، التي أعادت للأمة هويتها وإنسانيتها، وأزاحت عنها أصنام الجهل والاستبداد والتغلب التي جثمت على صدور الناس وألغت وجودهم وصادرت حقوق حياتهم في العيش والشراكة المشروعة في الثروة والبناء والتطور، من أجل هذا خرج الامام زيد وقدم نفسه وماله وأهله في سبيل الإنسانية، وحلق بروحه الخالدة في سماء الطهر، مخلفاً وراءه سمو الشهادة، وعطاء الحرية، وكرامة الإنسان.

الإمام زيد.. شرعية الخروج وأهداف الثورة

بقلم/ محمد قاسم المتوكل

الحديث عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام وثورته الخالدة هو حديثٌ عن واقع وتجسيد قيَم إنسانية، ومبادئ إسلامية، ومعانٍ سامية، ومُثُل أصيلة، وأهداف نبيلة، ومقاصد فريدة، وغايات عظيمة، نشأ زيدٌ على الفضيلة، وتربى على التقوى وطلب العلم، عاش مع القرآن وأمضى حياته في التدبّر لمحكم آياته والمتشابه منها، انطلق من روح الإسلام فمثّله في أبهى صورهِ وأسمى معانيهِ، سارَ على النهج الحسيني والمبدأ العلوي والرسالة المحمدية فجسّد ذلك النهج القويم في حياته ومجتمعه روحاً ومعنى، قولاً وفعلًا، سلوكاً وسيرة، فداءً وتضحية، فهو بعد أن أبان الحجة وأظهر المحجة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، نصح وكتبَ وبيّنَ وناظرَ وحذّرَ وهدّدَ حتى خرَجَ نائراً شاهراً لسيفه في وجه الطفيلان والجبروت؛ إعزازاً لدين الله عزّ وجل وإصلاحاً لحال الأمة، وتقويم ما آلت إليه من اعوجاجٍ في القيم، وانحرافٍ في الأخلاق، وفسادٍ في الاقتصاد، واختلالٍ في السياسة، وتشويهٍ لمبادئ الدين الحنيف من قِبَل سلاطين الجور وحكّام الظلم، وأرباب الفساد من بني أمية وأتباعهم.

ومن هذا المنطلق قال الإمام زيد في رسالته الشهيرة إلى العلماء حينما رأى الأمة تعيش واقعاً مُشابهاً لحياة الأنعام ومُنفصلاً عن هداية الله تعالى؛ ممّا يعني أنّ المسؤولية أُلقيت على كاهل رجال الدين وعلماء الأمة: "وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة... إلى أن قال: كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حقّ الله تعالى، فلا تكونوا عند إيثار حقّ الله تعالى غافلين، ولأمره مُضيعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى، وكراعة استوفوا الأجر وضلّوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء" ثمّ مضى يستنهضهم إلى أداء واجبهم بمسئولية تامّة؛ لإنقاذ البشرية وإخراجها ممّا هي فيه من ظلماتٍ وجهلٍ، وغيٍّ وانحراف.

شرعية خروج الإمام زيد وأسباب ثورته:

استناداً لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وامتنالاً لقول النبي محمد ﷺ: "لتأمرنّ بالمعروف وتنهعنّ عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم" وإيماناً منه بأنّ السكوت على جور الحاكم وانحرافه له نتائج الكارثية على جوهر الدين ومبادئه في حاضر الأمة ومستقبلها، واستشعاراً للمسئولية المتمثلة في ضرورة القيام بواجب تغيير واقع الأمة وما آلت إليه من مخالفة لتعاليم الإسلام

والخروج عن قيَمه والتي منها: الحيف في الحكم، وتعطيل الحدود، وقتل الأبرياء، والتهالك على اللهو والمجون، وتكميم الأفواه، وحصار الكلمة، وتوريث الحكم دون مؤهل أو كفاءة، وانتهاك مُقدّسات المسلمين وإسقاط هيبتها حتى سُبَّ رسول الله في مجلس هشام ولم ينكر ذلك، بالإضافة إلى العبث بأموال المسلمين ومقومات عيشتهم حيث انحصرت الأموال في أيادي شلّة من العابثين الذين أفقرُوا المجتمع وأنفقوا الخزينة العامة لتحقيق شهواتهم وملذاتهم، وكذا الإساءة إلى أهل البيت ومحاولة طمس آثارهم والعدوان المتكرر عليهم وتعريضهم للذل والهوان؛ من أجل كُـلِّ ذلك؛ وانطلاقاً من تلك الرؤى والأهداف التي صاغها الإسلام في مواجهة انحراف الحاكم الظالم والمستبد ابتداءً بالكلمة والنصح والمشورة ومروراً بالتحذير والتهديد؛ خَرَجَ الإمام زيد في وجه الطغيان باذلاً نفسه في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وإصلاح أوضاع الأمة بعد أن بذل جهده في تصحيح المفاهيم - حيث عانى في الدفاع عن مبدأ الخروج على الظلم وبعثه من جديد، فكتبَ وناظر مُستدلاً بالأحاديث الصحيحة والتي سمعها عن آبائه عن رسول الله ﷺ والتي منها: "إنَّ أفضل الشهداء رجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره بتقوى الله ونهاه عن معصية الله، وجاهد مُقبلاً غير مدبر، فُقُتِلَ وهو كذلك" وغيره من الأحاديث - فقاتل قتال الأبطال حتى ارتقى شهيداً إلى جوار ربّه مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

من أهداف ثورة الإمام زيد:

لم يكن الإمام زيد ليستكت أمام ذلك الحال التعيس والواقع المنحرف والذي عَصَفَ بمسيرة الحياة وألقى بظلاله على المجتمع، فشاع الظلم وظهر الجور وانتشر الفساد، فقال مقولته الشهيرة: "كيف أسكن وقد حُوِّفَ كتاب الله وتحوكم إلى الجبت والطاغوت" وقال أيضاً: " وددتُ أنَّ يدي مُعلّقة بالثريا ثمَّ أهوي فأقع حيث أقع وأصير إلى رحمة الله وأتقطع قطعة قطعة، وأنَّ الله يُصلح بي أمر هذه الأمة" فمن أجل تحقيق تلك الغاية والهدف الأسمى الذي هوى إليه زيد وشَخَّصَ إليه بصره؛ انطلق مُسَطِّراً أروع البطولات وأخلدها، فقاتل الظالمين والمُفسدين وجاهدهم، مُعَمِّداً ذلك بروحه الطاهرة ودمه الزكي الذي انتصر على السيف؛ ليرسم للأجيال من بعده طريقاً يستنبرون به في مُواجهة الظالمين؛ لتكون كلمة الله هي العليا؛ ولتحقق عدل الله في أرضه وبين خلقه، مُزِعزِعاً بذلك عروش الطغاة والمستكبرين إلى أن يرث الله الأرض ومنَّ عليها.

وعند التأمل في رسائل وكتابات وبيعة الإمام زيد نجد أنَّه لم يكن طالباً مُلكاً ولا جاهاً ولا سلطاناً، فهو مَنْ قال حين خفقت الرايات على رأسه: "الحمد لله الذي أكمل لي ديني، أما والله لقد كنت أستحي أن أقدم على محمد صلى الله عليه وآله ولم أمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر" ثمَّ أوصى ولده يحيى قائلاً: "يا بني جاهدهم فوالله إنَّك لعلى الحق وإنَّهم

على الباطل وإن قتلاك لفي الجنة وإن قتلاهم لفي النار"،

كما أن خروجه وثورته ليس من أجل الانتقام من الأمويين جرّاء ما فعلوا به، بل إن أهداف ثورة الإمام زيد أهدافٌ رسالية وسامية تمثلت في إحياء كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وحماية مقدسات المسلمين، وتحقيق العدل والمساواة بين الناس، والمحافظة على الحقوق والحريات وتوزيع مال المسلمين بين الجميع، ومناصرة المظلومين والدفاع عن المحرومين، واحترام حق أهل البيت ونصرتهم ودفع الأذى عنهم، وما أعظم ما قاله ﷺ لأنصاره: "لا تقولوا: خرجنا غضباً لكم - أي من أجل أهل البيت والثأر لهم فقط - ولكن قولوا: خرجنا غضباً لله ودينه" وكذلك ما قاله لأصحابه تأكيداً لهم على ضرورة معرفة الهدف الذي يُقاتلون من أجله فقال: "عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا في سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة ثم القتال... إلخ".

وفي الختام: حين يكون الموت في سبيل الانتصار للمبادئ والمحافظة على القيم والغيرة على الدين هنا يصبح الموت شهادة وتحول الهزيمة إلى انتصار خالد وعز دائم لا ينتهي بانتهاء الجسد وإنما يخلد بخلود الروح، وهذه هي الحقيقة التي لا نقاش فيها ولا جدال، وهي أن الموت في سبيل الله شهادة والفناء في سبيل الحق خلود، ومهما حاول أعداء الحقيقة طمسها ومواراتها عن العيون والأنظار فلن يستطيعوا ذلك وستبوء محاولاتهم بالفشل؛ لأن الله تعالى يقول: "ليحق الحق ويُبطل

الباطل ولو كره المشركون" ولنا في تأريخ وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام خير دليل على تلك الحقيقة ابتداءً بالإمام علي ومروراً بالحسن والحسين وزيد والنفس الزكية والحسين الفخي والهادي.. وغيرهم.. وسلام الله عليهم أجمعين.

الإمام زيد عليه السلام .. علمٌ وجهاد

عبدالمك الشريقي

المرحلة العلمية

لاشك أن بني أمية نجحوا في تأسيس أرضية تحمل البناء الهش للإسلام الجديد .. إذ قاموا بتغيير مفاهيم كثيرة من مفاهيم الإسلام، بغرض إفراغه من محتواه بما يجعله شكلياً لأمعنى له في إعداد الإنسان الكامل وبناء الحياة ..

وقد عاش الإمام زيد عليه السلام في ظل هذه الإمارة وبنو أمية في أوج ملكهم وإحكام سيطرتهم، وشاهد ما شاهد من نقض عرى الدين وتفطيت أواصره .. وقد واجه بنفسه اثنين من المقربين إلى هشام بن عبدالمك "الحاكم الأموي في عصره" وقام بمحاججتهما ورد كيدهما، أما أحدهما فسرجون النصراني الوزير المالي لهشام، وأما الآخر فيهوديٌ أحد مستشاريه وأمنائه، وقد سمعه الإمام زيد عليه السلام يسب رسول الله عندما دخل على مجلس هشام، فوثب إليه الإمام عليه السلام ليقضي عليه لولا أن هشاماً منعه وحال بجنوده بينهما ..

ولأن الإمام زيداً عليه السلام كان يدرك خطورة ذلك فقد سعى إلى بناء

الأفكار وتصحيح المفاهيم، وترسيم الدين على وفق ما أنزل أول مرة على خاتم الأنبياء ﷺ .. وكان لا بد من ذلك كمرحلة مهمة لبناء الدولة الإسلامية .. وبالذات مع انتشار تلك المفاهيم التي تعيق الناس عن النهوض لتغيير واقعهم وبناء نهضتهم، كمسألة الجبر والإرجاء، وطاعة ولي الأمر الظالم .. وغيرها من المسائل الهامة التي تؤثر على حركة الناس وتعاملهم ..

ومن هنا كانت هذه الثورة العلمية التي اختطها الإمام عليّ عليه السلام في بادئ الأمر ضرورة لخلق مجتمع يفهم الإسلام على حقيقته، ويدرك الدين بمحمدية .. حتى يكون قادراً على النهوض وبناء المجتمع السوي في كل شؤونه..

وقد انطلقت ثورته العلمية من خلال الخطوات الآتية :

إحياء المدرسة العلمية ..

ما من شك أن التعليم هو الوسيلة المثلى لخلق جيل واعٍ بدينه وواقعه، متّزنٍ في قوله وأفعاله، ملتزم بأفكاره ومبادئه .. وغير ذلك لا ينتج عنه إلا عقلٌ سطحيّ، وثقافة منحسرة، ووعي بسيط .. قد يتلاشى مع هبة ريح، أو تتمتة ناعق .. وتنتهي بفوضى فكرية، وتباينات أخلاقية .. كما هو حاصل في مجتمع اليوم ، كما كانت في كل المجتمعات بالأمس ..

ولذلك فقد أحيا الإمام زيد عليه السلام تلك المدرسة العلمية التي شيدها أبوه زين العابدين وأخوه الباقر عليهما السلام .. ومضى على بنائهما

الأول يصيغ الفكر ويبني الروح، ويُعدُّ الرسالي كيما يبعث الروح الإسلامية في جسد الأمة من جديد بعد أن تم اغتيالها باغتيال أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم انتزاع معاوية بحكم الأمة فالفتك بالإمام الحسن عليه السلام وانتهاء بواقعة كربلاء الأليمة ..

وقد نتج عن تلك المدرسة التي أرسى بناءها الإمام زيد عليه السلام بيئة أصولية فقهية ثورية جهادية .. أعادت إنتاج الفكر وهيكله الحياة، وبناء المجتمع عبر الأجيال المتعاقبة .. من خلال موروثه العلمي، ورصيده الجهادي .. الذي أنتجتهما هذه المدرسة ..

وكان من أبرز روادها : الإمام يحيى بن زيد، والإمام عيسى بن زيد، والحسين بن زيد، والإمام جعفر الصادق، والإمام عبد الله بن الحسن الكامل، وأبو خالد الواسطي، وشعبة بن الحجاج العتكي، ومنصور بن المعتمر، وثابت بن دينار الشمالي، وجابر بن يزيد الجعفي، وسلمان بن مهران الأعمش .. وغيرهم الكثير بمن فيهم أئمة المذاهب الأربعة .. وذلك أن الشافعي أخذ العلم عن يحيى بن خالد المدني، وإبراهيم بن أبي يحيى المدني، وهما قرءا على الإمام زيد بن علي، وكذلك أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ من تلامذة الإمام زيد بن علي وأتباعه، ومالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة ١٧٩ قرأ على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وأفتى بالخروج مع محمد بن عبدالله وأخيه الإمام إبراهيم بن عبدالله عليه السلام، وأحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤هـ أخذ عن الشافعي وألف المناقب..

إعادة القرآن إلى واقع الأمة ..

لا يخفى على أحد أن للسلطان الأموي الدورَ الأبرز في إفراغ القرآن من محتواه، وجعله قراطيس بيدونها ويخفون كثيراً منها .. إلى جانب التلبس للمفاهيم الأساسية وإخراجها من سياقها المطلوب، وتحويلها من معناها المنزل ..

وهنا سعى الإمام زيد عليه السلام لإرجاع الناس إلى القرآن .. باعتباره الدستور الأول الذي لا بد أن تستقي منه الأمة مفاهيمها، وتأخذ عنه آراءها، وتحتكم إليه عند الاختلاف، وترجع إليه لدى النوازل ..

فكان من أهم الخطوات التي سلكها لإعادة القرآن إلى واقع الأمة :

- إحياء عظمة القرآن في النفوس، فكانت وصايا عظمة في ذلك .. منها قوله عليه السلام : (وأوصيكم أن تتخذوا كتاب الله قائداً وإماماً، وأن تكونوا له تبعاً فيما أحببتم وكرهتكم، وأن تتهموا أنفسكم وأريكم فيما لا يوافق القرآن، فإن القرآن شفاء لمن استشفى به، ونور لمن اهتدى به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به رَشَدًا، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَاحٌ، ومن خالفه كَفَر، فيه نبأٌ من قبلكم، وخبرٌ معادكم، وإليه منتهى أمركم، وإياكم ومشتبهات الأمور وبدعها، فإن كل بدعة ضلالة).

- توضيح معالم القرآن وتبيين مفاهيمه .. من خلال تفسيره القرآن في المحافل المختلفة، والمناسبات المتعددة، وما وجد لذلك فرصة .. حتى وهو

في السجن فقد كان يعطي السجناء درساً في تفسير القرآن .. قال الإمام المرشد بالله: أخبرنا الشريف أبو عبدالله، قال: أخبرنا محمد بن جعفر النجار قراءة عليه، قال: حدثنا إسحاق بن محمد التمار المقري، قال: حدثنا محمد بن سهل العطار، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالله الأنصاري البلوي، قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن يعلى، قال: حدثني أبي، قال سمعت أبا غسان الأزدي يقول:

قدم علينا زيد بن علي الشام أيام هشام، فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا - ونحن في الحبس - تفسير الحمد وسورة البقرة، يهذُّ ذلك هذاً (...).

- مناقشة تلك الأفكار المنحرفة، ومناظرة أصحابها .. ممن ظنهم عامة الناس علماء أجلاء متقين، بينما هم خواء زينهم الشكل وأبدعهم المنظر، لا يملكون من الحجة إلا ما موهته الشبه، وفرضته الملوك ..

وقد أوجدت مناظراته مع الخصوم، ومناقشته لآرائهم ثورة فكرية ونهضة علمية .. أعادت للأمة رسم الثقيلين "الكتاب والعترة" اللذين تركهما رسول الله لهم أمنأً من الضلال .. إذ كان القرآن والإمام زيد قرينين يتجلى كلُّ منهما بالآخر .. ولذا فهو "حليف القرآن" ..

تصحيح مفهوم السنة النبوية ..

ابتدئُ وضعُ الأحاديث والكذب على رسول الله منذ عهده عليه السلام، ولكنها كانت خافتة لترصُّد القرآن بفضح المنافقين ، وبالتالي خشيتهم أن تنزل

فيهم سورة تكشف أمرهم وتفضح سوءتهم .. فكانوا يخفون من وطأتهم ويقيدون من حركتهم في شتى أمورهم الكيدية على تشويه الإسلام وتلبس أمره .. وقد حكى الله هذا بقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

وما إن توفي رسول الله وانقطعت صلة السماء بالأرض حتى ازدادت حدة الوضع للأحاديث المكذوبة، وترافق مع ذلك الحث على أهمية اتباع السنة ولزوم أمرها من قبل الملوك، لا حياً في السنة ولا اهتماماً بالشريعة .. ولكن لما في السنة من أحاديث موضوعة، تشيد مملكتهم، وتبقي عروشهم .. وفوق ذلك تلبس على العامة دينهم ..

وبالفعل .. فقد صار الاهتمام بشأن السنة مقدماً على الاهتمام بالقرآن، بل وبلغ الأمر حد الإفراط، لدرجة أن يؤمنوا بكل ماسمعهه مروياً عن رسول الله حتى وإن خالف القرآن وتناقض معه ..

وقد حدا بالإمام علي عليه السلام إن يقف حائلاً أمام ذلك الهرج عندما ازدادت شدتها في حقبته، فبين في أكثر من موقف حقيقة السنة وخطورة الوضع فقال في ذلك كلاماً يوضح مفهوم السنة النبوية ..

والأمر لم يقف على تلك الفترة، بل امتد إلى الأزمنة المتتابعة عبر خليط من الأهواء، وتمازج من الآراء .. إذ استمرت حركتها، وتتابعت وسائلها لما فيها من التأثير الملحوظ على تدين الناس وإسلامهم ..

وهنا وقف الإمام زيد عليه السلام ليبين لهم أمر السنة وحقيقتها .. فمما قاله في شأن السنة : (كتبت تسألني عن رواة الصحابة للأثار عن الرسول صلى الله عليه وآله، وقلت: إنك قد نظرت في روايتهم فرأيت فيها ما يخالف الحق. فاعلم يرحمك الله أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته إلا وقد أثبت الله حججه عليهم، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحدّث الذي كان من بعده، وإنه يكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله، وأنا برىء منه».

وهنا لم يقيم الإمام زيد عليه السلام بنفي السنة تماماً .. كما حدث من بعدُ على إنكار السنة وإبطال وقوعها، كردة فعل على من أفرط في إثبات السنة كما حدث من البعض، أو بغرض هدم الإسلام كما وقع من البعض الآخر ..

والأمر يقف عند التوسط بين الإفراط والتفريط، فلا الإثبات مطلقاً ولا النفي مطلقاً .. وإنما السنة حق ومصدر من مصادر التشريع كما قال الإمام زيد عليه السلام : (ما ذهب نبي قط من بين أمته إلا وقد أثبت الله حججه عليهم، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته ..) .. لكن على الإنسان أن ينظر في أمرها، ويأخذ بما وافق القرآن منها.. كما بين عليه السلام (فما كان

من بدعة وضلالة فإنما هو من الحدّث الذي كان من بعده، وإنه يكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله، وأنا برىء منه».

المرحلة الجهادية ..

ثم سعى الإمام زيد عليه السلام إلى إحياء مبدأ الجهاد في واقع الأمة، وذلك من خلال ترسيخ الأولويات الآتية :

الخروج على الظالم ..

لاشك أن من أولويات بناء الدولة الإسلامية هو إزالة الحاكم الظالم .. حتى يتسنى للشعب أن يضعوا مكانه من يملك الأهلية لإقامة الحق وإرساء العدل .. وهذه الأولوية " الخروج على الظالم " هي التي أحيها الإمام زيد عليه السلام من جديد .. بعد أن كادت تدرس من حياة الشعوب إثر الثقافات المغلوطة التي سعى بنو أمية لفرضها في عقول العامة حتى يحفظوا ملكهم من غضب الشعب وثورته العارمة ..

وقد استخدمت الدولة الأموية كل وسيلة لإقناع الناس على وجوب طاعة الحاكم الظالم مالم يُظهر كفراً بواحاً على حد زعمهم .. ولم يُخف التاريخ أبرز تلك الأساليب المعتمدة كالترغيب والترهيب واستخدام

الفتاوي المضللة من قِبَل علماء السوء الذين صنعوهم لهذا الغرض الخطير ..

وقد سعى الإمام زيد عليه السلام لإرساء مبدأ " الخروج على الظالم"، من خلال الآتي :

توعية المجتمع بحقيقة الظالم عند الله، وأنه ملعون .. حتى أنه كان يحذر من الصلاة خلفهم وتكثير جماعتهم .. وقد أجاب من سأله عن الصلاة مع أئمة الجور بقوله : (إني أرى لك ألا تُكثِرَ جماعاتهم، فإنهم ملعونون، والله إن الظالم إذا ذكر الله بلسانه لعنته الملائكة عليه السلام، وقالت: لست من أهل الذكر. وإنه ليتكلم بكلمة الإخلاص، فتقول الملائكة عليه السلام لست من أهلها).

١- **حض الناس على إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. من خلال التذكير المستمر بماهيته وأهميته وعاقبته ... إلخ.**

قال عليه السلام : (واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هيئها وشديديها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، وردّ الظالم، وقِسْمَةِ الفَيءِ والغنائم على منازلها، وأخذ الصّدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى لكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالْتَقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾ ..

٢- استنهاض العلماء للقيام بواجبهم تجاه ردع الظالمين .. باعتبارهم الشريحة التي تثق العامة بهم، وتنهج نهجهم، وقد أرسل إليهم برسالة عظيمة .. عرفت برسالة الإمام زيد إلى علماء الأمة .. يستنهضهم فيها ويذكرهم بمسئولياتهم وكذلك الإنكار على علماء السوء الذين سكتوا أو داهنوا أو ساندوا حكام الجور والظلمة فكان مما قال لهم : (فيا علماء السوء، هذا مهآدكم الذي مهآدموه للظالمين، وهذا أمانكم الذي اتتمتموه للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين، فأنتم معهم في النار غداً خالدون: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾، فلو كنتم سلّمتم إلي أهل الحق حتهم، وأقررتهم لأهل الفضل بفضلهم، لكنتم أولياء الله، ولكنتم من العلماء به حقاً الذين امتدحهم الله عز وجل في كتابه بالخشية منه.

فلا أنتم علمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضال، ولا أنتم في خلاص الضعفاء تعملون، ولا بشرط الله عليكم تقومون، ولا في فكآك رقابكم تعملون.

يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكروا في أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.

يا علماء السوء إنما أمنتكم عند الجبارين بالإذهان، وفزتكم بما في أيديكم بالمقاربة، وقربتم منهم بالمصانعة، قد أبحتم الدين، وعطلتم القرآن، فعاد علمكم حجة لله عليكم، وستعلمون إذا حشرج الصدر، وجاءت الطامة، ونزلت الداهية).

استنصار الشعب ..

لا يمكن تطبيق ذلك المشروع الإسلامي العظيم ما لم يكن للشعب دور في إزاحة الظالمين من عرش الحكم وكرسي الولاية .. ولذا فقد توجه الإمام عليه السلام بطلب الإعانة من الناس في الوقوف في وجوه الظالمين حتى يتسنى له إقامة الحق وإرساء العدل .. فقال: (فإعينوني على أنباط^(١) أهل الشام، فوالله ما يعينني عليهم أحد إلا أتى يوم القيامة آمناً حتى يجوز على الصراط ويدخل الجنة).

ولم يهتم الإمام زيد عليه السلام بحجم الشعب من حيث الكثرة والعدد بقدر ما كان يهتم بنوعية الأفراد الذين سيحملون الثورة ويواجهون الطغاة؛ إذ أن السيل الجارف من الشعب قد يصبح غشاء إذا لم يكن يحمل وعياً كاملاً بقضيته، ويمتلك مبدأً عادلاً في توجهه، ويكون ذا دين وورع في معاملته .. ومن هنا فقد رسم الإمام زيد عليه السلام طبيعة الثورة ونوعية أصحابها عندما علم بدغل السريرة وسوء النية من بعض أتباعه .. فقال عليه السلام: (أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم أن قائلاً يقول: إن بني أمية فيئاً لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتصدق دعوانا عليهم!! حكم بلا علم، وعزم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجبت لمن نطق بذلك لسانه، وحدثته به نفسه، أكتاب الله أخذ؟ أم بسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حكم؟ أم طمَع في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور

(١) أخلاط وعوام الناس.

له؟ هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطى الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يخط المنصف حظه، ولم يبق الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحق أنفه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون..

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ومن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق، كل نفس تسمو إلى مناها، ونعم صاحب القنوع، وويل لمن غصب حقاً، أو ادعا باطلاً.

(أيها الناس، أفضل العبادة الورع، وأكرم الزاد التقوى، فتورعوا في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وإياكم والعصية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدين، ويورثان النفاق).

وهكذا نلاحظ في هذه العجالة أن الإمام زيداً جمع بين العلم والجهاد لتثبيت الشريعة الإسلامية وتحقيق العدالة في المجتمع، وبالتالي لا مجال للفصل بينهما لأن كليهما مرتبط بحجزة الآخر لا انفصام بينهما في تحقيق مراد الله على هذه الأرض .

وصلى الله وسلم على محمد وآله

الإمام زيد (ع)

وملامح الاقتصاد الإسلامي^(١)

عبدالملك محمد الشرقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين،
وأله الطاهرين، وصحابته المنتجبين ..

وبعد ..

فقد سعى الإمام زيد عليه السلام منذ اللحظة التي أدرك فيها انقلاب
الإسلام على أم رأسه إلى إعادة الإسلام إلى مربعه الأول .. وبالذات في
أهم مسألة تتعلق بجوهر الإسلام، وهو نظام الحكم .. والذي تنبني من
خلاله كافة التشريعات الحياتية، وشتى المعاملات الحيوية .. فبصلاح
نظام الحكم تصلح حياة البشرية، وبفساده تتعثر كل الإصلاحات المرجوة،
والمساعي الحثيثة ..

وهنا سعى الإمام زيد عليه السلام لبناء تلك الدولة الإسلامية .. التي انهدم

(١) ورقة مقدمة في ندوة أقامتها رابطة علماء اليمن بعنوان (حاجة الأمة إلى ثورة وفكر الإمام

زيد عليه السلام) / ٢٢ / محرم ١٤٣٩ هـ

بناؤها وتغيرت ملامحها، وتحولت إلى إقطاعات تهتم فقط بالأسرة الحاكمة على حساب قهر بقية أبناء الشعب وتعبيدهم ..
وعندما نهض بمهمة الدعوة إلى نفسه .. كان يرسم للناس ملامح المشروع الذي يسعى إلى تطبيقه .. بدايةً من إثبات أهليته بهذا المقام ..
من خلال:

- **كونه أعلم أهل بيته** بما تحتاج إليه هذه الأمة .. وقد قال عليه السلام في هذا الشأن: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنكم لن تسألوا مثلي، والله لا تسألوني عن آية من كتاب الله تعالى إلا أنبأتكم بها، ولا تسألوني عن حرف من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنبأتكم به، ولكنكم زدتم ونقصتم وقدمتم وأخرتم فاشتبهت عليكم الأخبار).

وقال أيضاً: (أيها الناس، والله ما قمت فيكم حتى عرفت التأويل، والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وإني لأعلم أهل بيتي بما تحتاج إليه هذه الأمة، ولقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم أبي الحسين بن علي، وعلم أبي علي بن أبي طالب، وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ..

- **كونه أروع أهل بيته** .. بما يضمن لهم حفظ الحدود من الانتهاك، وصيانة الأموال من السرقة، وحماية الثروات من العبث .. قال عليه السلام: (وإنني لأعلم أهل بيتي. والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت لله محرماً منذ عرفت أن الله يؤخذني، هلموا فاسألوني).

وهكذا يخبر عليه السلام بالقول الصريح أنه أعلم أهل بيته بما تحتاج إليه هذه الأمة .. وهذا يعني أنه يملك مشروعاً متكاملًا لبناء دولة إسلامية، وكذلك يصرح بأنه أروعهم .. بما يعني ضمان إقامتها على الوجه الرباني .. الذي يرسى العدل، ويضمن لكافة الناس الحياة الكريمة ..

وهنا ؛ فلا يمكن تطبيق ذلك المشروع الإسلامي العظيم ما لم يكن للشعب دور في إزاحة الظالمين من عرش الحكم وكرسي الولاية .. ولذا فقد توجه الإمام عليه السلام بطلب الإعانة من الناس للوقوف في وجوه الظالمين حتى يتسنى له إقامة الحق وإرساء العدل .. فقال عقيب إخبارهم بأنه أعلم أهل بيته : (فأعينوني على أنباط أهل الشام، فوالله ما يعينني عليهم أحد إلا أتى يوم القيامة آمناً حتى يجوز على الصراط ويدخل الجنة) ..

وبهذا التمهيد الموجز الذي يعرض بشكل سريع امتلاك الإمام زيد عليه السلام لمشروع إسلامي متكامل .. نخرج إلى مذهب الإمام زيد عليه السلام الاقتصادي بشكل إجمالي ومختصر، وسيكون العرض في هذه الورقة على مقدمة ومحورين:

مقدمة أهمية النظام الاقتصادي الإسلامي

لو أردنا ان نفهم أولوية التطبيق للدولة الإسلامية، في حال لو نجح الإمام زيد عليه السلام في ثورته .. فما علينا إلا أن نركز على أركان دعوته وفقرات خطاباته خلال فترة التحضير لقيام الثورة .. والذي يركز حول الجانب المالي .. والذي يعرف اليوم "بالنظام الاقتصادي" ..

وقد يقول قائل : هل هذا كل شئ فيما يتعلق ببناء الدولة الإسلامية .. حتى نرى الإمام زيداً يغفل القضية الاجتماعية، وما شاكلها من القضايا المهمة في بناء المجتمع ..

نقول : لم يغفل الإمام زيد عليه السلام أي قضية محاطة ببناء المجتمع .. لكنه أعطى الأولوية للجانب الاقتصادي ؛ لأنه يعتبر أس القضايا فيما يتعلق ببناء المجتمع الإسلامي.

وليس بمستغرب هذا الاهتمام نظراً لأهمية المال والاقتصاد في بناء الفرد والمجتمع .. قال الله تعالى في سورة النساء : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ..﴾ .. فالمال إذن قوام الحياة، وإذا كانت الحياة لا تقوم إلا بالمال فلا بد أن تكون التشريعات المتعلقة بعالم المال على قدر أهميته وعمق تأثيره في حياة الناس .. ولذا فقد ترتب على القضية الاقتصادية بقية القضايا المجتمعية.

فعلى سبيل المثال؛ لو أن إنساناً لم يجد ما يكفيه من المال، وظل يبحث

عن مصدر للرزق هنا وهناك .. حتى أعيته المذاهب وباشرته المتاعب ..
 فقعد به اليأس في زاوية منزله .. فهذا قد يسبب له مشاكل أخلاقية، كأن
 يفكر في حيلة لجلب المال ولو كانت من مصادر غير شرعية .. وكذلك
 مشاكل اجتماعية، قد تسبب في طلاق امرأته لعدم قدرتها على العيش
 معه بسبب فقره، وكذلك انحراف أبنائه لعدم القدرة على عولهم، وهكذا.
 فلو أقام الحاكم نظاماً اقتصادياً .. يضمن حقوق كل فرد في المجتمع،
 لتفرغ كل إنسان لإصلاح دينه .. والذي فيه صلاح المجتمع من كل النواحي ..
 ومن هنا، نلاحظ الإمام زيداً عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة، يقدم
 تقسيم الفيء وتوزيع الصدقات على سائر القضايا المجتمعية .. وما ذلك
 إلا لابتناء كل القضايا المجتمعية على نوعية النظام الاقتصادي .. فقال في
 معرض الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وذلك أن الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من
 الظلمة، وردّ الظالم، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات
 ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد،
 والإحسان، واجتناب المحارم....).

وكذلك يتكلم الإمام زيد عليه السلام عن أنموذج الحاكم الظالم، وأسلوبه
 في تمييع المجتمع من خلال الاستئثار بالفيء وتوزيع الأموال بين الفساق
 بما قد يسبب تفشي الفقر بين الناس، وانحرافهم عن دينهم ..
 قال عليه السلام: (وأما ما ذكرت من أنه لم تكن جماعة قط إلا كانوا أهل حق..

فإنهم ولوا معاوية بن أبي سفيان فاستأثر بضيء المسلمين واضطر أهل الشام إلى خدمة اليهود والنصارى، وأعطى المال من أحب من الفساق، فأيتم الأطفال وأرمل الأزواج، وسلب الفقراء والمساكين..).

وهنا نلاحظ كيف رتب الإمام زيد عليه السلام الاختلالات الاجتماعية على سوء الجانب الاقتصادي المتمثل في الاستئثار بالضيء وتوزيع الأموال بين الفساق .. وأبرز تلك المشاكل الاجتماعية التي ذكرها الإمام مازالت حاضرة إلى اليوم: (موالاة اليهود والنصارى، افتعال الحروب التي تؤدي إلى تيتيم الأطفال وأرملة النساء، السطو على حقوق الفقراء والمساكين).. وكلها تدمر المجتمع وتقضي عليه .. وبالذات أنها تساعد اليهود والنصارى للنفوذ إلى أوساط المجتمع للسيطرة على فطرته وأفكاره ومبادئه، وبالتالي تمزيقه وتفكيكه.

فوجود نظام اقتصادي يضمن إيصال الحقوق إلى أصحابها، ويكفل حاجات الناس ويحقق اكتفاءهم الذاتي.. هي الضمانة الأولية للحفاظ على المجتمع من الانحراف عن المبادئ والقيم الإسلامية.

المحور الأول

أسس النظام الاقتصادي الإسلامي

١. المال مال الله .. جاء في سورة النور ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ .. فعندما يربى الإنسان على حقيقة أن المال مال الله، وأن ملكيته له هي بتحويل منه سبحانه .. سنجد مدفوعاً إلى القيام بحق هذه النعمة، من حيث معرفة واجباتها وشروط استغلالها وتنميتها واستهلاكها .. أما في الرأسمالية، فالمال هو مال المالك، ومثل هذه العقيدة تنعكس سلباً على مفهوم حق المال .. حيث لا يتعلق بالمال أي حقوق للآخرين، كحق الفقير وحق المجتمع ..

٢. الإنسان مستخلف في المال، جاء في سورة الحديد: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ .. وهذا المبدأ ناتج عن المبدأ السابق، فطالما أن المال مال الله تعالى، فبأي صفة نمتلكه نحن .. إننا نمتلكه بصفتنا مستخلفين فيه من قبيل المالك الحقيقي سبحانه وتعالى، وعليه فإن الملكية في الإسلام هي وظيفة اجتماعية، وينبني على هذا الأساس أن للمال واجبات يجب أن يقوم بها المستخلف، كالتفقات للأقارب والزكوات والصدقات إلخ ..

أما في الرأسمالية، فالملكية حق شخصي، وهذا المبدأ يضعف شعور

المالك تجاه واجبات المال، بل لا تعود هناك واجبات إلا ما أوجبه الدولة بمنطق القوة والسيطرة ..

وعلى ذلك فالإمام زيد يؤكد أن للمال حقوقاً فرضها الله على عباده، كالزكوات التي فُرضت تطهيراً لذلك المال .. لكن إن تحقق بها الغرض المرجو من فرضها، وهو إغناء الفقراء .. وإلا كانت مخبئة للمال .. قال عليه السلام: (وحق الله تعالى في الأموال: على قدرها، فما كان من زكاة فأخراجها عند وجوبها، وتسليمها إلى أهلها، فإن أخرجتموها إلى غير أهلها فهي مضمونة لأهلها في جميع المال، وهي إذا لم تُخرج إلى أهلها مخبئة لجميع المال، فيجب إخراجها بيقين وإخلاص، فتلك من أفضل الذخائر عند الله عز وجل وهي مقبولة).

٣. الملكية مقيدة، فحق التملك مقيد بقيود شرعية، وكذلك حق الاستغلال الملكية: أي تنميتها، وحق استهلاك الملكية والانتفاع بها أيضاً مقيد، فتحريم السرقة قيد على التملك، وتحريم الربا قيد على التملك والاستغلال، والحجر على السفه قيد على الاستهلاك ..

أما في الرأسمالية فلا قيود على الاستهلاك، فتستطيع أن تتصرف بمالك على أي صورة من الصور تشاء .. حتى لو اتلفته عبثاً، وعدم تقييد الاستهلاك في الرأسمالية يرجع إلى كون المال عندهم هو مال المالك، والملكية حق شخصي له، أما حق التملك والاستغلال فمقيد .. ولكن القيود

في الرأسمالية تتفق وتختلف مع القيود في الإسلام، فعدم مشروعية السرقة مثلاً هو قيد مشترك، أما تحريم الربا والقمار فقيد تختص به الشريعة الإسلامية ..

وهنا نلاحظ الإمام زيداً عليه السلام يصرخ في وجه الظالمين .. الذين لم يقيدوا الملكية بما شرعه الله، بل عبثوا بالمال على حسب أهوائهم وبدون قيود شرعية .. قال عليه السلام : (وأن الله تعالى لم يجعل ما قسم بيننا نهياً، ولا ليغلب قوينا ضعيفنا، ولا كثيرنا قليلنا، بل قسم علينا برحمته الأقسام والعطيات. فمن أجرأ على الله تعالى ممن زعم أن له أقساماً بين العباد سوى ما حكم به في الكتاب، فلو كانت الأحكام كما حكم به أهل الجور والآثام، لما كان بيننا اختلاف، ولا استعدينا إلى الحكام، كما لا يستعدي بعضنا على بعض في اللحي والألوان، ولا في تمام الخلق والنقصان..).

٤. تداول المال وتوزيع الثروة .. جاء في سورة الحشر قوله تعالى : ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ .. فما ينبغي أن يكون المال في يد قليلة من المجتمع، بل من العدل أن نعمل على توزيع وتعميم هذه النعمة .. واللافت أن مبادئ الاقتصاد الإسلامي وآلياته تعمل على توزيع الثروة، وفي المقابل نجد أن مبادئ وأسس وآليات النظام الرأسمالي تعمل على تركيز رأس المال ..

قال الإمام زيد عليه السلام: (وقديماً اتخذت الجبابة دين الله دغلاً^(١))، وعباده خولاً، وماله دُولاً) .. ثم يؤكد عليه السلام على ضرورة توزيع الثروة بين المجتمع عن طريق التسوية .. (يا معاشر الفقهاء، ويا أهل الحجا، أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بينكم فيماكم بالسوية) ..

وسائل توزيع الثروة ..

يتم توزيع الثروة في الاقتصاد الإسلامي عن طريق :

أ. حظر بعض طرق التملك الظالمة والتي تساعد على تمركز راس المال، مثل : الربا، القمار، الاحتكار ...إلخ .

ب. تشريع وتشجيع النشاطات الاقتصادية النافعة التي تساعد على توزيع الثروة وتحقيق العدالة، ويضاف إلى ذلك ما تتميز به الشريعة الإسلامية من تشريعات تساهم مساهمة فاعلة في تفتيت الثروة وتوزيعها، مثل : الصدقات الإجبارية (الزكوات، الكفارات)، والصدقات الاختيارية (الصدقة، النذر، الوقف)، ونظام النفقات، ونظام الإرث .. هذا بالإضافة إلى نظام الضرائب بشروطها الشرعية، وكذلك نظام الضمان الاجتماعي ..

(١) الدغل: بالتحريك : الفساد مثل الدخل. والدغل: دخل في الأمر مفسد؛ ومنه قول الحسن: اتخذوا كتاب الله دغلاً: أي أدخلوا في التفسير . وأدغل في الأمر : أدخل فيه ما يفسده ويخالفه.

وقد تكلم الإمام عليه السلام عن سوء استهلاك الظالمين لمثل الصدقات الإجبارية والاختيارية .. تحت ذرائع وتحايل غير شرعية .. وبالتالي يحرمون الفقراء والمساكين وذوي الحاجة منها .. قال عليه السلام : (وقديماً اتخذت الجبابرة دين الله دغلاً، وعباده خولاً، وماله دُولاً، فاستحلوا الخمر بالنبيذ، والمكس بالزكاة، والسحت بالهدية، يجوبونها من سخط الله، وينفقونها في معاصي الله، ووجدوا على ذلك من خونة أهل العلم والتجار والزراع والصناع والمستأكلين بالدين أعواناً، فبتلك الأعوان حَطَبَتْ أئمة الجور على المنابر، وبتلك الأعوان قامت راية الفسق في العشاير، وبتلك الأعوان أخيف العالم فلا ينطق، ولا يتعظ لذلك الجاهل فيسأل، وبتلك الأعوان مشى المؤمن في طبقاتهم بالتقية والكتمان، فهو كاليتيم المفرد يستدله من لا يتق الله سبحانه).

وقال عليه السلام : (وكيف يأخذ الله المحسن بالمسيء إذا كان مقهوراً؟! ولكن من كثر جماعتهم وأعانهم على ظلمهم وجباياتهم، واكتتب في ديوانهم، فهو شريكهم ومنهم، وإذا ذكروا الله بألسنتهم لعنتهم الملائكة، وحلَّ عليهم سخطه ونقمته).

قال بكر بن حارثة سمعت الإمام أبا الحسين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام يقول: من قصد بصدقته إخوانه المؤمنين فقد وضعها في موضعها، وأدأها إلى أهلها، ومن لم يفعل فقد ظلم، فتخيروا لها إخوانكم من

أهل العَفَاف، فإن لم تقدرُوا عليهم فضعوها في الفقراء من الأمة، ولا تقولوا:
لا نجد مؤمناً! فإن القوم قد دخلوا في دين الإسلام وباب الدعوة.
قال الحسين بن زيد: وسئل أبي: فيمن نَضَعُ فُضُولَ أموالنا وزكاتنا
وصدقاتنا؟

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ضعوا جميع ذلك في إخوانكم المؤمنين، فإن لم تجدوا ذا
فاقة منهم، فتتبعوا من رأيتموه فقيراً إذا كانوا في دامج الإسلام^(١) وباب
الدعوة.

الإسلام والمشكلة الاقتصادية ..

جاء في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا
نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ..

فإذا كانت النعم لا تحصى، وإذا كانت المطالب مستجابة، والإجابة مدخرة
في كينونة الكون المسخر، فمن أين تنشأ إذن المشاكل الاقتصادية؟

ترى الماركسية أن المشكلة الاقتصادية ناتجة في جوهرها عن التناقض
القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الملكية، وينعكس ذلك اجتماعياً في
التناقض بين المالكين وغير المالكين، وبالتالي فإن حل هذه المشكلة
سيكون في المرحلة الشيوعية، وذلك عندما يزول هذا التناقض .. ولكن

(١) أي: داخل الإسلام.

التجربة أثبتت بطلان ما كان يظنه الماركسيون حقيقة، ومن هنا لا داعي لأن نستفيض في هذه المسألة، ولا أن نناقش الفكرة الماركسية التي أصبحت في ذمة التاريخ ..

أما الرأسمالية فتري أن المشكلة الاقتصادية ناتجة عن الندرة في الموارد، مما يؤدي إلى صراع على هذه الموارد، ومثل هذا التشخيص لا يبشر بحل للمشكلة الاقتصادية، نظراً إلى أن مطالب البشر متصاعدة، فلو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون له ثالث، كما جاء في الحديث الشريف ..

ومن هنا نجد أن أمريكا رائدة الرأسمالية تعاني من تفاقم المشكلة الاقتصادية، فأنت تجد أن ١% من الأمريكيين يمتلكون ٩٠% من الدخل القومي الأمريكي، وقبل سنوات معدودة كان ٥% منهم يمتلكون ٩٠%، وهذا يعني أن المشكلة في تصاعد ..

الآية الكريمة التي نحن بصددنا تبين سبب المشكلة الاقتصادية، فالموارد في حقيقتها أكثر من مطالب الإنسان، لذا ليس هناك ندرة، وإنما تكمن المشكلة في الإنسان ..

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، فالإنسان كثير الظلم لنفسه ولغيره، فيأتي الدين ليحد من هذا الظلم، ومن هذا الكفران .. وذلك بتربية الإنسان وإرشاده إلى سبل العدل والإيمان ..

فالمشكلة الاقتصادية إذن ترجع في الحقيقة إلى ظلم الإنسان لأخيه

الإنسان، وترجع إلى كفرانه النعمة، أي تسلط القوي على الضعيف، والغني على الفقير، على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول ..

وفحوى ثورة الإمام زيد عليه السلام تندرج تحت هذا، أي : منع الظلم، وتوزيع الثروة بين الناس بالسوية .. وهي أس القضايا المجتمعية التي بصلاحتها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع .. قال عليه السلام : (وإن الله تعالى لم يجعل ما قسم بيننا نهباً، ولا ليغلب قوياً ضعيفاً، ولا كثيراً قليلاً، بل قسم علينا برحمته الأقسام والعطيات ..).

الربا وتركيز رأس المال ..

من يدرس الواقع الربوي في المجتمعات الرأسمالية يجد أنّ الدخل القومي للشعوب لا بد أن يمر عبر البنوك بصورة أو أخرى. أي أنّ جُهد الملايين من البشر لا بُد أن يُقّطع جزء منه، بشكل دوري ومستمر، لصالح قلة من الناس تمتلك هذه البنوك .. فمثلاً : فلو ان البنوك تعطي فائدة على الاموال المدخرة لديها بنسبة ٤% فهذا يعني أنها تأخذ من المدين ما لا يقل عن ٩% أي أنّ ٥% من المال المتداول سنوياً في هذا النشاط الضخم سيصب في جيوب أصحاب البنوك، لا لشيء إلا لأنهم مجرد وسطاء بين الدائن والمدين. وعندما نعلم أنّ المجتمعات الرأسمالية قد جعلت من البنوك خياراً حتمياً للدائن والمدين ندرك ضخامة فارق الفائدة الربوية ..

ولم تكن هذه الآفة من الربا وليدة اليوم، بل هي آفة المجتمعات عبر العصور المختلفة، وإن اختلفت وسائلها بين الفترة والآخرى .. ولاشك أن اليهود

التمثل في مبدأ الرأسمالية لهم اليد الطولى في ترسيخ هذا النوع من المعاملات في مجتمعا وتصديرها إلى المجتمعات الإسلامية .. حتى يفرضوا عليهم هيمنة اقتصادية، تجعل المسلمين في سيطرتهم وتحت عبوديتهم ..

ولهذا كان الإمام زيد عليه السلام يكره للمسلمين المعاملة مع اليهود حتى في المضاربة .. كي لا يدخلونهم في شَرِكِ الربا لاستحلالهم له ..

ذكر أبو خالد الواسطي في المجموع الفقهي في باب المضاربة قوله :
وكان عليه السلام يكره أن يدفع المرء المسلم المضاربة إلى اليهود؛ لأنهم يستحلون الربا.

التخلص من الربا :

بما أن الربا يحيئز الثروة لصالح أصحاب رؤوس الأموال، ويصدر الاموال إلى أرصدتهم .. فلا بد من السعي للتخلص من هذه الآفة التي تجهض الاقتصاد القومي وتعطل الأيدي العاملة بما يزيد من حاجة الناس وازدياد فقرهم .. وقد حرم الله الربا أشد التحريم وشنع على صاحبها أقذع تشنيع، لمكان الضرر الحاصل منها على دمار المجتمعات ..
منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

ولذا فقد وضع الإسلام موارد عديدة تتعلق بتنظيم الجانب المالي بعيداً عن المعاملات الربوية، إذ لا حاجة لها في الأصل .. لولا أن أعداء

الإسلام فرضوا هذا النوع من المعاملات المالية على المجتمعات .. ف جاء الإسلام على واقع كان قد توغل في المعاملات الربوية .. فسعى لمعالجتها بعدة وسائل .. لا يكفي المقال لسردها.. لكن لابد من التطرق لأمرين :

١- الوعي بصور الربا:

ما يزيد من تفاقم آفة الربا أن غالبية الناس اليوم يجهلون صور الربا إلا ما اشتهر منها وبفهم جزئي، وبالتالي يستطيع رعاة الربا أن يمرروها بمسميات عدة، وتحت عناوين مختلفة مستغلين جهل الناس، إلى جانب حاجتهم لاقتراض الأموال واقتناء الحاجات ..

ومن هنا لزم الفقه ثم المتجر وإلا ارتطم في الربا .. كما روى الإمام زيد عليه السلام عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام: «إن رجلاً أتاه فقال: يا أمير المؤمنين إنني أريد التجارة فادع لي، فقال له: أوفقت في دين الله عز وجل؟ قال: أو يكون بعض ذلك؟ قال: ويحك الفقه ثم المتجر، إن من باع واشترى ولم يسأل عن حلالٍ ولا حرامٍ ارتطم في الربا ثم ارتطم».

فالفقه في أمور التجارة بمختلف طرقها ووسائلها تعد من أولى الطرق للتخلص من الربا، لأن التاجر أياً كان بحكم تعامله مع الأيدي العاملة والبنوك وأصحاب الشركات ونحوهم سيصنع عقوداً بعيداً عن المعاملات الربوية .. وإذا كان كل التجار على هذه الشاكلة بمختلف توجهاتهم التجارية سيتقلص التعامل الربوي حتى ينتهي .. لكن جهل التجار وعدم سؤالهم عن حلال أو حرام هو الذي يجعلهم يتوغلون في المعاملات

الربوية، حتى إذا أرادوا الخروج منه عجزوا بحكم العقود الربوية التي ألزمتهم بالوفاء وإلا خسروا مالهم .. وبالتالي يتمللون بضرورة التعامل بالربا بعد معرفتهم بخطورته بحجة الارتباط برأس المال العالمي وعدم القدرة عن الانفصال عنه، وغيرها من المعاذير القلقة ..

٢- إزالة المفسدين وتولية المؤمنين:

استمرار المفسدين في إدارة الشؤون الإدارية في مختلف أجهزة الدولة بما فيها المالية وما يتعلق بها من المصارف فإنه سيؤدي إلى تفاقم المشكلات بما فيها المشكلات الربوية، لأنهم لا يسعون إلى الإصلاح بقدر سعيهم لإشباع بطونهم وتأمين حياتهم وإن كان على حساب تجويع الشعب بأكمله .. بخلاف المؤمن والذي سيسعى إلى وضع الخطط الإصلاحية والمعالجات العملية بما يخدم البشرية وينهض بالحياة بعيداً عن حياته الشخصية .. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ .. وكان هذا من أحد اهداف ثورة الإمام زيد عليه السلام .. قال عليه السلام : (وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو: العمل بكتاب الله، وإحياء سنة رسول الله ﷺ، وبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين، وإنما البدع أكاذيب تُخترَع، وأهواء تُتَّبَع، يتولى فيها وعليها رجالٌ رجالاً صدّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرَها المؤمن، ونهى عنها الموحّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعوننا إلى بدعة!! وأيم الله ما البدعة إلا الذي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون ...) ..

(وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والقيء، والغنائم، ونُثِبْتُ الأمين المؤمن، غير الرأشي والمرتشي الناقض للعهد؛ فإن نَظَهَرَ فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا ..). (وإذا بدأت الخيانة، وخُربَت الأمانة، وعُمِلَ بالجور، فقد افتضح الوالي. فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟!)..

المحور الثاني

معالجة الفقر

يعتبر الفقر من أعظم الآفات التي تؤثر على حياة المجتمعات واستقرارها .. لكونها تمس حاجتهم الأساسية اليومية من الأكل والشرب ونحوهما .. وبالتالي تظل أفئدة الناس هواء وعقولهم خواء لا يفكرون في شيء إلا في قوت يومهم، وسد حاجة أولادهم .. مما قد يؤثر على الحياة الاجتماعية كالتفكك الأسري وضياع الأولاد، وانتشار القتل، وكثرة السرقة، وانعدام الأمان .. إلى جانب ضياع الدين وانحلال الأخلاق واختفاء القيم، ونحوها من الآفات والمصائب .. ولذا عمد الحكام الظالمون عبر التاريخ إلى تجويع الشعوب ونهب ثرواتهم حتى يشغلوهم بقوت يومهم وسد خلتهم عن ما سواهما، ليتسنى للظالمين خلال ذلك أن يُعَبِّدُوا الناس، ويوجهوا أفكارهم وطاقاتهم فيما يخدم مملكتهم، ويأمن كرسیهم، ويقوي شوكتهم ..

ولذلك فقد سعى الإمام زيد عليه السلام لمعالجة الفقر، بل كانت من أهداف ثورته المباركة .. وقد روي عنه قوله -عندما شاهد امرأة عجوزاً تقعات من القمامة- من أجلك أخرج على هشام فأقتل وأصلب ..

ولو تتبعنا أهم تلك الخطوات أو الرؤية التي كان يمتلكها عليه السلام لمعالجة الفقر لوجدنا منها الآتي :

١- الثورة على الحاكم الظالم ..

لا يمتري أحد أن إزالة الحاكم الظالم تعتبر أمَّ الخطوات فيما يتعلق بالإصلاح المالي لمؤسسات الدولة .. وذلك لأن قبضته على مؤسسات الدولة وتسييسها على ما يشاء وكيف يشاء يجعل من إمكانية الإصلاح بعيدة المنال .. مادام وأن نفعها ينحصر عليه، وغلثها ترجع إليه .. وبالتالي فمن يسعى للإصلاح الإداري كخطوة أولى يكون قد جنى على نفسه وحكم عليها بالفناء .. لأن الحاكم لا يتخلى عن بطانته الذين يذلون له المؤسسات ويحولون مسارها بما يخدم أهدافه ويقوي سلطته .. ولذا نلاحظ الإمام زيداً عليه السلام في خطابه الثورية يركز على ضرورة الوقوف في وجه الظالمين لكونهم ليسوا مؤتمنين على حياة الناس ودينهم .. قال عليه السلام : (كيف يسترعي الله سبحانه وتعالى الجائرين الكافرين الظالمين الفاسقين عباده، ويأتمنهم على خلقه، ويجعلهم أئمة المؤمنين من بريته، وأمناؤه على دينه، وما أفاء الله على المؤمنين من الكافرين به، وهو يقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَنْبَغَانَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ وأنا أنهاك أن تسكن بقلبك إلى ما هم فيه مترفون، وبه ممتعون، فتظن أنهم من الله تعالى بسبيل، فتهلك إذ ظننت بالله ظن السوء) ..

حتى مناجاته عليه السلام كانت ترسم ذلك الواقع السيء الذي فرضه الحكام الجائرون .. وأبرزها : انتشار ذوي المسغبة واهل المسكنة بسبب استئثارهم بالأموال العامة ..

(وحكم علينا غيرُ المأمونين على دينك، وابتزَّ أمورنا من نَقَصَ حكمك وسعى في إتلافِ عبادك، وعَادَ فَيُنَا دَوْلَةً، وإِمَامُتَنَا غَلَبَةً، وعَهْدُنَا مِيرَاثًا بين الفسقة، واشتريتِ الملاهي بسهمِ اليتيم والأرملَةِ، ورَتَعَ في مال الله من لا يرعى له حُرْمَةً، وحكم في أبشار المؤمنين أهلُ الذمة، وتولى القيامَ به فاسقٌ كلُّ مَحَلَّةٍ، فلا ذائدُ يذودهم عن هلكةٍ، ولا رادعٌ يردعهم عن إرادتهم المظلمة، ولا راعٍ ينظرُ إليهم بعينِ الرَّحمة، ولا ذو شفقة يشفي ذات الكبدِ الحرَّاءَ من مَسْغَبَةٍ، فهم هؤلاء صرعى ضيعةٍ، وأسرى مَسْكَنَةٍ، وحُفَاءَ كَابَةٍ وَذِلَّةٍ)..

٢- الإصلاح الإداري ..

إذا نجحت ثورة الشعب العادلة وأزالت رأس الشر من الحكام الجائرين .. يكون قرار الإصلاح الإداري بيدها الخالص الجامع بعيداً عن المحسوبيات والانتماءات .. التي تحصر الدولة في فئة ضيقة ويحرم بقية الشعب من خيراتها .. بل يكون الإصلاح الإداري الذي يسعون له وفق معياري: الكفاءة والنزاهة .. اللذين يضمنان سير المؤسسات بكافة خدماتها نحو التصحيح والإصلاح الحقيقي، وخصوصاً الجانب المالي .. بما يضمن للبلاد نهضتها، وللشعب اكتفائه وعزته ..

وهما أي: (الكفاءة والأمانة) ذات المعيار الذي أشار إليه نبي الله يوسف عليه السلام لعزيم مصر حين كانت تذهب مصر للهاوية .. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي

عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ..

وهذا ما كان يصرح به الإمام زيد عليه السلام في حال إذا ما نجحت ثورته وأظهره الله على الظالمين .. قال عليه السلام وهو يدعو الناس لنصرته : (فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكثوا عن الحق، فبالحق يُكَبَّتُ عَدُوَّكُمْ، وتَمَنَعُ حريمكم، وتَأْمَنُ ساحتكم).

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والنبيء، والغنائم، ونُشِبَتِ الأَئِمِّنِ الْمُؤْتَمِنِ، غير الرَّأشِيِّ والمرتشي الناقض للعهد؛ فَإِنْ نَظَهَرَ فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومثقلبنا، فأَيُّ هذا يكره المؤمن، وفي أَيِّ هذا يرهَبُ المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ ..

٣- الاستفادة من الموارد المالية ..

يمكن الاستفادة من الموارد المالية المختلفة وتوظيفها بما يساعد في نهضة البلاد وسد حاجة العباد، إذا كانت في يد المختصين الأمناء الذي يتم اختيارهم بعناية تامة خلال الإصلاح الإداري ..

ولاشك أن الله جعل لكل أرض موارد مختلفة تكفي لكل الشعب فرداً فرداً لولا سوء الإدارة في التوظيف الصحيح والاستغلال المطلوب ..

وناهيك عن الموارد النفطية والمعدنية والسمكية ونحوها التي تتمتع بها البلاد العربية واليمن على وجه الخصوص .. بما تغني كل فرد في المجتمعات وتعطيه فوق حاجته ..

فإن ثقافة المجتمع الإسلاميّ وتدابيره الشرعيّة المختلفة تساعد كثيراً في محاصرة الفقر وتحقيق التضامن المجتمعي، فالترابط الأسري والمجتمعي، وثقافة التعاون، والأخلاقيّات التي تدعو إليها الثقافة الإسلاميّة، والعبادات المتمثلة بالصدقات والزكوات والندور والكفارات، ونظام النفقات ونظام الإرث ... الخ، كل ذلك يهيئ الواقع الذي يساعد الدولة في حل مشكلة الفقر عندما تتوفر الإرادة الصادقة لتحقيق ذلك..

فمثلاً .. لو تم ترشيد الزكاة ونحوها من الواجبات فقط، وتفعيلها تحت إدارة مستقلة ذات كفاءة وأمانة لحققت نجاحاً كبيراً في الحد من الفقر والبطالة، بل ربما قضت على الفقر تماماً .. فما بالك إذا أضيف إلى هذا المشروع التوظيف الصحيح لكافة الموارد البحرية والبرية ..

ومن هنا فقد كان الإمام زيد عليه السلام يلاحظ المصالح العامة في الزكاة، بمعنى أنه عليه السلام كان يفتي بعدم جواز الزكاة في كفن ميت ولا بناء مسجد ولا عتق رقبة .. بل يرجعها إلى المصالح الذي يعود نفعها على الأصناف الثمانية التي ذكرت في القرآن ..

وهي نظرة صائبة تحقق الغاية من تشريع الزكاة وفرض أمرها .. لأن استثمار الزكاة ووضعها في مشاريع تنموية أضمن لكفاية الفقراء والمساكين ونحوهما واستمرار عطائه من توزيع عين الزكاة ...

إلى جانب ذلك أنه عليه السلام كان يحرص أن تصل الزكاة إلى الولاة المؤمنين ليضعوها في موضعها المشروع، ويفتي بعدم صحتها لو وضعت في أيدي أهل الذمة أو أئمة الجور والذين سيستثمرونها لصالحهم ويحرمون الفقراء .. قال عليه السلام: (كتبت تسألني عن الزكاة، هل تجزئ إذا أُديت إلى أئمة الجور؟ فمعاذ الله، إنما الصدقات لأهلها، والزكوات مضمونة لله حتى تؤدي إلى أهلها، وكذلك خمس الغنيمة، فلا تركز في ذلك إلى الفاسقين من علماء السوء وأعوان الجبارين؛ فإنه لا رخصة في ذلك ..) (قال الحسين بن زيد: وسُئِلَ أبي: فيمن نَضَعُ فُضُولَ أموالنا وزكاتها وصدقاتنا؟

فقال عليه السلام: ضعوا جميع ذلك في إخوانكم المؤمنين، فإن لم تجدوا ذا فاقه منهم، فنتبعوا من رأيتموه فقيراً إذا كانوا في دامج الإسلام وباب الدعوة) ..

٤- التكبب ..

دعا الإسلام إلى المشي في هذه الأرض والأكل من خيراتها على المستوى الفردي أو الجماعي .. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ .. وسواءً كان مشي الإنسان طلباً للرزق عن طريق الاتجار أو الحرفة أو غيرها .. أهم شيء لا يجوز للإنسان أن يقعد مستسلماً لفقره وحاجته دون أي عمل .. وقد وردت أحاديث نبوية في أهمية التكبب .. منها ما رواه الإمام زيد عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله أي الكسب أفضل؟ فقال صلى الله عليه وآله: (عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور فان الله يحب المؤمن المحترف ومن كد على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله عزوجل).

وكذلك ما رواه الإمام زيد عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: (من طلب الدنيا حلالاً تعظفا على والد أو ولد أو زوجة بعثه الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر).

وبالتالي ؛ فإن التكبب هو المفتاح الأول لجلب الرزق ومعالجة الفقر .. ولا بد للإنسان من خلال ذلك أن يجد له حرفة أو تجارة بما يتلائم وحاجة الناس وطلباتهم، ويلزم الجانب الذي يلمس منه الرزق ويلاحظ منه الخير، كما علم النبي صلى الله عليه وآله ذلك الوافد الذي جاء يشكوه الفقر رغم جرفه المتعددة كما روى الإمام زيد عليه السلام عن أبيه عن جده

عن علي عليه السلام قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله إني لست أتوجه في شيء إلا حورفت فيه، فقال رسول الله ﷺ: انظر شيئاً قد أصبت فيه مرة فالزمه، قال القرظ، قال ﷺ الزم القرظ .

٥- الاستثمار الشرعي ..

نستطيع أن نقول : إن الاستثمار عبارة عن استغلال المال بقصد نمائه وتحقيق ربح لصاحبه وذلك دون مقارفة لما نهى عنه بنص صريح أو ما في حكمه وحسب القواعد الكلية للشرعة الإسلامية ..

وقد دعا الإسلام المسلم أن يعمل على تنمية ما أنعم الله به عليه من نعمة المال وما استخلفه فيه، حتى لو كان المال وديعة لديه تخص يتيماً؛ إذ أمر الرسول ﷺ ألا يترك مال اليتيم بغير نماء فتأكله الزكاة.. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ .. فقولته تعالى : ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل : "منها" دلالة على أن المراد رزقهم من الربح الناتج من الاستثمار .. الذي أصبح المال محلاً له ..

ويمكن ذكر بعض أنواع الاستثمار المشروع كالآتي:

أ- التجارة (البيع والشراء) ..

الإسلام ندب إلى التجارة كوسيلة من وسائل التنمية على مستوى الفرد والجماعة والدولة، ووضع لها حدود وضوابط .. تضمن العدالة وتمنع

الحيثف.. خصوصاً في ما يتعلق بتحيز المال واستثثاره في جهة واحدة .. قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .. روي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: الاكتساب من الحلال جهاد وانفاقك إياه على عيالك وأقاربك صدقة ولدِرهم حلالٌ من تجارة أفضل من عشرة حلال من غيره .. وروى الإمام زيد عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله يحب العبد سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء.

وأهم تلك القواعد الكلية التي وضعها الإسلام في هذا الجانب .. حتى تحقق غايتها من إزالة الفقر وتحقيق الحياة الكريمة للمجتمع بأسره : هو عدم الإضرار بالعامّة .. فالفرد في المجتمع الإسلامي مسئول عن واجباته قبَل المجتمع، وعليه أن يؤديها في حدود المنفعة العامة، وذلك هو الإحسان، لذلك كان حبس المنفعة عن الناس محرماً لأنه مضرّة ومفسدة، وكل امتناع عن فعل الخير (الإنتاج) مع القدرة عليه والحاجة إليه فهو ضرر وفساد في الأرض..

مثال ذلك: من يحبس المال عن التداول والناس لا تستقيم أمورهما الدنيوية دون مبادلة، ومن يترك مزرعته دون زراعة والناس محتاجة إلى غلة أرضه، ومن يفلق أبواب مصنعه والمجتمع في حاجة إلى إنتاجه.. كل أولئك ومن شابههم يوقعون بالمجتمع وبأنفسهم الضرر .. وكلهم مفسد

وكلهم أثم، وعملهم محرم .. ولذا فقد نهى الشارع عن مثل الاحتكار وتلقي الركبان وبيع حاضر لباد ونحوها مما يضر بالعمامة على حساب منفعة البعض منهم .. روى الإمام زيد عليه السلام عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبيع حاضر لبادٍ، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض، ونهانا رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان».

وكذلك ما روي عن الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: «جالب الطعام مرزوق، والمحتر عاصٍ ملعون».

وإن كان الإمام زيد عليه السلام قد حصر الاحتكار في ثلاثة أشياء فقط وهي: الحنطة والشعير والتمر.. فلا يدل ذلك على تجويزه الإضرار بما عدا ذلك لو تم احتكاره .. وإنما لكون هذه الثلاث الأشياء هي التي تمس حاجة الناس اليومية، ويقع الإضرار بها بشكل مباشر على عامة الناس ..

بدليل ما رواه عليه السلام عن رسول الله أن من يملك ماء على ظهر الطريق ويمنعه سابلة الطريق فهو ملعون .. والرواية كما يلي: روي عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم: رجلٌ بايع إماماً إن أعطاه شيئاً من الدنيا وفي له وإن لم يعطه لم يف له، ورجلٌ له ماءٌ على ظهر الطريق يمنعه سابلة الطريق، ورجلٌ حلف بعد العصر لقد أعطي في سلعته كذا وكذا فأخذها الآخر مصداقاً للذي قال وهو كاذب».

وبناء على ذلك .. فالمعاملات الاقتصادية الإسلامية خلافاً لما عليه الحال في المذهبين الرأسمالي والشيوعي لا تخضع لحكم الأفراد وهواهم، كما في مذهب الأول .. ولا لرغبة السلطان المطلقة، كما في المذهب الثاني .. ولكن الأصل في كل تصرف هو مراعاة الحقوق والواجبات، وذلك مرهون بتجنب الإضرار بالغير ..

وإلى جانب ذلك ؛ فقد شدد الإسلام على أهمية الالتزام بالصدق والأمانة في البيع والشراء، لأن الكذب والخيانة يورثان الضرر على المجتمع، وقد جعلهما الله أي: الصدق والأمانة سبباً للنماء وحصول البركة .. روي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، وإن اليمين الفاجرة لتدع الديار من أهلها بلاقع ..

وروي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: من كذب في مرابحة فقد خان الله ورسوله والمؤمنين وبعثه الله عز وجل يوم القيامة في زمرة المنافقين ..

وبالنسبة لليوم فلم تعد عمليات البيع والشراء بالأمر الهين الميسر للأفراد جميعاً، بل هو أمر عسير يقتضي الكثير من المعرفة والخبرة والمال والتفرغ والبحث .. وأما بالنسبة للمؤسسات المالية والمصرفية فتعترضها عدة صعوبات لعل أهمها أن المؤسسة المالية إنما تستمد قوتها من إقبال عملائها عليها وثقتهم بها، وغالبية أموال هذه المؤسسة تأتي من التجار، فإن هي دخلت

سوق المتاجرة دخولاً مباشراً أصبحت منافساً لعملائها، وقضت على سمعتها المالية؛ إذ يحدث تعارض في المصالح في مثل تلك الحال..

ويظهر أن ما يمكن أن تقوم به المؤسسة المالية في هذا المجال التجاري يقتصر على المرابحة .. وستطرق له بصورة سريعة فيما بعد ..

ب- المضاربة ..

المقصود بهذه الصورة نوع من المشاركة بين صاحب مال وصاحب عمل، يتفقان على القيام بصفقة تجارية .. يقدم صاحب المال ماله وصاحب العمل عمله، ويتفقان على توزيع عائد المخاطرة - ربحاً كان أم خسارة- بينهما بنسبة يتفقان عليها..

ويلاحظ أن الإمام زيداً عليه السلام يحصر عقد المضاربة على صورة محددة.. هي مشاركة صاحب مال مع صاحب عمل في تجارة، بمعنى أنه لا يجوزها في صناعة أو زراعة أو عقار ..

قال الإمام زيد عليه السلام: لا تجوز المضاربة إلا بالدنانير والدرهم ولا تجوز بالعروض..

وقد نصت المذاهب الأربعة على ذلك أي على عدم جواز المضاربة في العروض ..

وهذا هو الأقرب لنظرة الإسلام التي تمنع كل ما يلزم منه التفرير حماية لحقوق الإنسان وصيانة لأتباعه .. والمضاربة في العروض يلزم منه الفرر لتغير

الأسواق، واحتمال أن يغلو غلواً يستغرق راس المال والربح فيؤدي إلى إبطال عمل العامل، وقد يرخص فيأخذ العامل بعض رأس المال .. وذلك أن العامل قد يأخذ العرض مضاربة وقيمته مائة دينار فيتجر في المال فيربح مائة فيرده وقيمته مائتان فيصير الربح كله لرب المال ولا يحصل للعامل شيء، وقد لا يربح فيرده وقيمته خمسون فيبقى بيده من رأس المال خمسون فيأخذ نصفها وهو لم يربح شيئاً .. وأما الذهب والفضة فهي أصول الأثمان وقيم المتلفات ولا يدخل أسواقها تغيير فلذلك يصح المضاربة بها ..

ويظهر فيها الفرر أيضاً من جهة أخرى لأن العمل فيها غير مضبوط، والربح غير موثوق به، وإنما جوز لحاجة فاخص بما يروج غالباً، ويسهل التجارة به، وهو الأثمان ..

وهناك صور عدة مخالفة للشرع يدعي أصحابها اليوم أنها من المضاربة الشرعية، وهي ليست منها .. نذكر صورة منها :

المضاربة في البورصة .. وهي تختلف جذرياً عن المضاربة الشرعية، وتتم ٩٠% من أعمال البورصة على أساس المضاربة أو المسابقة على البيع والشراء بغية تحقيق مكسب من فروق الأسعار دون أن يكون المضارب مالكا للسلع، فالمضاربة هنا عملية بيع وشراء صوريين حيث تباع السلع أو الأوراق المالية وتنتقل من ذمة إلى ذمة دون قبض وغاية المبايعين ليس

القبض بل الاستفادة من فروق الأسعار.

ومن هنا يتضح الفارق الأساسي بين المضاربة الشرعية والمضاربة في البورصة فالمضاربة في البورصة ليست بيعاً حقيقياً ولا شراءً حقيقياً إنما المسألة تنحصر كلها في قبض أو دفع فروق الأسعار بينما البيع والشراء في المضاربة الشرعية بيع حقيقي لسلع محددة، وفق الضوابط الشرعية.

كما ينظر الاختلاف أيضاً في أن المضاربة في البورصة تنحصر في مكان محدد هو «البورصة»، أما المضاربة الشرعية فغير محدد بمكان معين حيث يمكن أن تجري العمل في كل أسواق السلع والخدمات وأي موقع للاستثمار، والعائد المتحقق من المضاربة في البورصة يتمثل في فروق الأسعار التي تعتمد على عملية التنبؤ التي يكتنفها كثير من المقامرة والضرر المصاحبة لعمليات الشراء والبيع الصورية أما العائد في المضاربة الشرعية فهو عبارة عن أرباح حقيقية نتيجة لنشاط استثماري فعلي يقوم به المضارب.

فالمضارب يسعى لجمع وحبس كل البضائع أو الصكوك التي من نوع واحد في يد واحدة، ثم التحكم في السوق، حيث لا يجد المتعاملون في هذه السلع أو الصكوك، ما يوفون به التزاماتهم التي حان أجلها، الأمر الذي يجعلهم تحت ضغط هؤلاء المتحكمين والخضوع للأسعار التي يقرروها.

وبالتالي فإن هذا النوع من البيع والشراء وما شابهه يعد من البيع الفاسد بالإجماع .. ذكر الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي صورتين

من البببب الفاسد تنطوي عليها هذه الصورة (البورصة) وغيرها من الصور المشابهة في تعاملات اليوم ..

- (سلف وبيع): أن تسلف في الشيء ثم تبببب قبل أن تقبضه، وعن ببيع ما لبس ما عندك : أن تبببب السلعة ثم تشتريها بعد ذلك فتدفعها إلى الذي بعتها إياه ..

- (ورببب ما لم بضمن) أن يشتري الرجل السلعة ثم بببببها قبل أن يقبضها وببببب له الآخر بعض رببب وبيع ما لم يقبض أن يشتري الرجل السلعة ثم بببببها قبل أن يقبضها ..

ج- المرابحة ..

المرابحة ببيع يقوم على أساس معرفة الثمن الأول وزيادة رببب، فهو من بببب الأمانة التي ببببب أن يكون الثمن والرببب فيها معلومين، بناء على اتفاق بين المتعاقدين..

قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: (لا بأس في ببيع المرابحة إذا ببببب رأس المال ولا بأس ببببب ده يازده وده بدا وزده انما هذه لغات فارسية فلا تبال بأي لسان كان) .. والمعنى : ده يعني عشرة يازده يعني بأحد عشر وده بدا وازده باثني عشر..

وببببب ببيع المرابحة عن الببببب الشائعة في أن الببببب العادي لا يعرف فيه المشتري رببب البائع، بببببب ببيع المرابحة؛ فإنّ المشتري يعرف رببب

البائع، وباتفاق معه على الزيادة على رأس المال ..

ومن خلال النظر إلى كلام الإمام زيد عليه السلام نستخلص شروط المربحة

.. والتي تتلخص في الآتي:

- أن يكون رأس المال معلوماً ..

- أن يكون الربح معلوماً ..

- أن يكون عقد البيع الأول صحيحاً ..

- أن يكون الثمن قيمياً أو مثلياً ..

المربحة في البنوك الإسلامية ..

بعد انتشار البنوك التقليدية على مستوى العالم، بما فيها اليمن، كان

هناك سعي محمود للتخلص من البنوك التقليدية الربوية فأنشئت لذلك

البنوك الإسلامية في عدة دول إسلامية .. ومن معاملاتها المصرفية : المربحة

.. وقد ظهرت على هذا المسمى معاملة مستحدثة سُميت "بيع المربحة للأمر

بالشراء" كبديل شرعي للقرض الربوي في كثير من الحالات ..

وصورة هذه المعاملة : أن يطلب المشتري من المراجيح - فرداً كان أم

مؤسسة- شراء سلعة معينة يحدد أوصافها على أن يشتريها بثمنها وزيادة

ربح معلوم ..

وبالتالي فالفرق بين المراجحتين القديمة والحديثة أن النوع الأول

العادي الموجود قديماً والمبحوث في كتب الفقه هو نوع من التجارة يكشف فيها البائع للمشتري رأس ماله في السلعة الموجودة بحوزته، وذلك بحسب ما اشتراها أو بما قامت عليها ثم يضيف ربحاً مبيناً معلوماً

أما بيع المرابحة الذي تتعامل به المصارف الإسلامية فيبدأ من عند صاحب الحاجة الذي يأتي إلى المصرف لطلب شراء سلعة معينة ليست بحوزة المصرف، وذلك على أساس أن الطالب يعدُّ بأن يشتري السلعة التي يطلبها من المصرف بما تقوم عليه من تكلفة زائداً الربح الذي اتفق عليه معه ..

فنستطيع أن نقول في تعريفه بالنسبة للمعاملات اليوم:

قيام البنك بتنفيذ طلب المتعاقد معه على أساس شراء الأول ما يطلبه الثاني بالنقد الذي يدفعه البنك كلياً أو جزئياً وذلك في مقابل التزام الطالب بالشراء ما أمر به وحسب الربح المتفق عليه عند الابتداء..

ولأن هذا الأسلوب المستحدث من المرابحة أصبحت شائعة في البنوك الإسلامية اليوم، حاولت أن ألمح إليها لأجل الحكم على صحته أو فساده، وإنما لأضعها تحت المجهر، ليتم مراجعتها من قبل البنوك الإسلامية اليوم .. وبالذات أن عدة اشكالات تحوم حولها .. وبالذات لو وضعناها تحت المجهر الفقهي للإمام زيد عليه السلام ..

وهنا نأتي على صورة المرابحة، وما يدور حولها:

وصورتها أن يأتي الوافد إلى المصرف -مثلاً- ويطلب منهم أن يشتروا له سيارة بمواصفات معينة .. على أن يشتريها منهم بالآجل .. على ربح

يتفقان عليه .. ويوقعان عقداً على ذلك يُلزم فيه صاحب الطلب بعدة أشياء، منها : الالتزام بالشرء وإلا لزمته غرامة مالية يدفعها للمصرف حال لو تعذر عليه الشراء ..

ويظهر من خلال ذلك عدة أشياء:

- العقد المبرم في بادئ الأمر ليس عقداً شرعياً يتم فيه البيع لعدم وجود المبيع والثمن، ولا يصل أن يكون عقد وكالة لأن الوكيل لا يصح أن يشتري لنفسه عن الموكل .. فلا يعدو كونه مواعدة .. والمواعدة لا ترقى إلى البيع بالإجماع ..

- يلاحظ أن المصرف يكون مضطراً إلى البيع بعد الشراء خشية أن تفسد في يده، ويكون صاحب الطلب مضطراً إلى الشراء وإلا وجبت عليه غرامة بدون وجه شرعي .. وحالة الاضطرار من كليهما تبطل البيع .. وهذه الصورة تشبه ما ذكره الإمام زيد عليه السلام من "بيع الملامسة" : وهو أن يتساوم الرجلان في السلعة فأيهما لمس صاحبه وجب البيع ولم يكن له أن يرجع .. وهو منهي عليه لأنه غرر أو لأنه تعليق أو عدول عن الصيغة الشرعية، أو معناه أن يجعل اللمس باليد قاطعاً للخيار ويرجع ذلك إلى تعليق اللزوم وهو غير نافذ ..

إلى جانب أن صاحب الطلب في حال تراجع عن الشراء يكون مضطراً إلى الشراء، وهو غير نافذ كما روى الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام " قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "البيعان بالخيار فيما تبايعا حتى يفترقا عن رضا" ..

خاتمة

نستخلص من العرض السريع للملامح الاقتصادية عند الإمام زيد عليه السلام أنه وبلا شك كان يحمل مشروعاً متكاملأً عن النظام الإسلامي المتكامل بما فيه النظام الإقتصادي .. والذي يعتبر أم القضايا المجتمعية .. وبالتالي نستطيع القول أن المذهب الإقتصادي الإسلامي هو المذهب الملائم لكل زمان ومكان في تحقيق الرفاهية المعيشية الذي يكفل للعباد الحياة الكريمة والعيش العادل، وأن المذاهب الأخرى سواءً كانت الماركسية أو الرأسمالية السائدة اليوم مازالت تحمل اختلالات كبيرة في كل قضاياها الاقتصادية تؤدي بها إلى الانهيار مهما حاولت ادعاء التكامل في النظرية والتطبيق ..

ومن هنا .. فلا بد أن يسعى علماء الدين ودكاترة الاقتصاد إلى إعادة طرح المذهب الاقتصادي الإسلامي بجميع أشكاله ومختلف تطبيقاته حتى يستعيب به الناس عن المذهب الآخر (الرأسمالية) .. كما لا بد أن يُولُوا اهتماماً لمذهب أهل البيت عليهم السلام في أمثال هذه الدراسات باعتبارهم قرناء الكتاب، إلى جانب إلى أن منهم من مارس الدولة الإسلامية تطبيقاً على أرض الواقع كالإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام والإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام والإمام القاسم بن محمد عليه السلام وغيرهم ..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

الإمام زيد (ع) عنوان للوحدة الإسلامية^(١)

أ.عبدالسلام عباس الوجيه

أمين عام رابطة علماء اليمن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المرسل بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله هداة الأمة ودعاة الألفة والمحبة ورضي عن أصحابه المنتجبين وبعد:

فإن صلاح الأمة وهدايتها ووحدتها واجتماعها على كلمة سواء هو مقصد وغاية الكتب السماوية المنزلة، ومنها القرآن الكريم المنزل على خاتم المرسلين الذي حوى الهداية والرحمة وأرسى قيم الأمن والسلام والأخوة والوحدة والوئام وكل ما يحقق سعادة البشرية في الدارين، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم للوحدة والاعتصام بحبل الله المتين وإلى استلھام سير القادة والمصلحين الذين حاولوا إصلاح الأمة وجمع كلمتها على

(١) ورقة عمل قدمت في الندوة الفكرية التي نظمتها المجلس الزيدي بعنوان "الإمام زيد اليوم .. كل يعني حر يواجه العدوان". الأحد ٨-١١-٢٠١٥م.

أساس من الحقيقة واليقين واستلهموا خطاهم من نور الكتاب المبين. وها هي ذكرى ثورة واستشهاد الإمام زيد عليه السلام تطل علينا وتدعونا أن نستلهم بعضاً من فيض أنواره ودرر فكره النقي ونقتبس ما ينير لنا درب التحرر والانعتاق ويسلك بنا سبيل الخلاص من ظلمات ودياجي الطغيان والاستبداد.

فلقد كانت ومازالت دعوة الإمام زيد عليه السلام وسيرته وثورته حافلة بالمعاني القيمة والمبادئ السامية والدعوة الصادقة إلى خلاص وهداية وتوحيد الأمة فهي امتداد لدعوة الإسلام ورسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وجهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتوضيحية الإمام الحسين عليه السلام في سبيل إعلاء كلمة الله والعودة بالأمة الإسلامية إلى الفهم الصحيح والاتباع الصادق لكتاب الله تعالى والالتفاف حوله وتطبيق تعاليمه.

على القرآن اعتماده

لقد نهض عليه السلام وجاهد لإحياء معالم الدين معتمداً على القرآن وسعى إلى جمع كلمة الأمة من خلاله وعلى ضوء هداية وتعاليمه.

قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ هو: القرآن، هو حبل الله الذي من اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم. وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء: ١٧٤]، هو القرآن. وقال في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، المتبع

أن يأتي بطاعة الله ويزدجر عن معصية الله. وسبل السلام: طرق النجاة من الهلكة. وقال في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]. يتبعونه حق اتباعه، ليس ذلك بالهذِّ والدراسة.

ومن هنا كان أساس ومضمون وخلاصة دعوته وثورته العودة بالأمة إلى العمل بكتاب الله وأن تجعل منه منهجاً للتطبيق على الواقع ومرجعاً للتمييز بين الحق والباطل على أساس الفهم الصحيح والمنهج القويم المؤدي إلى إصلاح حالها وتوحيدها وخلاصها وأن تعود في ما التبس عليها إلى تراجمة القرآن وقرناء الكتاب الذين يفهمونه حق الفهم والذين قال عنهم النبي ﷺ «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

بالقرآن شخّص داء الأمة ووصف دواها

وها هو سيد العترة في عصره الذي خلا بالقران أكثر من ثلاثة عشر عاماً تالياً لآياته وامتدبراً لها وخاشعاً معها حتى لقب بحليف القرآن ومن خلاله شخّص حال الأمة وداءها ووصف دواها يدلنا على الطريقة المثلى للفهم حيث يقول:

(أما بعد .. يا قارئ القرآن، فإنك لن تتلو القرآن حق تلاوته حتى تعرف الذي حرّفه، ولن تمسك بالكتاب حتى تعرف الذي نقضه، ولن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقى حتى تعرف الذي تعدى، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليف، وعرفت الفرية على الله والتحريف، رأيت كيف هدى من هدى.

واعلم يا قارئ القرآن أن القرآن ليس يعرفه إلا من ذاقه، فأبصر به عمّاه، وأسمع به صَمَمَه وحيي به بعد إذ مات، ونجي به من الشبهات.

واعلم يا قارئ القرآن، أن العهد بالرسول ﷺ قد طال، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ولا من الإيمان إلا ذِكْرُه، وأن الله تعالى لم يجعل ما قسم بيننا نهياً، ولا ليغلب قوياً ضعيفنا، ولا كثيرنا قليلاً، بل قسم علينا برحمته الأقسام والعطيات. فَمَنْ أَجْرَاءَ عَلَى اللَّهِ تعالى ممن زعم أن له أقساماً بين العباد سوى ما حكم به في الكتاب، فلو كانت الأحكام كما حكم به أهل الجور والآثام، لما كان بيننا اختلاف، ولا استعدادنا إلى الحكام، كما لا يستعدي بعضنا على بعض في اللحي والألوان، ولا في تمام الخلق والنقصان).

ثورته ثقافية قبل أن تكون عسكرية

أراد ﷺ من الناس العودة للقرآن لتطبيق أحكامه وفهم مقاصده وتمييز الحق من الباطل لتخرج الأمة من واقعها المزري الذي أوصلها إليه الطغاة والمتجبرون وعلماء السلاطين المنحرفون وتستعيد القدرة

والإرادة والحماس على التغيير فتجعل من الفكر القرآني حركة ومن التلاوة عملاً ومن هنا كانت دعوته وثورته ثقافية وفكرية قبل أن تكون عسكرية وهو ما تحتاج إليه الأمة في كل وقت وعصر لاستعادة هويتها وتقدير مصيرها ولم شتاتها وتوحيدها على أساس متين.

وقد عمل عليه السلام عملاً متواصلاً في ميدان تصحيح المفاهيم والأفكار وتقويم العقل والمنهج على ضوء القرآن ومن خلال التصاقه به وتأمله وتدبره وببصيرته النافذة وبُعد نظره الثاقب أدرك خطورة المؤامرة على الثقافة القرآنية والفكر المحمدي الأصيل ورأى انحراف الأمة عن كتاب الله وخطورة السكوت والسكون فقال قولته الشهيرة: (كيف لي أن أسكن وقد خولف كتاب الله وتُحَوِّكِم إلى الجبت والطاغوت) وقوله: (والله لو لم يكن إلا أنا وابني يحيى لخرجت وجاهدت حتى أفنى) وعزم على الخروج على الظلمة ووضع الأساس والمبدأ الذي يحتاج إليه كل تائر وساع للتغيير والإصلاح والنهوض بالأمة وتوحيدها.

و انطلق بكل حماس إلى تصحيح المنهج وبيان الحق وتوضيح المفاهيم وقاد ثورة ثقافية واسعة النطاق فخطب وكتب وشعر وناظر ولم يترك سبيلاً للإصلاح إلا سلكه.

استنهض العلماء ضمن ثورته الثقافية

خاطب الإمام زيد علماء الأمة الذين يميزون بين الحق والباطل للقيام بمسؤولياتهم ودورهم وحذرهم من التخاذل والتهاون فكانت

رسالته الشهيرة وتلك النداءات التي وجهها إليهم لعلمه بدورهم الكبير في التغيير قال عليه السلام: (إنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين) وعمل على التواصل بالعلماء والمصلحين ودعوتهم للقيام بمسؤولياتهم تهيئتهم لمواجهة الخطر والمؤامرة على الفكر الإسلامي.

الخروج على الظالم

ومن خلال كتبه ورسائله وضع للأمة الإيمان الصحيح والحق الصريح الذي لا تؤثر فيه قلة أو كثرة تابعيه وفرق أيضاً بين الكفر والظلم فلم يكفر المخالفين لكنه وجد أن الظلم معصية اجتماعية يترتب عليها فساد حال الأمة والانحراف بها عن المحجة البيضاء ويؤدي إلى ذلها وهوانها فكانت دعوته للخروج على الظلمة وإقامة الحق والعدل وتطبيق مبدأ المساواة بين الناس وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ورد المظالم وقسم الفياء بين أهله ونصرة أهل البيت عليهم السلام هدفاً وغاية استرخص روحه لأجلها ودعا علماء الأمة الربانيين وصلحاءها وناشدي الحق والعدل فيها إلى الالتفاف حوله ومناصرة دعوته إلى الإصلاح والتغيير وإسقاط عروش الطغاة والمستكبرين وعلى هذا الأساس تابعه وناصره وبايعه كثير من مشاهير صلحاء عصره من أهل البيت عليهم السلام ومشاهير فضلاء من كبار علماء عصره الذين شهدوا له بالعلم والمعرفة والفقهِ والفهم والتقى والورع والعبادة والخشية والالتصاق الحميم بكتاب الله تعالى والمقام يطول لو حاولنا سرد شهادات أهل بيته ومعاصريه.

ملامح منهجه الوجدوي

وهكذا حدد عليه السلام بثورته الثقافية والفكرية الجامعة غير المفترقة والعدالة غير الجائرة ثم العسكرية ملامح المنهج الصحيح المؤدي إلى الإصلاح والتغيير وتوحيد الأمة وتخليصها من الظلم والاستبداد والانحراف والفساد وهو المنهج الذي يمكن أن يكون قاسما مشتركا بين الأمة الإسلامية تتوحد عليه لتواجه الظلم والجبروت والهيمنة والتمزق والشتات الذي أوصلها إليه الطغاة وعلماء السوء ودعاة الفرقة وأعداء الأمة.

ومن ملامح المنهج الذي قدمه الإمام زيد عليه السلام في دعوته وسيرته وثورته.

- استنهاض الأمة والعمل على إخراجها من واقعها الفكري المزري الذي أفقدها القدرة على التمييز بين الحق والباطل والقدرة والإرادة على التغيير عن طريق الدعوة إلى العودة إلى المنبع الصافي وتفنيد ومحاربة العقائد والأفكار المغلوطة التي سلبت أفراد الأمة الشعور بالمسؤولية والحاجة إلى الحركة والعمل وتركتهم في حالة الجمود واللامبالاة كالجبر والقدر والإرجاء ووجوب طاعة الحاكم الظالم وحرمة الخروج عليه وسائر العقائد المنحرفة التي تبرر للعصاة أفعالهم وللظلمة والجائرين فسادهم واستبدادهم وظلمهم وجبروتهم وهي العقائد التي عمل معاوية ومن سار على سنته السيئة على نشرها .. وحقيقة عندما ينظر المسلم في كتب العقائد والأصول الدينية، وفي تأريخ الأمة

وحاضرها يرى بوضوح حجم الكارثة التي سببتها هذه العقائد، وحاجة الأمة لفكر وتراث الإمام زيد عليه السلام والزيدية.

- إرساء مبادئ العدل والتوحيد وكل ما يترتب على كل تلك المبادئ من تحرير للعقل ووصول إلى الإيمان الكامل الذي يدفع الإنسان لتحمل مسؤولياته ورفض الظلم والفساد والطغيان ووجوب الثورة على الظالم ليحل العدل بدلا عن الظلم والصلاح بدلا عن الفساد والإفساد
- وضع الخطوط العريضة للعمل الثوري الإسلامي الأصيل بشموليته وتكامله وإنسانيته وسمو مقاصده ونبل أهدافه وغاياته ليكون بحجم أمة لا بحجم طائفة أو تيار أو مذهب ولتصبح الرؤية السياسية والثورية ذات غاية وهدف ومسؤولية هي الإصلاح الشامل والعدل المتكامل وهو ما لا يقدر على القيام به إلا القائد العالم الواعي المتقي الورع القادر العادل الذي لا تؤثر فيه أهواء السلاطين ولا تأخذه في الله لومة لائم.

- إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعادة الدور الحقيقي والفعال للعلماء الربانيين وتوضيح زيف ونفاق وتحريف علماء السلاطين حيث ركز الإمام عليه السلام على فئة العلماء لخطورة دورهم وأن صلاح الأمة بصلاحهم وفسادها بفسادهم فكان تركيزه عليهم وصياغته لتلك الرسالة الشهيرة التي وجهها إليهم والتي حثهم فيها على تقوى الله تعالى واستحفاظ دينه وبين فيها من هم علماء الدين

الربانيون ومن هم علماء السوء الدنيويون أتباع السلاطين وحدد الدور الإيجابي للعلماء وما يترتب عليه إن قاموا بمسؤولياتهم والدور السلبي كذلك وما يترتب عليه إن داهنوا ورضوا بالمكس وخانوا الأمانة وأخلوا بالمسؤولية.

• تبني عَلَيْهِ السَّلَام الفكر الوسطي المنصف الذي لم يخرج عن الحق فيما يتعلق بالخلاف السياسي والموقف من الخلافة بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك في الموقف من الصحابة ومن بعض قضايا الخلاف التي أراد الطغاة للأمة أن تشغل بها وشرح ووضح وأوجد المخارج السليمة على ضوء الكتاب والسنة وهو الأمر الذي جعله والمنتسبين إليه محط التقاء وقبول واحترام بين المسلمين حتى سموا بسنة الشيعة وشيعة السنة حيث تميز الفكر الزيدي بالوسطية والاعتدال والمنهج المتميز المعتمد على الكتاب والسنة والعقل ووفر الحرية وفتح باب الاجتهاد لمن صار أهلا له وتعامل مع نصوص الآخرين واجتهادهم بانفتاح وإنصاف واحترام وجعل معرفة ما عند الآخر سبيلا للوصول إلى الحجة الأمثل والدليل الأقوى وهو ما جعل كتب الفقه الزيدي موسوعات فقه مقارن.

• وضع عَلَيْهِ السَّلَام حدود وضوابط الثورة والتغيير وقيّد كل ثورة وخروج على الظلم وسعي إلى التغيير في الوسط الإسلامي وحركة كل تائر بالبصيرة والوعي في مقولته الشهيرة: (عباد الله! لا تقاتلوا عدوكم على الشك ففضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة .. البصيرة ثم القتال،

فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق. عباد الله البصيرة .. البصيرة).

فالبصيرة كما في كتاب فكر الثورة في الإسلام هي أن يتأكد المسلم أنه يقف الموقف الصحيح ويقاوم مع قائد شرعي مؤمن تقى، ويقاوم في المكان الصحيح ويقاوم بالأخلاق الصحيحة وبالأساليب المشروعة، فلا تفخيخ ولا أحزمة ناسفة ولا غدر ولا قتل أبرياء، مع إعطاء خط رجعة لمن عاد إلى رشده، ولا كذب ولا شحن مذهبي ولا تعبئة طائفية أو حزبية أو مناطقية أو عنصرية، بل وعي كامل ونية سليمة صافية صادقة وحرص شديد على الناس وعلى هدايتهم حتى من يقاومهم، ولا يأخذ أحداً بذنب أحد بحجة الانتماء المذهبي أو الطائفي، فالبصيرة هي الإجابة الصحيحة لعدة أسئلة مثل: لماذا أثور؟ وما هي أهدافي؟ وما غايتي وقصدي ونيّتي؟ ومع من أثور؟ وكيف أثور؟ وضد من أثور؟ .

أكتفي بهذه النقاط التي كتبت على عجلة في محاولة للتعرف على ملامح من منهج وفكر وشخصية الإمام زيد بن علي عليه السلام وهي قطرة من مطرة من المبادئ والقيم التي جعلت منه ومن المنتسبين إليه وإلى فكره نقطة التقاء ومرتكز وحدة وتواصل وتلاق بين عقلاء ومنصفى الأمة الإسلامية التواقين إلى التقارب والتعايش وفق أسس سليمة وهدف وغاية نبيلة وهذا ما شهد به الكثير من كبار العلماء والمفكرين المتقدمين

والمعاصرين الذين درسوا وحققوا سيرة ومسيرة الإمام زيد والزيدية بإنصاف وتجرد آملاً أن يلقى الإمام وفكره الثوري النقي وتراثه وتراث المنتسبين إليه اهتماماً وعنايةً كلّ الباحثين والدارسين والساعين إلى توحيد الأمة ورص صفوفها وجمع كلمتها ولم شتاتها وتنوير عقول أجيالها لتصبح خير أمة أخرجت للناس أخرجت للناس.

والله من وراء القصد

الإمام زيد والزيدية بين الهوية الأصيلة والأهواء الوافدة

أ.خالد موسى

تأتي ذكرى ثورة الإمام زيد عليه السلام كل عام واليمن بل والأمة الإسلامية كلها في أمس الحاجة للوقوف مع هذه الشخصية الإسلامية الاستثنائية والتميزة هذا الإمام الذي شهد بإمامته أكابر العلماء والتابعون وأعلام أهل البيت الذين وصفوه بأوصاف ذات دلالات ومعاني كبيرة منها أنه (أوتي علماً لدنيا) وأنه يعلم المعارف والمعاني الدينية التي لا يعلمها غيره كما شهد بذلك الباقر عليه السلام وأنه لم يُر في زمانه (أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع النظر) كما شهد بذلك وأقر أبو حنيفة رحمه الله حتى شهد لمقامه خصمه اللدود وحاكم عصره الغشوم الذي ثار في وجهه هشام بن عبد الملك الذي أصدر مرسوماً ملكياً لوالي العراق بأن يمنع الناس في العراق من الجلوس مع الإمام زيد بن والاستماع إليه خوفاً من علمه وفكره ولغة خطابه وبيانه القرآني وقدرته البلاغية وفصاحته الأسرة والجدابة فقال في مقام الإمام قولاً يبرز مقامه القيادي : امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي،

فإن له لساناً أقطع من ظبة السيف، وأحصد من شبا الأسنّة، وأبلغ من السحر والكهانة، وكل نفث في عقدة.

إن إحياء ذكرى ثورة واستشهاد الإمام زيد فرصة حقيقية للاستفادة من أخلاقه وسيرته ومواقفه كإمام يقتدى به وعلمٍ فارقٍ بين منهجه الفكري ونهجه الثوري وبين الناس قاطبة وعلمٍ فارقٍ كذلك بين أتباعه الحاملين فكره وهويته وأصوله ومشروعه التنويري وبين غلاة الشيعة الذين خذلوه وتكفروا لثورته وجادلوا أو شككوا فيها وفي إمامته وقالوا: لست الإمام، كل هذا الزعم والجدال ليتهرّبوا من تحمّل مسؤولية الإصلاح والجهاد الذي فتح بابّه الإمام الحسين ثم أُغلقَ بعد استشهاد عشرات السنوات فأتى الإمام زيد وكسر حالة الصنمية والجمود وتجاوز الخطوط الحمراء المصطنعة التي روج لها علماء السوء، كتقديس الوالي الظالم وحرمة الخروج عليه بل واعتبار الخروج عليه خروج ومخالفة للإرادة الإلهية وفتح باب فتنة بناء على عقيدة الجبر والقدر التي روجت لها السلطة الأموية ووضعت من يخالفها في قفص الاتهام والتمرد على الله وشرعه، لكن الإمام زيدا فتح باب الجهاد والاجتهاد وأحيا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحمل الإمة الإسلامية الحجة والمسؤولية لتكون كما أراد الله ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقاوم سياسة الظلم والفساد والقهر والرضا بتغلب الحكام الفاسدين والفاسقين واعتبر أن الفتنة الحقيقية والكبرى هي أن يبقى أمثال هشام حاكمين للامة ومتغلبين عليها ومستأثرين بثرواتها ومعطلين

لأحكام الدين ومضيعين لفرائضه.

لا زال الإمام زيد إلى يومنا هذا يُخذل ويُجادل في ثورته ويُنظر إلى خروجه بعين الارتياب والتشكيك عند أناس، وأناس آخرون لا يعترفون بإمامته وكأن إمامة الإمام زيد لن تصح ويعترف بها إلا بشهادتهم وتركيتهم، ونجد هؤلاء يكتفون على استحياء بإطلاق لقب زيد الشهيد أو زيد الثائر على هذا الإمام العظيم والمجدد للنهج الحسيني الكربلائي.

ولا يزال هذا الإمام يُخذل ويُساء تمثيله من بعض الأتباع والمنتسبين لفكره وأصوله من خلال قعودهم وانزواءهم واعتزالهم عن واقع الأمة والحياة وعدم اهتمامهم الاهتمام العملي لما يقع على هذه الأمة من ظلم وقهر ومأس بسبب سياسة الحكام الجائرين الذين ينهبون الثروات ويجوعون الشعوب ويشردونها ويسومونها سوء العذاب، بل ويمارسون بحقها أفضع وأخطر مما مارسه حكام بني أمية، هؤلاء مع الأسف يريدون أن يكونوا زيدية كما يريدون هم وبما يتوافق مع أمزجتهم ومصالحهم لا كما يريد الإمام زيد عليه السلام الذي رسم مسار الهوية الزيدية فكراً وثورةً نظريةً وتطبيقاً، المسار الذي يجب أن يسير عليه كل من ينتمي أو ينتسب إليه ويحمل هويته وهيمته العالية التي لا تهادن المنكر ولا تجامل الباطل ولا تسكت عن الظلم أو الطغيان بل تتطلع إلى ما تطلع إليه الإمام الذي قال: «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أن لقيت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنهمم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أن

أَجَبْتُ لِي نَارٌ ثُمَّ قُدِّفْتُ فِيهَا، ثُمَّ صَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ لَا يَنْصُرُنِي أَحَدٌ إِلَّا كَانَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ. فَمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعَ أَهْلِ الْكِسَاءِ لَا بَدَّ أَنْ يَكْتَسِبَ بِهَوِيَّةِ هَذَا الْإِمَامِ فِي نَهْجِهِ الْعَمَلِيِّ وَيَتَرَجَّمُ أَدْبِيَّاتِهِ وَشَعَارَاتِهِ وَفِكَرِهِ إِلَى ثَوْرَةٍ ضِدَّ كُلِّ فَاسِدٍ وَظَالِمٍ وَيَصْدَعُ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ أَمَامَ طِفْغَاءِ هَذَا الْعَصْرِ لَا سِيَّمَا طِفْغَاءِ النِّزَامِ السُّعُودِيِّ وَالْإِمَارَاتِيِّ الَّذِينَ صَارُوا أَدْوَاتَ مَنْفَذَةٍ لِمَشْرُوعِ الْاسْتِكْبَارِ وَالْهَيْمَنَةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ.

إن إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقارعة الجائرين ومواجهة الطغاة الفاسدين والوقوف في وجه غزاة اليوم المحتلين أولياء اليهود والنصارى هو عين الهوية الزيدية والترجمان العملي لحقيقة الانتماء لمن ينتسب إلى هذا الإمام ويرى رؤيته ويسير بسيرته العلمية والجهادية هذا التميز في الولاء هو ما أشار إليه الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية بقوله «أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوجَّ، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة» فمن لا يتحرك لإحياء ما اندثر من سنن المرسلين ولا يسعى لإقامة عمود الدين ولا يصدع بكلمة الحق أمام الظلمة والمبطلين فلا يملك من الزيدية إلا الاسم أو الشكل أو الجغرافيا.

إن الإمام زيدا عليه السلام هو الهوية الإسلامية الأصيلة والجامعة والفارقة في نفس الوقت به يعرف الثوار الأحرار ومن خلاله تتمايز الصفوف

التواقة للحرية المتطلعة للتغيير الباحثة عن الخلاص لهذه الأمة ومن يحاول او يسعى للنيل من هذا الإمام ومن هويته فإنه يبرهن على جهله ونقصه وإساءته للإسلام نفسه كونه علما مجدداً من أعلامه وعلما من أعلام أهل البيت عليهم السلام.

إن هذا الإمام ما صار إماماً إلا لأنه حمل هم الإسلام ودعا الناس لإحياءه، بعد أن حولته الأسرة الأموية إلى قشور ومظاهر وجمدت أسسه وقتلت حيويته وهجرت معاملة كما هو الحال والواقع اليوم مع الأسرة السعودية الحاكمة التي تقوم بهدم أسس الدين وتمارس اكبر وأخطر عملية تزوير للإسلام، من خلال إبراز الوهابية الحنبلية والترويج لها في العالم الإسلامي وإقناع الناس بأن الوهابية السلفية هي مفتاح فهم الإسلام الصحيح، وتريد أن تلبس الوهابية لباس الإسلام الأصيل، وهذا ما يضاعف المسؤولية على علماء الأمة قاطبة وعلماء أهل البيت خصوصا بأن لا يتركوا الساحة فارغة على مستوى الساحة اليمنية على وجه الخصوص وألا يتركوا الأفكار الوافدة والدخيلة تنتشر وتتوسع .

إن استهداف الزيدية المباشر وغير المباشر ومحاولة تعييبها او تشويهها هو استهداف وتشويه للإمام زيد ولكل أئمة الزيدية، والاستهداف اليوم تتزعمه دول وتيارات متنوعة، وهناك سياسة تزحف ببطء لاحتواء الهوية الزيدية كما هو قائم ومشاهد ومعلوم، فالوهابية سعت ولا زالت تسعى للظهور بمظهر الحب والولاء للزيدية، بل نرى ونسمع كثيرا من الوهابيين

يرفعون دعوى بأنهم زيدية وأنهم على خطى الإمام زيد وأنا نحن الزيدية لا نفقه الزيدية ولا نعبر عن أصالتها وهويتها، وقد سخرت الدولة السعودية الأموال الطائلة وبنّت المشاريع العملاقة والمعاهد في قلب المحافظات الزيدية، بل وصلت إلى كرسي الزيدية وتربعت عليه وفعلت فعلها طيلة سنوات وسنوات ومكرت مكرها فغررت ودجنت وحاربت الهوية الزيدية، وكادت أن تقضي عليها لولا عناية الله ولطفه ولولا وجود بقية باقية من العلماء العاملين الذين وقفوا للغزو الوهابي الوافد والدخيل بكل قوة ووعي فأسقطوا دعوى الأدعياء وبددوا شبههم وكشفوا حقيقتهم وبينوا مدى خطرهم على الإسلام والمسلمين.

ومع الأطماع والأهواء الوهابية نرى ثمة أهواء أخرى من قبل بعض المذاهب الشيعية التي يسعى بعض مأزوميهها وجهلتها ومتعصبها للمساس بهوية وأصالة أهل اليمن والنيل أو التشكيك في هويتهم الزيدية، والنظرة إلى إمام الزيدية نظرة قاصرة وجائرة تحت عناوين جذابة وشعارات براقية استجابة منهم لمرويات جعلوها مقدسة، وتماشياً مع موروث هم مطالبون بتصحيحه ومراجعته إن أرادوا أن نشق بهم ونطمئن إليهم ونحسن الظن بهم، لأن هوية الزيدية تتمثل في إمامها الأول التي تنتسب إليه الزيدية فمن يتعامل بصدق وموضوعية وواقعية مع هذه الهوية وإمامها فإنه صادق في احترامه وتعايشه مع أتباع هذا الإمام العظيم والمجدد، إلا أن بعض المحسوبين على الشيعة والتشيع قد تطبع وتربى على فلسفات تغر الناظرين وتدغدغ عواطف الموالين لأهل البيت جاهلين أصحاب هذا التيار أو

متجاهلين بل ومنتكرين للدور والتحرك التاريخي والكبير الذي قام به أئمة الزيدية في تلك الدولة التي لا زالت آثارهم ومؤلفاتهم ومخطوطاتهم وأضرحتهم ومقاماتهم تشهد بإسهامهم التنويري ودورهم الفكري العظيم والمشرف، وتبرهن على أصالتهم وهويتهم التي كان لها بالغ الأثر والدور في انتشار تلك البلاد من ضلال الكفر ومناهات الأفكار الجامدة والخرافية التي أورثتهم الذل والقهر سنوات وسنوات حتى عادوا إلى ذات المسار الذي أحياه الإمام زيد، والأشدّ ألماً وريبة أن يتأثر البعض بأفكار وافدة ويتكبرون لأصولهم الأصيلة ونهجهم الوضوء وأئمتهم العظماء الذين دوخوا الدول وهزوا عروش المستكبرين قبل غيرهم فكان لهم السبق، هؤلاء الذين أصبحوا أشد غلوا وأكثر تطرفا واعظم خطرا على الهوية، وهذا ما يستوجب من حماة وحملة الهوية الزيدية الدراسة لهذه الظاهرة وهؤلاء الشواذ الذين يهددون هويتنا ويستهدفون أصالتنا ويغررون على شبابنا ويستغلون ظروف العدوان والحرب علينا ويتسللون لوإذا تحت عناوين إنسانية وعاطفية.

هذا كله يستوجب وضع المعالجات الفكرية واتخاذ الخطوات التي تحصن مجتمعنا وتنمي في شبابه حالة الوعي والمعرفة وتجعل منه مجتمعا مؤثرا بهويته معتزا بأصوله وأصالته لا متأثراً، ومن أحب التقارب والتعايش مع أصحاب هذه الهوية الأصيلة والمستقلة فلا مانع شريطة أن يعطي أئمتها وفكرها حقه من الاحترام وألا يجعل من التقارب والتسامح والتعايش مظلة أو شماعة للوصول إلى ما يريد من تدوير وتغييب أئمة هذه الهوية وأئمتها العظماء.

البعد الاجتماعي في ثورة الإمام زيد بن علي (ع)

أ.حمود الأهنومي

مقدمة:

هناك أسباب وعوامل وأهداف مقدسة كانت وراء ثورة الإمام زيد بن علي وحركته الجهادية، ويطول البحث لو استقصيناها على نحو كامل، وسيقتصر هذا الكتيب على البعد الاجتماعي لهذه الثورة، والتجوال في أنحاء هذا البعد يشير ولو بالقياس إلى الأبعاد الأخرى، ويحسن التنبيه بأن أي محاولة لتسطيح التاريخ على النحو الذي صورته بعض المؤرخين عن أسباب ثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام⁽¹⁾ تعتبر تأصيلا خطيرا للفوضى، وستعطي وعيا تاريخيا مسطحا، ينتج عنه حركة تاريخية منحرفة أيضا؛ ولهذا فالمطلوب من الباحثين دراسات جادة تضع جميع عناصر البحث المؤثرة في

(1) يسوق البعض أن ثورة الإمام زيد بن علي جاءت باعتبارها ردة فعل غاضبة نتيجة الإهانة التي وجهها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان في مجلسه إليه، كما يعتقد آخرون أن الحدة التي كانت من صفات الإمام زيد بن علي هي التي حملته على الخروج والثورة ضد هشام بن عبد الملك الذي كان على قدر كبير من التحلي بصفات رجال الدولة المحترمين، ورأي ثالث يجعل السبب خصام الإمام زيد مع أبناء عمومته أولاد الحسن عليه السلام واستغلال الوالي الأموي لتوسيع الشقة بينهم، ورأي رابع أنه استُخِفَّ من قبل أهل الكوفة وكانوا أهل غدر.

الحدث التاريخي والثوري على مائدة واحدة واحدة لتظهر الصورة الأقرب إلى الصدق التاريخي، لا سيما حين ندرس تاريخ العظماء وذوي التأثير من هذه الأمة الذين لا زال تأثيرهم باقيا حتى اليوم.

سيحاول الكتيب وضع خلفية اجتماعية واقتصادية لما كان عليه ذلك العصر، وللعلاقة الاجتماعية والاقتصادية التي كرّسها الحكام الأمويون بينهم باعتبارهم حكاما وبين أبناء الأمة الإسلامية باعتبارهم محكومين، ثم العودة إلى البرنامج الثوري الجهادي للإمام زيد عليه السلام الذي يتصل اتصالا كبيرا بالوضع الاجتماعي المعاش.

أفاد هذا الكتيب من مصادر عديدة، وهو مدين بالفضل أيضا لمقدمة الدكتور عبدالعزيز الدوري عن الاقتصاد العربي. وقد تم عزو المعلومات إلى مصادرها بشكل منهجي.

تمهيد

من المعروف تاريخياً أن بني أمية اغتصبوا أمر هذه الأمة بالمال والسيف منذ معاوية، ومن شأن المغتصبين للحكم أن يظلموا قائلين من أي محاولات تصحيحية، ولهذا ظلوا يستخدمون أدوات ووسائل تضمن استمرار الحكم وتكرسه في أيديهم، ومن هذه الأدوات المال، والأرض، والضرائب، والعقاب بالحبس، والقتل، والتلاعب بالوضع الاجتماعي والقبلي ضعة للمخالفين ورفعة للموالين، ولم يترددوا في استخدام أبشع الجرائم إذا ما اقتضى الأمر للحفاظ على كراسيهم كالذي فعلوه يوم الطف بسيد شباب أهل الجنة الحسين بن عليؑ وأهل بيته وأصحابه، ويوم الحرة بأبناء الأنصار والمهاجرين.

استئثار الأمويين بالأرض الخراجية

بالعودة إلى أيام الفتوحات للعراق والشام وفارس، ففي العراق وإيران مثلاً وجد الخليفة عمر بن الخطاب الأرض المفتوحة عنوة - شاسعة ومترامية الأطراف، فلم يعمل بالمبدأ الإسلامي المعروف في هذا النوع من الأراضي وهو تخميسها وتوزيع ما بقي منها على الفاتحين، بل أمر بضمها إلى ملكية بيت مال المسلمين على أن يعطي الفاتحين أعطيات ثابتة، تعوضهم عن بعض حقوقهم^(١)، وبهذا كانت غلات الأراضي

(١) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)، كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م،

المفتوحة في العراق تذهب إلى بيت مال المسلمين الذي كان تحت تصرف الخليفة، ولما جاء الخليفة عثمان بن عفان ترك حبل بني أمية - وهم رهطه - على غواربهم خصوصا في سنواته الأخيرة^(١)، ونقم عليه المسلمون أحداثا منها أنه أعطى من بيت مال المسلمين خمس خراج أفريقية لمروان بن الحكم، وأقطع للمقربين منه قطائع ضخمة، حتى قال قائل ولاته في سواد العراق إنه "بستان قريش"؛ مما أثار حفيظة بعض الفاتحين^(٢)، وأدى ذلك كله إلى علاقة سيئة مع الدولة ممثلة في الخليفة عثمان وولاته من بني أمية انتهت بمقتله ليتخذه معاوية قميصا للوصول إلى الحكم، والتمرد على الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ولما استقر الأمر لمعاوية كانت له نهمة كبيرة في امتلاك الأراضي في الحجاز والعراق والشام، ومن ذلك تلك الأراضي التي كانت للأسر الحاكمة والنبلاء والإقطاعيين الكبار في الدولة الساسانية والذين هرب جُلهم أو قتل أثناء معارك الفتوحات، وكذا أراضي معابد النار، اصطفاها الخليفة معاوية لنفسه وخاصته، ولهذا سميت بالصوافي، وتصرّف فيها كما يحب، ويذكر المؤرخ القومي الدكتور عبد العزيز الدوري أن الأمويين

(١) قال الإمام علي في خطبته الشقشقية عنه: وقام معه بنو أبيه يخضون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع. كما أعلن الإمام علي بعد مقتل عثمان أنه سيرد القطائع التي أقطعها بدون وجه إلى بيت مال المسلمين.

ينظر نهج البلاغة، ط١، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٠٦ - ١٠٧، ١١٨ - ١١٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ج ٢، ص ٦٤٢؛ وأبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، ط١، بيروت،

دار الفكر، ج ١٢، ص ١٦٧.

وفي مقدمتهم معاوية أقطعوا تلك الأراضي لأنصارهم وأقربائهم^(١). مما يعني حرمان الأغلبية من عامة الناس.

وصارت التملكات^(٢) الكبيرة للأراضي ظاهرة شائعة في البيت الأموي وولاتهم، ويذكر منهم مثلا مسلمة بن عبد الملك أمير العراق (في ١٠٢- ١٠٣هـ) الذي استصلح أراضي واسعة في السواد كانت المياه قد غمرتها أثناء ثورة ابن الأشعث فاستكثر الخليفة الوليد بن عبد الملك المبلغ المقدّر في إصلاحها وهو ثلاثة ملايين درهم، فتقدم مسلمة بعرضٍ استصلاحها ولكن لنفسه، فوافق الوليد، فاستصلح أراضي شاسعة منها، وحفر لها نهرين واسعين عرفا بـ(السيبين)، كما كان لوالي هشام بن عبد الملك على العراق خالد بن عبد الله القسري (في السنوات ١٠٥هـ - ١٢٠هـ) نشاط واسع في استصلاح الأراضي وامتلاكها في السواد حتى بلغت غلة أراضيه ملايين الدراهم سنويا، بل كان يستطيع التأثير بغلاته على أسعار السوق^(٣)، ولهذا ورد في وثيقة تاريخية أوردها المؤرخ الطبري تتضمن مرسوما خليفيا قضى بمنع خالد القسري من بيع غلاته "حتى تباع غلات أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك"^(٤). وهكذا أصبحوا يتحكمون حتى في

(١) مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ط٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢م، ص٢٣-٢٥، ٢٦.

(٢) أطلق عليها هذا المصطلح مجازا، إذ ليس لهم سبب شرعي في التملك.

(٣) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٨٩؛ وحماة، ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي (٤٠هـ/٦٦١م - ١٣٢هـ/٧٥٠م)، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار الفنايس، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٤٨٣.

مآكل الناس ومصائرهم.

هشام الخليفة الأموي نفسه احتجج أراضيه واسعة في أنحاء مختلفة من مملكته وكانت من أهم مصادر وارداته^(١)، لقد تذكر أحد الواعظين بعد أقول شمس الدولة الأموية حالة هشام وأولاده فقال: "ولي هشام بن عبد الملك ثماني عشرة سنة ما منها سنة إلا وهو ينشئ فيها عيوناً، ويتخذ فيها أموالاً، ويقطع لولده القطائع، ولا أعرف اليوم من ولده رجلاً يشع"^(٢).

تطورات الوضع الاجتماعي المتحكم عبر الأشراف والأموال

لما وصل الأمويون إلى الحكم استحضروا الروح القبلية، مضافاً إليها العصبية العربية، معجونة بالتأثيرات البروتوكولية التي تأثروا بها من أسلافهم على الشام البيزنطيين، وأصبح الشيخ العربي بعقلية أبي سفيان الذي لم تهذب المبادئ الإسلامية يجلس على كرسي هرقل، ويحكم الأمة التي تدين بدين الإسلام بالطريقة التي يرى فيها المصلحة لدولته من دون نظر إلى موقف الإسلام من تلك الطريقة، وكانت إحدى أدواته في التحكم في الناس استمالة شيوخ القبائل، الذين كانوا يسمون بالأشراف، واعتبارهم مراكز القوى المتحكمة في الأمصار، وقد أغدقوا عليهم الأموال، وأرهقوهم بالكرم من بيوت أموال المسلمين، فكانوا الظهير والمؤازر لهم، وفي مقابل

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٢٩.

(٢) البيهقي، إبراهيم بن محمد، (كان حياً قبل ٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، ط المكتبة الشاملة، ص ١٥٢.

ذلك اعتُبروا مسؤولين عن أي حدث يحدثه أفراد قبائلهم، وقد استعان بهم زياد ابن أبيه في حكم العراق، ثم ابنه عبيد الله في إجهاض ثورة الحسين وقتله، ومن قبلهم معاوية الذي كان بلاط قصره يحفهم بالإسعاد والاحترام، وحين يعودون منه يكون قد نالهم كرم (أمير المؤمنين!! معاوية) بشيء لا تستطيع قلوبهم معه إلا أن تحبه^(١).

ومع مرور الوقت حصلت فجوة بين هؤلاء الأشراف وبين عامة قبائلهم؛ حيث أن الأشراف اتجهوا إلى العناية بالأرض التي أقطعتهم إياها السلطة من خلال وكلائهم، واتجهوا في التمتع بالأموال التي يتقاضونها من قبل السلطة، فتكرّست الأموال بأيديهم بينما بقي عامة قبائلهم يكابدون الفقر ويصارعون العوز والحاجة، لكن حين نصل إلى فترة الحجاج (٧٥هـ-٩٥هـ) نجد انفصاما واضحا بين الأشراف والعامة بسبب اتساع الفجوة الاقتصادية بينهم، وحينها رأى الحجاج أن الأشراف لم يعد لهم تأثير واسع وفاعل على قبائلهم، فأنشأ مدينة واسط وأقام

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، أبو عمر القرطبي النمري، (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: علي الجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج٢، ص٨٢٦؛ وابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، ت: علي شيري، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج١٦، ص٢٠٩، ج٣٥، ص٣٦، ج٤٠، ص٢٩٨؛ والحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، (ت ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفى عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج٣، ص٥٤٢، ح رقم ٦٠١٥؛ وفيها سلوك مضحك وميك من معاوية في سياسة الناس وشراء ذممهم بالمال لتحقيق مآربه وأغراضه.

فيها حامية عسكرية مجلوبة من الشام، اعتمد على هذه الحامية في فرض سيطرته على القبائل^(١) مستعيضا بها عن الأداة السابقة وهي شيوخ القبائل.

ويجد الباحث قلقا واضحا لدى هشام بن عبد الملك (ولي من ١٠٥هـ - ١٢٥هـ) من هؤلاء الأشراف حينما تخوّف من إرهابات ثورة يقودها الإمام زيد بن علي، فأمر واليه على الكوفة يوسف بن عمر أن يستدعي الأشراف ويتوعدهم بالعقوبة في الأبخار، واستصفاء الأموال منهم إن تحركوا باتجاه الثورة مع الإمام زيد، كما توقع أن من كان منهم له عقد من ذلك فإنه سوف لن ينصر الإمام زيدا^(٢)، ويُعزى السبب في خضوت تأثير الأشراف في قبائلهم لما مر سابقا، ولتغلغل المبادئ الإسلامية التي نادى بها أهل البيت وعمّدها الإمام الحسين بن علي بدمه في كربلاء في عقول الناس شيئا فشيئا، وقيام مدارس إسلامية درّست الحديث والسيرة والفقهِ والتي في العادة روّجت للمبادئ الإسلامية واعتمدتها طريقة ومنهجاً؛ الأمر الذي أدّى بالمقابل إلى انحسار القيم القبلية السلبية التي كانت إحدى أدوات الحكم في الدولة الأموية.

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٢٨.

(٢) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٤٧٩.

انعكاس الحالة الاجتماعية على برامج ثورات ذلك العصر

استدعى بالضرورة تعامل الأمويين مع الأرض على ذلك النحو جبراً الناس وعامتهم للعمل سخرة في هذه الأراضي الشاسعة لإحيائها وزراعتها، ولهذا نجد في برامج الثورات التي اندلعت آنذاك المناداة بالدفاع عن المظلومين والضعفاء، والحكم بكتاب الله وسنة رسول الله، ويظهر هذا واضحاً في برنامج الإمام زيد كما سيأتي، وفي برنامج ثورة الحارث بن سريج في خراسان^(١)، والثورات التي تنتمي لتلك المرحلة.

بل ويظهر حتى في برنامج ثورة الخليفة الأموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ضد ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ، فنقرأ برنامجاً الذي وعد به الناس بعد تنصيب نفسه خليفة، وفيه ما يبين المظالم التي كان يعانون منها، يقول فيه: "أيها الناس إن لكم علي أن لا أضع حجراً على حجر، ولا أكرى نهراً، ولا أكثر مالاً، ولا أعطي زوجة ولا ولداً، ولا أنقل مالاً من بلدة إلى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، فإن فضل فضلة نقلتها إلى البلد الذي يليه، ولا أجمركم^(٢) في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٤٨.

(٢) التجمير إبقاء الجند في الثغور مدداً طويلة لا يحتملونها، وهناك تأثر واضح بثورة الإمام زيد وبرنامجها على ثورة هذا الأموي، يفسره التشابه الكبير في البرنامجين، وما يحملانه من طابع اجتماعي واقتصادي.

أهل جزيتم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم؛ وأن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم"^(١).

ومن هذا البرنامج يتضح أن القضية الاجتماعية والاقتصادية كانت مستفحلة الشرور، وتبين مدى الأثرة والاستبداد الذي وصل إليه الحاكم الأموي في احتجان الأراضي والاستحواذ على الأموال العامة وتوزيعها على الأقارب، وأخذ الأموال من الأمصار إلى الخزينة في العاصمة، واحتباس الجنود في الثغور لمدد طويلة، والتضييق على المعاهدين، والانصراف إلى حياة اللهو والشهوات، وترك إدارة الدولة بالحسن، والتقاعد عن حل مشاكل المواطنين، والتلاعب بالعتاء، وسياسة التمييز الطبقي بين فئات المجتمع.

المال شهوة هشام بن عبد الملك

ذكرت بعض المصادر اهتمام هشام بإدارة مملكته وعظيم عنايته بالاطلاع على أحوالها ودواوينها، وأنه كان مثار إعجاب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور^(٢)، ومن المفيد التذكير أنه كان يجمع الخليفين العداء

(١) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ)، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ت: سهيل زكار، رياض زركلي، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج ٨، ص ٢٧٨، ٢٧٩؛ وحمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٦٨.

العميق ضد آل أبي طالب بسبب الخوف على السلطة كما جمعهما التورط في دمائهم، والبخل الشديد الذي حُكِيَتْ عنه القصص الكثيرة، غير أن هناك ما يبين أن هذا الاهتمام لا يخلو من شائبة الاستبداد واستخدام أدوات قدرة في التسلط، ولكأن الزهد كان عن جريمة للهوس في أخرى، فهذا هشام علم أن أحد أولاده كان يميل إلى الفاحشة، فعزله عن عمله، وقال له: "أيزني القرشي؟ أتدري ما فسق القرشي وفجوره؟ إنما هو أن تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتقتل هذا وتأخذ مال هذا"^(١).

لقد كان الاستحواذ على المال وجمعه شهوة هشام، لكن شهوة الخليفة الذي خلفه وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كانت في الزنا حتى بالمحارم والفواحش وشرب الخمر وسماع القيان وهي تغنيه، وقد أزمع مرة أن يجمعهن ليغنين له على ظهر الكعبة استخفافاً بالأمة التي كان يوجد فيها^(٢)، ولما عيّر عمه هشام مريداً منه أن يتنازل عن ولاية العهد لأحد أولاده، فسأله عن دينه، أجابه الوليد قائلاً:

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
نشرها صرفاً وممزوجة بالسسخن أحياناً وبالنفاتر

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٨، ص ٣٨١.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، ط ١، بيروت، دار ابن

حزم، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص ١٩٩.

وأبو شاکر هو ولد هشام وكان ممن يشرب الخمر أيضا ويشتهر بذلك^(١).
لقد كان هشام ينظر إلى الدين من منظور العصبية القبلية، وكان يستحضر (القرشية) مقابل من سواها؛ ولهذا كان يكره الأنصار، ويصفهم باليهود^(٢)؛ لأنهم من غير قبيلة قريش.

الفئات المسحوقة هي الأكثر تضررا

إذا كان ذلك وضع الحكام فإن وضع الرعية كان سيئا جدا، ولهذا كان العامة من الناس هم وقود ثورات تلك المرحلة دائما، وقد توقع هشام نفسه أن من سينصر الإمام زيدا إذا ما ثار عليه هم "الرعا وأهل السواد ومن تنهضه الحاجة"، وهم جميعا من الفئات المسحوقة اقتصاديا واجتماعيا، وأهل السواد هم من يعملون فيه أكرة وفلاحين وجرارين، وإذا كان المؤرخون يعتبرون أن من إصلاحات عمر بن عبد العزيز أنه منع السخر^(٣)، فإن ذلك يشير إلى ما كان يمارسه بنو أمية إكراها وقسرا لعامة الناس وللطبقة المستضعفة فيهم بالعمل في الأرض المملوكة للأمراء والملوك مقابل إعالتهم، أو مقابل أجور سخيفة جدا.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٨، ص ٣٨٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٨، ص ٣٨١.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ابن واضح، (ت بعد ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة

ليدن، ١٨٨٣م، ج ٢، ٣٦٧.

استطار الشرر حتى بالأشراف

لم يكن الأشراف من القبائل بمنجاة عن شرر الاستبداد الأموي؛ إذ أنهم لما تضررت مصالحهم قادوا ثورات عنيفة ضد الحكم الأموي رغم أنهم وآباءهم كانوا من أنصار السلطة المخلصين، ولهذا لا غرابة أن قاد هذا النوع من الناس الثورات، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قاد ثورة في سجستان، واستولت على العراقيين، وكادت أن تطيح بالحكم الأموي، ونصرها الفقراء، وأجج أوراها القراء والفقهاء، وكان أحد أسبابها هو اقتناعهم أن الحجاج بن يوسف الثقفي حين أخرجهم لغزو سجستان وحثهم على مهاجمة الأعداء إنما أراد إقحامهم في المهالك، كما كان يجمرهم (ببقيهم مددا طويلة في الثغور)^(١). ومنها أيضا الوضع المقيت الذي كانت تفرضه السلطة الأموية على المسلمين من غير العرب، وهم من سُموا بـ(الموالي)، وسيأتي الحديث عنهم، ومنها أيضا إعادته فرض الخراج على الأرض الخراجية التي حازها العرب المسلمون وأصبحت في اعتباراتهم أنها عشرية، ومنها إجباره المسلمين الجدد من أهل الذمة على تسليم الجزية حتى لا تتأثر الخزينة العامة سلبا^(٢). وقاد أيضا المطرف بن المغيرة بن شعبة سنة (٧٧هـ) ثورة دعا فيه هو الآخر إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ^(٣).

(١) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٣٢٨ وما بعدها.

(٢) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٩٣-٦٠٠؛ وحمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ج ٥ ص ١١٣-١١٤.

لؤم الحاكم السياسي المتعصب

في يوم من الأيام قدم على هشام بن عبد الملك وفدٌ من أهل المدينة فيهم رجلٌ من ذرية عمار بن ياسر، ولما استنسبه وعرف جده انقذ الشر في نفس هشام الذي نسي أنه حاكم المسلمين، وغلبه شعور الحقد والكراهية ضد ذراري أنصار الإمام علي بن أبي طالب، لقد كانوا يعاقبون الذرية بما جاء به الأجداد، فتمثّل هشام قائلاً:

ترجو الصغير وقد أعياك والده وفي أرومته ما ينبت العود

ثم قال: لا والله لا تتال مني خيراً أبداً ما بقيت^(١). وهكذا عاد ربيب آل ياسر) وحفيد عمار صِفَرَ اليدين من حقه في بيت مال المسلمين؛ بذنب جده عمار الداعي إلى الجنة من قتلته الفئة الباغية؛ كان ذنب جده أنه نصر علياً عليه السلام في صفين.

ويتبين لنا من خلال تصوير يوسف بن عمر في رسالته إلى هشام المدى الذي وصل إليه أهل بيت رسول الله من الحاجة والفقر، حتى أنه قال فيها يحرضه ضد الوالي قبله خالد القسري: "إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همّة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقتلوا بها حتى تآقت أنفسهم إلى طلب الخلافة"^(٢)، ويتضح أنه أراد الكيد لخالد بمبالغته هذه، ولكنها تشير

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ٤١٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٤٨؛ ومحمدة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٤٨٩.

إلى العقلية الحاكمة والطريقة التي حكم الأمويون وولاتهم بها الناس المبنية على سياسة الإفقار، والتمييز العنصري، وتقصُّدِ إفقار أهل البيت النبوي بخاصة، لينشغلوا بأمر المعيشة عن القيام بما يجب عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في أمة جدتهم عليها السلام.

رفض إسلام أهل الذمّة

وصل بهم الأمر أنهم رفضوا إسلام من أراد أن يسلم من أهل الذمّة، وأجبروهم على الاستمرار في الكفر ليس لشيء وإنما من أجل ما يحصلون عليه من ضريبة الجزية، وتكرر هذا في أكثر من مكان وزمان في مملكتهم، فقد أمر الحجاج بتسليم الجزية ممن أسلم منهم، وهو ما ساهم في النعمة عليه والخروج في ثورة ابن الأشعث^(١)، ثم تكرر هذا في عهد عمر بن عبد العزيز، ولم يكف عماله أن يعلموا أنه شخص يختلف عن من سبقه فعادوا يطلبون منه هذا الأمر؛ لأن الممارسات السيئة والثقافات المغلوطة تغلغت فيهم^(٢)، وهو أمر وعد لاحقاً يزيد بن الوليد أيضاً بعدم انتهاجه على خلاف أسلافه، كما تقدم، بما يشير إلى أنها قضية أخذت حيزاً زمانياً طويلاً.

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٢٣.

(٢) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٤٣٠، ٤٣٩.

العصبية العربية ومعضلة الموالي

اعتبر المؤرخون الدولة الأموية دولة السيادة العربية حيث سيادة العنصر العربي على من سواه من العناصر المكونة للمجتمع السلم، ومن الواضح أن سلطة هذه الدولة كانت تعتمد على دوائر نفوذ اجتماعية مترتبة من الأسفل إلى الأعلى، يجمعها الولاء والإخلاص للدولة، والمصلحة المالية، والاستئثار على الأرض، والحصول على العطاء من ديوان بيت مال المسلمين، وكونهم محاربين في مجتمع كان يحارب في الشرق والغرب، وكان يحركه أيضاً طلبُ النجاة من تضيق الأمويين وسجنهم وسيوفهم وسياط تعذيبهم، وكانت القبيلة العربية هي القاعدة العريضة للقوى البشرية التي حكمت من خلالها الدولة الأموية، غير أن هذا الوضع لا يعني تساوي العرب في الحقوق والواجبات، بل كان وضعاً تراتبياً يشد ويخف وينقطع بحسب الإخلاص والولاء للفرد الحاكم، وربما تغير من حاكم إلى آخر، يبدأ هذا الترتيب من القاعدة العربية الموالية وينتهي إلى الأعلى بالبيت السفياني الأموي، ثم المرواني الأموي، والذين حرصوا على إقناع الناس على أن وصولهم إلى الحكم كان بقضاء الله وقدره، وأن الأمر لله يضعه حيث يشاء^(١)، في خطوة أرادت إغلاق باب التفكير في التغيير، ولئن نجحوا في أول الأمر فقد فشلوا آخره، حيث أدى انتشارُ الفكرة القائلة بحرية اختيار الإنسان لأفعاله في أيام عمر بن

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٢١.

عبد العزيز وما بعده - والتي رُوِّج لها الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي والإمام زيد وأهل البيت وكذلك المعتزلة - إلى فتح أبواب الثورات على مصراعها على ظلم الأمويين بدون صدِّ فكري كابح.

هذه العصبية العربية عند حكام هذه الدولة قضت بحرمان جميع الفئات المسلمة من غير العرب، وهم الموالي، وقضت باعتبارهم مواطنين من درجة ثانية، فقد حُرِّموا من العطاء، كما حُرِّموا من حق المشاركة في الجهاد، إلا إذا أرادوا المشاركة المجانية، وبهذا صارت حيازة أموال السواد حكرة على العرب، الذين أُوكلوا إلى نواب لهم إدارتها عبر فلاحين وأكرة مستأجرين من الطبقات المسحوقة، وتفرَّغوا هم للعمل العسكري، ولكن مع كثرة العسف وزيادة الظلم وقلة الإنصاف خربت المزارع، وغمر بعضُها المياه، ولا يستطيع أن يعمرها مرة أخرى إلا من كان ذا مال وجِدَّة، وهؤلاء قلَّ أن يوجد أحدٌ منهم خارج البيت الأموي أو ولاتهم الكبار؛ الأمر الذي كرَّس كما تقدم الأراضي في يد الطبقة المالكة.

ينقسم الموالي إلى قسمين؛ القسم الأول وهم الأقل، ممن كانوا رقيقاً فأعتقوا وصاروا موالى للذين أعتقوهم، والقسم الثاني، وهم الأكثر وهم أولئك السكان الأصليون في البلاد المفتوحة كالعراق وإيران وأفريقيا وفي جميع أرجاء الدولة الإسلامية الذين دخلوا في دين الله، ولكن لأنهم كانوا من جنس غير جنس العرب فقد حُرِّموا من تلك الامتيازات التي كان العربي يحصل عليها، فلجأوا إلى التحالفات مع القبائل العربية لقاء

منافع متبادلة مثل الإسهام في دفع الديات والمشاركة في القتال، والمشاركة في الأمور العامة للقبيلة أو العشيرة، مقابل حصولهم على الإسناد الاجتماعي والرعاية^(١).

ومع التطور الحضري في المدن الجديدة في أرجاء الدولة وبقاء العربي عسكرياً محارباً ومسجلاً في ديوان الجند ومحتفظاً بأدبياته القبلية التي تكره الاضطلاع بالمهن الحرفية فقد جُعلَ الباب مفتوحاً أمام هذه الفئة من الناس (الموالي) وأمام غيرهم من أهل الديانات الأخرى ليكونوا عمدة المجتمعات المدنية فيها، فاشتغلوا في التجارة وفي الصيرفة، ومنهم الباعة وأصحاب الحرف والمهن المختلفة، وبهذا صاروا عماد النشاط الاقتصادي والتجاري^(٢)، فأفسح المجال لهجرة أعداد كثيرة منهم من القرى ومن الضياع الزراعية، هربوا منها إلى المدن التي وفّرت لهم مجالاً حرفياً كان يجعلهم أكثر استقلالية، فأثّر سلباً على الأراضي الزراعية وهو ما حمل واليا مثل الحجاج على أن يختم على رقابهم للتعرف عليهم بسهولة، ثم إعادتهم إلى القرى للعمل كرهاً في الأراضي والضياع التي كانت حيازتها للأمويين وولاتهم وللعرب المقرّبين من السلطة كما تقدم^(٣).

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٩.

لقد شارك الموالي في الحروب التي كانت تشنها الدولة الأموية، لكنهم لم يكونوا يسجلون في ديوان الجند، وكان ذلك مثار شكواهم ومبعث انضمامهم إلى الأحزاب السياسية المعارضة، وإلى الثورات ضد الأمويين، ويمكن فحص ذلك في برامج الثورات الخطيرة في الشرق والغرب والتي كانت تعطي هذه القضية حيزاً جيداً، ففي الغرب مثلاً انضم البربر للجماعات الثائرة على هشام بن عبد الملك في لأجل هذا السبب^(١)، كما وُجد في ثورة ابن الأشعث الثائر المولى والعربي؛ حيث وضعهم الظلم الأموي جميعاً في بوتقة واحدة.

العلم والموالي

أفاد الموالي من الوضع الاجتماعي الذي حُشروا فيه، الوضع الذي قضى بمنعهم من الالتحاق بالجندية، فأثبتوا جدارتهم وتفوقهم في المجال العقلي، فاشتهر كثير منهم في ميدان العلم والمعرفة، وتشبّعوا بروح الإسلام التي نادى بها أهل البيت وعلماء الأمة وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب وتلامذته وأهل بيته، وما حملته الذكريات إليهم عن سعة عدله وكرهه للظلم والمحاباة والتمييز العنصري. وأدرك هؤلاء الموالي خطأ الأمويين وانحرافهم عن دين الإسلام الذي يأمر بالمساواة في الحقوق والواجبات، ومنهم سعيد بن جبير الذي استشهد على يد الحجاج

(١) المرجع السابق، ص ٤٥.

بعد القبض عليه بسبب ثورته مع ابن الأشعث، ومنهم الحسن البصري والواعظ والزاهد المشهور، كما تبنى بعضهم الأفكار التي تطلب العدل وتنشد الحرية، وظهر لهم تأثير قوي في أيام عمر بن عبد العزيز، واعتمد عليهم في رد المظالم إلى الناس من بني أمية، ومنهم غيلان الدمشقي، والجعد بن درهم، والذين ما إن غاب عمر بن عبد العزيز عن مسرح الأحداث حتى قبض عليهما هشام بن عبد الملك، ولفق عليهما تهم الكفر والدهرية، فغذبوها ثم قتلوهما قتلة شنيعة^(١).

انتصار عمر بن عبدالعزيز للمبدأ الإسلامي

رغم ما سبق فإن عمر بن عبد العزيز كان قد قرر إنصاف مقاتلة الموالي بمساواتهم للعرب في ديوان الجند^(٢) استناداً إلى المبدأ الإسلامي الذي لم يرد أن يهتدي إليه لا سلفه ولا خلفه.

قدّم عمر بن عبد العزيز في فترة حكمه القصيرة (٩٩هـ - ١٠١هـ) نموذجاً مختلفاً في الحكم عما كان عليه أهله، لقد قارب الملامسة للروح الإسلامية وللمبدأ الإسلامي الذي غيَّبه أهله عن واقع حكمهم، فجاء ليثبت قطعاً أنهم كانوا على خطأ من سياساتهم الباطلة، لقد مثّل دليلاً واضحاً وإدانة كافية للرد على من يهوى هوى الظالمين من بني أمية،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٨، ص ٣٧٩، ٣٩٠.

(٢) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص ٤٥.

ومن يكتفي بالتغني بمآثر حروبهم التي شنوها باسم الفتوحات الإسلامية، والتأول لجرائمهم في كربلاء والمدينة وغيرهما، ومن أولئك الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (تاريخنا المفترى عليه).

انعكاس الأوضاع الاجتماعية على برنامج ثورة الإمام زيد

حين ثار الإمام زيد لم يكن غائبا عن هذه الحثيات وما كانت تعانيه الأمة من ويلات تحت هذا الحكم الظالم، وحين نقرأ برنامج الثورة الواضح وأهدافه المعلنة ندرك معنى ومغزى ما نادى به، لقد أعلن برنامج الثورة ملامسا الحاجة الاجتماعية والاقتصادية للأمة، وكان برنامجة نبضا دافقا لروح الإسلام المخنوقة من قبل الحكام، روى البلاذري: "وكان (أي الإمام زيد) إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفياء على أهله، ورد المظالم، وإقفال المجرمة، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لتفنين لنا، ولتنصحنأ في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة"^(١).

هذا البرنامج الثوري الواضح جاء إذن معالجة بيئة للانحراف السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم آنذاك، ويرد ردا واضحا على من خمّن

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٤. ويقارن بالطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٩.

السبب بأن خصاماً شب بين الإمام زيد وبني عمومته من أولاد الحسن على ولاية أوقاف آل علي، أو أن الإمام زيد بن علي عليه السلام وقع ضحية استغواء واستخفاف أهل الكوفة الذين خذلوه مكرّرين للمأساة الحسينية، أو أنه كان حاداً الطبع، أو لأي سبب آخر، وهي مقولات تبتعد عن هذا الواقع الذي عرضناه في جزئية واحدة فما بالك بغيرها من الأسباب، كما أنها تعكس مفهوم هؤلاء عن ثورات أهل البيت، وأنها مجرد نزوات شخصية أو هبّات عاطفية لا تستند إلى وعي إسلامي حاكم ضابط لها.

لقد كانت ثورة الإمام زيد ثورة أجمعت عليها الطوائف المختلفة، وجاءته البيعة من مختلف الأمصار، كما نصره الفقهاء والعلماء، وسميت لذلك ثورة العلماء.

أثر المبادئ الإسلامية في الثورات ضد الأمويين

إن مما يبين المدى الذي وصل إليه تأثير المبادئ الإسلامية على حساب المبادئ القبلية أنه كان هناك فجوة واضحة بين ولاية بني أمية في العراق مهدّ الثورة وبين أهل العراق تفاقمت مع الأيام، حيث لم يقاتل أهل العراق أنفسهم الإمام زيد بن علي كما كان عليه الحال في ثورة الإمام الحسين من قبله؛ حيث كانت الدولة الأموية في ثورة الإمام زيد قد جلبت لها مرتزقة من السند (باكستان حالياً) أطلق عليهم القيقانية، وكانوا يجيدون الرماية، وكانوا إحدى فرق الجيش الأموي في العراق

الذي اشترك في حرب الإمام زيد، كما كان هناك جيش شامي، هو الذي اشتبك مع أنصار الإمام زيد^(١)؛ الأمر الذي يعطي انطبعا بانحسار الولاء الأموي إلى حد ما من العراق، وأن الأمور ذاهبة إلى منحى آخر، وهو الانطباع الذي يؤكده خطاب يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بعد قضائه على ثورة الإمام زيد، حين هدّد أهل الكوفة فيه بقطع زروعهم وإفساد أموالهم، واتهم جميعهم بأنهم لا يوالون أولياءه الأمويين ما عدا رجلا واحدا منهم أشاد به^(٢).

ومن هنا يتبين أن أسبابا وظروفا مهمة حرّكت الإمام زيد بن علي وحوّل عليها، كما أن سبيله سبيل جده الحسين بن علي عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حمد الله حين رأى الرايات تخفق فوق رأسه، ولا مجال الآن للحديث عن أسباب الإخفاق المادي في هذه الثورة إذ ليس موضوعنا الذي نتحدث عنه، وأما النصر المعنوي والقيام بما أمر الله فهذا أمر لا مرية في تحقيقه.

دلالة مشاركة الفئات المجتمعية البسيطة في الثورة

لما برز القائد الأموي الشامي المدعو عبيد الله بن عباس الكندي برز إليه غلام حنّاط يدعى واصل، فضرب الغلام الحنّاط ذلك القائد الكندي

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ٤٢٩؛ والأصفهاني، علي بن الحسين، أبو الفرج (ت٢٥٦هـ)، مقاتل

الطالبين، ط٢، قم، مؤسسة دار الكتاب، والنجف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٥م، ص٩٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢١٠.

ضربة موجعة وقال له: "خذها وأنا الغلام الحناط"، فقال الكندي: والله لا أتركك تكيل قفيزا بعدها، لكنه لم يستطع فعل شيء، وانهزم هاربا لا يلوي على شيء^(١)، وحين رُمي الإمام زيد عليه السلام بالسهم في جبينه دخل دار الجرارين بالسبخة^(٢)، وهم من يجرون الماء من النهر للسقي به.

هذا الأمر يشير إلى الفئات المجتمعية المشاركة في الثورة على الظالمين، وأن الثورة أصبحت ثقافة عامة لدى مختلف فئات الناس، وأن هذه الفئات التي جلبتها المدنية الكوفية أصبحت تشارك في الحروب وفي إحداث التغيير الذي ينادي به الإسلام، وأصبحت بيوتها مأوى الثوار، وبات مقاتلوها على حرفة عالية في الحرب، ويظهر بوضوح أن الكوفة وهي أحد مدارس العلم الإسلامية آنذاك التي احتضنت المحدثين والفقهاء كانت قد أحدثت وعيا كبيرا في المجتمع الكوفي الذي كان في الأصل مجتمعا قبليا محاربا، ولهذا يترجح أن هذه الثورة الزيدية هي التي عجلت بزوال الدولة الأموية بعد حوالي عشر سنوات كانت مليئة بالفوضى، حيث أصبحت الثقافة العامة للناس هي ثقافة التغيير ومن كل الفئات المجتمعية.

ويحضرني هنا شعر الشاعر الخارجي حبيب الهلالي وهو يتأسف لمقتل الإمام زيد، ويتهم أولاد درزة بالفرار عنه، قائلا: (أولاد درزة أسلموك وطاروا)، و(أولاد درزة) مصطلح لفئة من الناس ترجمهم ابن الأعرابي،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٥.

بالسّفلة من الناس، والزمخشري بالخياطين^(١)، والفيروزآبادي بالسفلة والخياطين والحاكّة^(٢)، وهذا الوصف وإن أتى ضمن احتقار العرب لأهل المهن في ذلك العصر، لكنه يبين أن ثورة الإمام زيد كانت تلبّي طموح هذه الفئات من الناس، لتعبر عن انطلاقتها الواقعية، وعن تأهلها للمشاركة الإيجابية التغييرية الثورية من وحي التعاليم الإسلامية التي وصل مداها إليهم.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، الأفرقي، المصري، (ت٨)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج٥، ص٣٤٨؛ والزمخشري، محمود بن عمر، جار الله (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٣.

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادة درز.

الخاتمة

مما سبق يتبين أن ثورة الإمام زيد سنة ١٢٢هـ كانت استجابة لظروف وعوامل وحيثيات موضوعية أخذت وقتها وحقتها من التفاعل، وأنه كان هناك ما يوجب أن تكون ثورة حتى في هذا البعد الاجتماعي، دعك من الأبعاد الأخرى، كما يتضح أثر ثورة الإمام الحسين في تغيير الأفكار نحو عودة الأمة إلى الدعوة للعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفي توسع دائرة الرفض للحكم الأموي الظالم، وفي التعجيل بزوالهم، كما تبيّنت الهوية العميقة بين مبادئ الإسلام العظيمة والممارسات الأموية الخاطئة في صدر الإسلام فكان له ظلاله السلبية على الأفكار والمناهج السياسية اللاحقة، ومن تلك الممارسات المنهجية التي سلكها بنو أمية في تركيز المال والأرض والسلطة في أيديهم وأيدي أعوانهم، والتنكيل بمن يخالفهم، وسياسة الإفقار والتجمير لكل من يخالفهم بل ولفئات الأمة المختلفة، بما يشير إلى أنهم كانوا عصابة لا هم لها إلا التمتع بالشهوات وتحقيق الرغبات الشخصية، وهو ما نجده في كل زمان وكل مكان، فمذهب الطفيان واحد، وملة الاستبداد لا تتغير، كما يتبين أن التعامل مع الناس وحقوقهم على أساس طبقي وشللي ليس من الإسلام في ورد ولا صدر، وأن البرنامج الذي أطلقه الإمام زيد لا زال المسلمون اليوم بحاجة إلى تطبيقه والتفاعل معه، وأن خيار هذه الأمة وعلماءها المؤمنين هم

قاداتها الذين يجب أن يناط بهم تحقُّق تلك الأهداف والغايات النبيلة، وأنه لا مناص للأمة إلى العودة للحكم بمنهج الله ورسوله، كما لا يجوز أن تذهب الأمة ومصلحوها وثوارها بعيدا عن الحاجة المجتمعية والاقتصادية محلّقة في أجواء مجهولة المصدر وعميّة الطريقة وضاببة الغاية، فالوضوح مطلوب في أهداف الثورات، لضمان تحقيقها في ما بعد الانتصار، والواقعية ومعالجة المشاكل القائمة أمر بدهي في أي عملية تغييرية، وقد أثبتت الثورة الشعبية اليمنية الجارية مصداق هذا القول الذي ظلت أزعمه، وأخيرا ليس بالضرورة أن ينتصر المحق ماديا، فكم من ظالم انتصر لحظة تورطه في دم مصلح تائر لكنه انهزم إلى آخر الدهر.

لماذا كان الإمام زيد (ع) حليف القرآن؟

أ/حمود عبد الله الأهنومي

أحدثت الممارسة المنحرفة والسلوك المخالف للإسلام من قبل الحكام الأمويين أثرا على العقائد التي كانت بدأت في التبلور واكتمال الصياغة، ويبدو أن عقيدة المرجئة التي راجت لدى بعض التابعين وتابعي التابعين بسبب أنهم لم يمتلكوا الشجاعة الكافية للبت فيما شجر بين الصحابة ثم التابعين، فهربوا إلى تحسين الظن بجميعهم قاتلهم ومقتولهم وظالمهم ومظلومهم، وهو وضع لم يكن موجودا على عهد الصحابة فقد كان هناك وضوح في المواقف وتباين في الأحداث وتقييمها، لقد وجد هؤلاء المرجئة ميراثاً من العلم والروايات التي تتناقض مع واقع الحكم آنذاك ولهذا كان الأسلم لهم من وجهة نظرهم أن يفضوا الطرف عن المخالفات التي ارتكبت في عصرهم، وروّجوا أن إعلان الشهادتين كافٍ في الذهاب إلى الجنة ولو فعل الإنسان كبيرا من المخالفات السلوكية والمعاملاتية، كما حرص البلاط الأموي على نشر ثقافة الجبر تبريرا لمخالفاتهم الكثيرة في مجال العدالة الاجتماعية وتأييسا لأي فكرة ثورية تريد أن تزيلهم من مناصبهم لأنهم كما يبدو من أدبياتهم أشاعوا أن القضاء والقدر هو الذي جاء بحكمهم، وأن من يريد مغالبتهم فعليه مغالبة القضاء والقدر،

وبه يظهر أن تلك الثقافة المغلوطة جاءت استجابة ومحاولة في تغطية سافرة لممارساتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ناقضت الإسلام والقرآن وخالفتها في ميادين ومجالات شتى.

حينها وجد الإمام زيد بن علي عليه السلام نفسه في أمة غاب القرآن عن كثير من أفكارها وقيمها وتفاصيل حياتها وعن السلطة التي تديرها، ورأى أن أفكارا وثقافات شاعت في العامة والخاصة كانت تدعو إلى اللاموقف والدعة والطمأنينة السلبية التي قصارى جهدها الصبر على المظالم والزهد عن المناصب، ولا زالت الماكينة الإعلامية الأموية تعمل على إنتاج أحاديث خطيرة تسلت إلى عقول أبناء المجتمع المسلم وكرست تلك الثقافات على أنها من دين الله، ولهذا فقد حرص الإمام زيد على الرد على المجبرة القدرية وعلى المرجئة، ورأى فقهاً -وقد كان أفقه الناس- أنه يحرم الصلاة خلف هؤلاء كما منع من تسليم الزكاة إلى أيهم^(١).

كان لزاما على الإمام زيد بن علي أن يعود إلى القرآن لفضح هذه العقائد؛ إذ أنه المصدر الأول الذي لا يرقى إليه شك ولا أحد يتجاسر على تكذيبه، وحذر من الفكر الإرجائي الذي يبدو في صورة زهد مزيف ووعي مشوه، وقد جعل الإمام زيد من يحمل هذا الفكر مستخفا بحق القرآن ومفتراً بأمانى الشيطان، ودعى عليه السلام إلى اتخاذ القرآن إماما وقائدا في المحبوب والمكروه^(٢).

(١) المجموع الفقهي والحديثي..

(٢) مجموع رسائله عليه السلام..

لقد كان عليه السلام صادقاً في انسجام عقله وواقعه وتصوره وممارسته تجاه القرآن فهو الإمام الذي عُرِفَ وهو لا يزال في مقتبل العمر بصدق الخشية من الله والخشوع لذكر الله وما نزل من الحق^(١)، وعرف في المدينة على مستوى واسع بكونه "حليف القرآن"^(٢)، بل ليس بعيداً أن يقال إن هذه الصفة كانت خاصة به سلام الله عليه من بين سائر الأمة، وهو ما يشير إلى أن الإمام عليه السلام منذ وقت مبكر من حياته استغرق جهده ووقته وعقله وفكره وممارسته وفقهه وأهدافه في القرآن لتنشأ علاقة حميمة صادقة بينه وبين القرآن، متفوقاً بذلك على علماء عصره.

هذه الحميمة وذلك الصدق والانسجام الشعوريان والعقليان ظهرت بوضوح في علاقته بالله وبالقرآن من خلال عبادته الليلية التي يمر فيها على آيات القرآن في صلاته ونوافله^(٣)، وظهرت بوضوح حينما انطلق الإمام إلى رحاب الدعوة وإيصال صوت القرآن إلى هذه الأمة فهو الذي استغل حبس هشام له في الشام لمدة ٥ أشهر في أن يشد الناس إلى القرآن وإلى تفسيره بالطريقة التي يريدها الله، ويبدو أنه كان يروم البقاء هناك^(٤) لعرض أفكاره القرآنية في صدد محاربة الثقافات المغلوطة

(١) مقال الطالبين.

(٢) اشتهر بهذه الصفة لدى المصادر المختلفة الزيدية منها والإمامية والسنية.

(٣) مقال الطالبين.

(٤) بدليل أنه بقي في الشام تلك الخمسة الأشهر في تفسير الفاتحة وسورة البقرة (أمالي المرشد بالله)، ولو كان يريد التحول لاستعجل أمره بشرح متفرقات من القرآن من هنا وهناك، ولما بدأ القرآن من أوله واستمر فقط فيه.

عن الإسلام في عقر دارها، وقد كان على مستوى عال في عرض أفكاره وملامسة عقول الناس والوصول إليها عبر التعاليم القرآنية^(١)، غير أن إدراك هشام لخطورة بقاءه في الشام يفسر سبب استعجاله إخراج زيد عليه السلام منها بالقوة.

وفي مواجهة المحدثين المؤدلجين بثقافة الخنوع والمدجنين بالزهد السلبي (المرجئة) حذر الإمام زيد عليه السلام من قبول الأحاديث التي تخالف القرآن ودعى إلى اتهام من يروج لها^(٢)، واعتبر أن تلاوة القرآن حق التلاوة ليست بكثرة الهدى والدراسة وإنما بالاتباع للقرآن حق الاتباع^(٣)، كما أكد على وجوب كمال الاتصال بين قراءة القرآن وبين سلوك أمة الإسلام، واستنكر انطلاقاً من صميم القرآن أن "يغلب قوينا ضعيفنا، وكثيرنا قليلنا"، واستنثار القلة بأموال المسلمين^(٤)، وكان يعتقد أن من موجبات تلاوة القرآن حق تلاوته أن التالي له تلك التلاوة لا بد أن يكون ذا موقف فصل من المحرّفين لأحكامه، وأن المتمسك به حقا هو من يجب أن يكون على نقيض المخالف له^(٥).

(١) كتب هشام إلى واليه يوسف بن عمر الثقفي محذراً إياه حسن أداء زيد عليه السلام في الحجاج والإقناع واستمالة الناس وكثرة حججه وقوة طرحه وسحر بيانه. (أنساب الأشراف للبلاذري)، ووصف الإمام أبو حنيفة حسن طريقة وأسلوب الإمام وكثرة علمه وقوة استحضاره بنحو ما وصفه هشام.

(٢) مجموع رسائله.

(٣) مجموع رسائله.

(٤) مجموع رسائله.

(٥) مجموع رسائله.

لقد كان الإمام زيد على وعي بحاجة الأمة وبسبيل نجاتها في الدنيا والآخرة، وأنه يتمثل في القرآن الكريم وفي اتباع تعاليمه، وكان يرى أن القرآن الكريم هو العصمة من الضلال والأهواء والفتن^(١)، ولهذا فقد قدم برنامجه الثوري المنطلق من القرآن جامعا لأهداف الإسلام ومليبا للحاجة المجتمعية الماسّة ولا يختلف حوله اثنان من الناس، إن برنامجه: "أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفئ على أهله، ورد المظالم وإقفال الجمرة"^(٢)، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب"^(٣)، وهو برنامج يحمل الصيغة الواقعية والحاجة المجتمعية للمسلمين، ولعل هذه الواقعية في البرنامج الجهادي القرآني هي ما أكسبت ثورة الإمام زيد بن علي رضا جميع التيارات والمذاهب الإسلامية الموجودة آنذاك ومنها الخوارج والمرجئة والمعتزلة^(٤)، كما نالت ثورته ومؤهلاته القيادية والعلمية رضا قادة الفكر والعلم والقضاء ولهذا فقد سميت ثورته "ثورة الفقهاء أو ثورة العلماء"^(٥) وليس في هذا غرابة إذ أنه أمسك بتلابيب قضية المسلمين واستمد قوته

(١) مجموع رسائله.

(٢) هم الجنود المجاهدون في ثغور المسلمين، وكان تجميرهم في الثغور (بقاؤهم مدة طويلة بعيدين عن أهلهم) أحد العقوبات التي اتخذها الأمويون في حق من لم يرضوا عنه.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري.

(٤) التحف شرح الزلف للعلامة مجد الدين المؤيدي.

(٥) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني، ومقاتل الطالبيني.

وهداه من كتاب الله عز وجل.

ومن الجدير بالذكر أن اشتهار الإمام زيد عليه السلام بكونه "حليف القرآن" لا يعني بأي حال من الأحوال تجافيه أو بعده أو نفوره عن السنة النبوية الصحيحة، كيف ذاك والقرآن يأمره بأخذ ما جاء به الرسول ﷺ وترك ما نهى عنه، ولهذا فقد كان منهج الإمام زيد كما يتضح من تراثه العلمي هو الاستدلال بالكتاب والسنة، وحين عرض نفسه لمبايعته إماماً للمسلمين الثائرين ضد الظلم دعاهم إلى امتحانه بالسؤال عن أي حكم من أحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مدعياً أنه أعلم أهل بيته بما جاء عن الله ورسوله، وقد شدّد على مصدرية القرآن والسنة لجميع الأحكام الشرعية والمعارف الدينية^(١)، كما خلف لهذه الأمة أقدم كتاب جمع السنة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام وهو المجموع الفقهي والحديثي الذي تلقاه أهل البيت بالقبول والتصحيح واعتماد ما فيه.

وبما سلف يتبين أن تمحور الإمام زيد عليه السلام حول القرآن وتحالفه وإياه جاء عن إيمان قوي وتصديق ثابت ويقين راسخ بكون القرآن الكريم كتاب الهداية ومصدر الإصلاح في أمة جده ﷺ الذي حمل همه واستشهد من أجله، لقد كان تحركه بالقرآن تحركاً واعياً، وكانت أفكاره وعلاقاته ومواقفه تجاه كل القضايا المثارة في عصره قرآنية منطلقة من

(١) مجموع رسائله.

واقعية واضحة، وقد ظهر خطابه أبعد ما يكون عن الانفعال الديماغوجي^(١) غير المتزن، وردود الأفعال المستعجلة، وجاءت ثورته المباركة ثورة مخططاً لها بعمق وفهم وإدراك لكل ما يؤثر ولكل ما يجب أن يحدث.

إنها ثورة حليف القرآن في زمن لم يكن فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه.

(١) هي عبارة عن مجموعة من الأساليب والخطابات والمناورات والحيل السياسية التي يلجئ إليها السياسيون في مواسم الانتخابات لإغراء الشعب أو الجماهير بوعود كاذبة من أجل الوصول إلى الحكم.

أهم المنطلقات الثورية الرسالية في رسالة الإمام زيد (ع) إلى علماء الأمة

القاضي العلامة/ محمد عبدالله الشرعي

عضو الهيئة العليا لرابطة علماء اليمن

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وآله
الأطهار، وارض اللهم عن صحبه المنتجبين.. وبعد

بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام زيد بن علي عليهما السلام التي حلت
علينا اليوم في ٢٥ محرم الحرام سنة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٦/١٠/٢٠١٦م أي
من قبل سنة ١٣١٨عاماً أو ١٣١٨ عاماً حيث كان خروجه عليه السلام
واستشهاده في شهر المحرم عام ١٢١هـ.

ومواضيع عنوان هذه الورقة المتواضعة كبير وواسع جداً وذلك لأن
أغلب أقواله عليه السلام وحركاته ثورية، بمعناها الصحيح وهي في ذاتها
ثورية رسالية متنوعة ولذلك أرى أن يكون عنوان هذه الورقة التالي (أهم
المنطلقات الثورية الرسالية في رسالة الإمام زيد عليه السلام إلى علماء الأمة).

وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا في هذه الوقفة لإعطاء الإمام
زيد عليه السلام بعض ما يجب له علينا ولحركته الثورية الجهادية الرسالية من

التقدير والاحترام والتبجيل والعرض والبيان النافع وبإيجاز وافٍ لثورته ومبادئه ؛ لكي نقنطدي به وبمنهاجه وسيرته وحرركته الثورية العظيمة فهو بحق شخصية القرن الثاني الهجري الذي اكتملت فيه سلام الله عليه عناصر ومقومات الشخصية القيادية والإمامة الدينية والفقهية والفكرية الحركية والريادية والخلقية وغيرها من العناصر المتصلة بأرقى ما تتصف به شخصيات الكملاء النبلاء من الحكمة والشجاعة ورباطة الجأش والتقوى والهدف والأمانة وتقدير المواقف والإلمام بمتغيرات عصره، وفهم كيفية التعامل معها، والإصابة في اختيار الأدوات والوسائل الناجحة في معالجتها، ببصيرة وقادة وقلب مفكر، ولسان موعبر فصيح يمتلك أزيمة البلاغة والفصاحة فينفذ بها إلى القلوب والأسماع إن خطب، وإلى العقول إن كتب، القرآن الكريم حليفه، والهدى صراطه، والحق غايته، والآخرة سبقتة، والعمل الصالح قرينه، والحق لب تفكيره، وإرضاء الله تعالى مبعغاه، ما عرف كذبة قط مذ عرف يمينه من شماله، عاش هموم الأمة فعمل من أجل رفع معاناتها، وأزعجه تسلط الجائرين عليها فأمر فيها بالمعروف ونهى عن المنكر، فأكمل الله له دينه بجهاده وختم له بالشهادة فكان كما قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء، وسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

لمحة عن أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى ثورة الإمام زيد (ع):

وتبرز هذه الأسباب من خلال استعراضنا لأوضاع الأمة قبل ثورة الإمام زيد عليه السلام وأثنائها، أي في العصر الزمني للإمام زيد عليه السلام وعلى وجه التحديد من عام ٧٥ هـ وهو عام مولد الإمام زيد عليه السلام في أرجح الروايات وهو بداية الحكم الأموي المرواني حيث قام عبد الملك بن مروان وحكم من عام ٧٣ هـ وحتى عام إعلان الإمام زيد لثورته الرسالية عام ١٢١ هـ إلى أن انتهت الدولة الأموية الثانية عام ١٣٢ هـ حيث لم يبق بعد استشهاد الإمام زيد عليه السلام سوى عشرة أعوام عاشت خلالها في اضطراب وانقلابات وتمرد في بعض الأمصار وخروج بعض قادتهم عليهم وقتل بعض الحكام لبعضهم من بني مروان، وظهور بعض الحركات لبعض الخوارج في حضرموت، وامتدت إلى صنعاء وإلى الحجاز ومكة والمدينة، وهكذا زالت الدولة الظلمة لبني مروان بسبب ظلمهم لآل البيت عليهم السلام وللإسلام والمسلمين وقهرهم لعباد الله وحكمهم على الأمة بخلاف حكم الإسلام وبغير مناجاة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه الحقبة وهي فترة تسعة وخمسين عاماً من عام ٧٣ هـ إلى ١٣٢ هـ هي فترة الحكم المرواني الأموي الذي قاومه الإمام زيد عليه السلام وعاش أحداث الفترة ومآسيها، لكي نعرف أسباب ثورته عليه السلام لأبد من استعراض أوضاع الأمة حينها باختصار شديد من خلال ما نقلته لنا

مراجع المناهج المعروفة لدى الأمة بمختلف فئاتها ومذاهبها وأقطارها، ومن هذه الأوضاع التي نأخذ نماذج منها لمعرفة:

١- الوضع الثقافي والفكري والفقهية والدعوي في الساحة الإسلامية حينها كيف كان وما هي أهم ملامحه وأبرز رجاله ومدارسه.

٢- الوضع السياسي المرتبط بالولاية والحكام وبمنظومة نظام الحكم في ذلك العصر ومنه نظام القضاء والنظام المالي والعسكري وإلى أي حد وصلت حقوق الرعية على الحكام والعكس وغير ذلك مما يتصل بهذا الجانب الهام في حياة الأمة وكيان حكمها ونمط حكومتها حينذاك.

٣- الوضع الاقتصادي العام المعيشي في أوساط الأمة من حيث معرفة مصادر الثروة وكيفية تصرفها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا الجانب.

٤- كيف عبر الإمام زيد عليه السلام عن هذه الأوضاع وعن نقده لسياساتها، ولنعرف أهم ما ركز على تغييره منها وما هو المنهج الذي دعى إليه للتغيير من خلال رسالته إلى علماء الأمة.

أدوات التغيير وأسلوب المعالجة:

أدوات الإمام زيد عليه السلام في التغيير وأسلوب المعالجة الذي تبناه الإمام زيد لنشر مبادئ وأهداف ثورته الرسالية في أوساط الأمة:

ونذكر هنا باختصار عن:-

- ١- محيط تحرك الإمام زيد عليه السلام.
- ٢- النشر العلمي والثقافي والدعوي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
- ٣- الشريحة الأساس في المجتمع التي ركز عليها الإمام زيد في رسالته إلى علماء الأمة، وهم العلماء لماذا؟
- ٤- الحوار والمناظرات، والمباحث العملية واعتماد قوة الحجة والدليل وبيانه كمبدأ للإقناع، وليس السيف ولا القتال رأساً كما يفهم البعض.
- ٥- الاتصال بأصحاب النفوذ من العلماء والفقهاء وزعماء العشائر من زاوية، وأصحاب السابقة في الإسلام وغيرهم المعروفين في المجتمع حينذاك بالصلاح وسداد الرأي والاستقامة وبالتأثير أيضاً.
- ٦- تذكير الإمام زيد للأمة ولعلمائها ووجهائها بمأساة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه سلام الله عليهم، وأن تلك المأساة وقعت بسبب تقصير الأمة في الدفاع عن علمائها وأهل بيت نبيها صلوات الله عليه وعلى آله وعن صلحائها، وعن الوقوف مع الحق حتى تمكن الباطل وأهله من الإستيلاء على مصائر الأمة، وذلك لارتباط ثورة الإمام زيد عليه السلام بثورة جدّه الإمام الحسين عليه السلام ارتباطاً وثيقاً في المنهج والغاية والهدف ضد الباطل

والإجرام أياً كان مصدره، وسنذكر الشواهد على هذه العلاقة من خلال أقوال ومواقف الإمامين عليهما السلام.

٧- أهم المواجهات السياسية للإمام زيد عليه السلام قبل ثورته ونبذة عما دار بينه وبين طاغية عصره هشام بن عبد الملك الذي تولى من عام ١٠٥هـ إلى ١٢٥هـ أي مدة عشرين عاماً.

٨- وبعدها مباشرة جاءت المرحلة النهائية لإعداد وإعلان الثورة الرسالية والتغيير من حيث التخطيط لها والتنظيم والأخذ بالأسباب وانتقاء رجال الثورة من مخلصي هذه الأمة ورجالها الأفاضل، والاستيثاق بالبيعة من المؤيدين والمستجيبين لدعوته عليه السلام والاستعداد للمواجهة المسلحة إن لزم الأمر في حالة مهاجمتهم من أعدائهم من قادة السلطة الأموية حينذاك دفاعاً عن أنفسهم وعن المنهج الحق والمبادئ التي يدعون إليها، وسبب تعجيل الإعلان للثورة عن موعدها الذي كان الإمام زيد قد حدده.

٩- ميدان المعركة وأهم صورها.

١٠- النتائج والأصداء التي تركتها ثورة الإمام زيد عليه السلام وأصحابه في أوساط الأمة الإسلامية وآثارها على المستويين القريب لها والبعيد، وإلى يوم القيامة، في إطار حركة أهل البيت عليهم السلام العلمية والجهادية؛ وفي إطار ومستوى ومحيط الأمة الإسلامية بأجمعها،

ومنها آثار ونتائج فقهية وفكرية وثقافية وتحريرية وسياسية وثورية
وجهادية وغير ذلك ومصير ثورة الإمام زيد عليه السلام من بعده.
نسأل الله سبحانه أن يوفقنا في هذه العجالة أن نبرز هذه الأدوار في
حركة وثورة الإمام زيد عليه السلام الرسالية ومنطلقاتها الثورية من خلال
رسالته إلى علماء الأمة وغيرها.

المحور الأول:

أسباب ثورة الإمام زيد من خلال نظرنا إلى أوضاع الأمة حينذاك
ومنها:-

١- صورة عن الوضع الثقافي والفكري والفقهي والدعوي في الساحة
الإسلامية حينذاك.

أي في الفترة من ٧٥هـ إلى ١٢١هـ وهو تاريخ استشهاد الإمام
زيد عليه السلام، أو قل: إلى نهاية دولة بني أمية عام ١٣٢هـ.

تروي لنا مراجع التاريخ الإسلامي وتراجم العلماء والأئمة وكتب
سيرهم وطبقاتهم ومؤثرهم على مختلف مذاهبها، ومنها المراجع المعتمدة
لدى الزيدية سلام الله عليهم.

ومن خلال ما روت ونقلت لنا عن أخبار ووضع علماء الأمة الإسلامية
ومتعلميها وحركتها العلمية تبرز أمامنا عدة صور وملامح على الشكل الآتي:-
-هناك علماء متفرقون في مختلف الأمصار الإسلامية منهم الفقهاء، ومنهم

- الرواة في الحديث، ومنهم المشهورون بالخطابة، ومنهم المشهورون في التفسير، وفي المناظرات، والجدل الفكري والعلمي وغيره.
- فالمدينة المنورة وكان فيها فقهاؤها ورواتها ومفتوها، ومنهم الإمام زين العابدين سلام الله عليه المتوفى سنة ٩٥هـ، ومنهم الإمام الباقر، والإمام زيد، وابن أخيه الإمام جعفر، وسعيد بن المسيب، وغيره.
- وفي مكة المكرمة تلاميذ بن عباس، ومنهم: عطا، وعكرمة، وغيره.
- وفي اليمن طاووس بن كيسان، ومعمر بن أسد وغيره.
- وفي البصرة والكوفة وهما حاضرتان كبيرتان حينها من حواضر الإسلام، وفيها العديد من الفقهاء والرواة، ومن المعتزلة من أُطلق عليهم فيما بعد بأهل الرأي مع أنها تسمية ليست متطابقة مع ما كانوا يحملونه من علم وفكر.
- وكان فيهم من كان يُطلق عليهم حينها بأصحاب التُّسْكُ وهم المائلون إلى العبادة والانقطاع إليها أكثر من غيرها.
- وفي هذه الحقبة كانت قد نشأت بعض الأفكار وكان لها طلابها والمنتبئون لها وحاملوها، وأصبح لها معلّمون وترويج وتشجيع من أصحاب السلطة الأموية كالقول بالقضاء والقدر الحتمي في أفعال الإنسان، ومثل قضية الجبر، ووجوب طاعة الظالمين من الولاة وأنها من طاعة الله ورسوله ﷺ، وأن توليهم هي بقدر الله تعالى الله عن ذلك،

وكانت قد أُشيعت في هذه الحقبة مسألة الإرجاء إلى اليوم الآخر في قضية العصاة من أهل القبلة، وكان الوضع والدسُّ للأحاديث قد انتشر في هذا العصر ونُقّاده قليلون في الأمة، وتجد لدى شيوخ بعض هذه المدارس بعض أحاديث ومرويات غير ما لدى شيوخ المدرسة الأخرى.

-بالإضافة إلى أن الصورة العامة في أوساط المتعلمين والمعلمين والرواة في جميع أمصار المسلمين ومدارسهم وحلقات دروسهم لا تنهج طريق الحرّية في التعليم، فهناك حصار وكَبْتٌ ومَنَعٌ للمتعلمين والعلماء من مجالسة أئمة وعلماء وفقهاء أهل البيت النبوي عليهم السلام، ومن التعلم على أيديهم وأخذ الرواية عنهم، كان هناك طوق مُحكَمٌ من قبل بني أمية وولاتهم في هذا الجانب، على أهل البيت عليهم السلام ولذلك كانت لقاءات مُحبيهم والموالين لهم من الأمة مغامرة أحياناً؛ وحيناً تكون مخفية عن عيون رُقباء بني أمية وولاتهم، وبعضها كانت في الليل، وبعض الرواة والمتعلمين على أيدي أئمة أهل البيت عليهم السلام كانت طريقة أخذهم العلم عنهم بواسطة الكتابة للاستفسارات وفهم ما لديهم من علم فيها فيكتبونها لهم وهم يردون عليها كما كان يفعل الراوية الفقيه أبو خالد الواسطي رضي الله عنه في تلمذته عن الإمام زيد عليه السلام، وهو في المدينة المنورة.

-فحرّية التعليم كانت حينها غير متوفرة إلاّ طبقاً للمنهج الذي يريده بنو مروان وولاتهم.

-حرية الخطابة والوعظ في المساجد والمنابر، كانت مُصادرة ولا قبول لخطيب جُمعة في أي مصر من أمصار المسلمين إلا إذا كان عاملاً بسُنَّة بني أمية وهي لعن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسلام الله عليه، حتى أزالها عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

-وكان الولاة في الأمصار يتولون الخطابة كل جمعة في مساجد المسلمين العامة لكي يلعنوا الإمام علياً ويدعوا لخليفتهم من بني أمية بالبقاء ويمجدونهم ويعظمونهم ويصليّ الوالي إماماً بالمسلمين في الجُمع.

-قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطلة بين المسلمين إلا في الحدود الدنيا التي لا تدخل في قضايا المسلمين العامة ولا في ما يتصل بالعدل وإقامته، والعمل بكتاب الله ومنهجه، لأن ذلك يتعلق بالولاة وخلفاء بني أمية والحلال ما أحلوا والأمر ما أمروا، والحرام ما حرموه هم لا ما نهى الله عنه ورسوله، ومن خالفهم وأمر ونهى بما أمر الله به ونهى عنه قتلوه أو سجنوه وعذبوه ونفوه وشردوه.

هذه هي الملامح العامة الثقافية والعلمية في هذا العصر الأموي المرواني عصر الإمام زيد سلام الله عليه، وسنذكر الوقائع التاريخية الدالة على ذلك أثناء المواضيع الآتية.

٢-ملامح الوضع السياسي العام المرتبط بمنظومة الحكم وشكل الدولة ونظامها القضائي والمالي والعسكري والحقوقى وما يتصل بحياة الناس

وعلاقتهم مع حكامهم ونحو ذلك.

وسنعرض من ذلك ما يلي:

-نمط الحكم السياسي وطريقته لدى المروانيين هو بالغلبة والقوة والسيطرة والتسلط على الأمة وحقوقها ولا خيار لها في اختيار حكامها كما صنع عبدالمك بن مروان حين حارب ابن الزبير وقتله ورمى قائده الحجاج بن يوسف الكعبة المشرفة بالمنجنيق، ثم ولّى عبدالمك نفسه على الأمة خليفة بالقوة، ومن بعده أولاده وأحفاده يتناقلون السلطة بالقوة وبالوصية من الأول للذي يليه باستثناء عمر بن عبدالعزيز العادل رحمه الله ورضي عنه فهو ابن أخ عبدالمك بن مروان أوصى بها إليه سليمان بن عبدالمك فكان وصولها إليه إنقاذاً نسبياً للإسلام والمسلمين وكانت ولايته رغم قصرها فضحاً وكشفاً لجور بني مروان وظلمهم للأمة ومخالفتهم لمنهاج الله تعالى.

ومُدّة حكمه سنتان وبضعة أشهر، وقيل: ثلاثون شهراً، ثم تآمروا عليه وقتلوه سماً فعاد جورهم كما كان من قبل.

-ومن خلال الجدول الآتي ذكره يتضح لنا مدى فداحة الظلم الذي لحق بالأمة وبيديها من قبل بني أمية حيث تولى عبدالمك بن مروان سنة ٧٣هـ ثم مات سنة ٨٦هـ وولّى الحجاج على رقاب المسلمين، وتولى بعده ابنه الوليد من سنة ٨٦هـ إلى أن مات سنة ٩٦هـ

- ثم تولى بعده أخوه سليمان من سنة ٩٦هـ إلى أن مات سنة ٩٩هـ أي ثلاث سنوات وبضعة أشهر، ومن أخطر ما فعله سليمان أنه قام باستدعاء قائدين عظيمين من قواد المسلمين وهما موسى بن نصير فاتح أسبانيا وسجنه وعذبه وأبقاه تحت حرارة الشمس حتى ذاب شحمه، والثاني محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند (باكستان حالياً) وسجنه بعد جهاد دام ١٧ عاماً، ثم عاد البربر ملوك تلك البلاد المفتوحة فقتلوا من كان قد أسلم فيها واستعادوا السيطرة عليها.

- ثم أوصى بها سليمان لعمر فتولى عمر من سنة ٩٩هـ حتى سنة ١٠١هـ.

- ثم قام بعده يزيد بن عبد الملك من شعبان سنة ١٠١هـ ومات سنة ١٠٥هـ.

- ثم قام بعده أخوه الطاغية هشام بن عبد الملك من سنة ١٠٥هـ حتى سنة ١٢٥هـ، عشرين عاماً.

- ثم قام بعده ابن أخيه الطاغية الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ.

- ثم قتله ابن عمه يزيد بن الوليد وتولى بعده سنة ١٢٦هـ ومات في ذات السنة.

- ثم تولى بعده أخوه إبراهيم بن الوليد ولم يلبث سوى ثلاثة أشهر ولم يتم له الأمر.

- ثم قام مروان بن محمد الجعدي الأموي سنة ١٢٧هـ واستمر إلى أن انتهت دولة بني مروان سنة ١٣٢هـ.

-ومن أبرز صور الوضع السياسي لهؤلاء الجائرين إطلاق الحرية التامة لولاتهم للتصرف في الأمة كيف يشاؤون والشروط المطلوب توافرها في الوالي أن يكون ظالماً شديداً القسوة خالياً من الرحمة غليظ الطبع جريئاً على الله في خدمة سيده الخليفة مخلصاً له في الطاعة يعمل ما يأمر به مهما كانت مخالفته للإسلام.

-ومن أمثلة ذلك أنهم أحصوا قتلى الحجاج ومن سجنهم في الأمصار لعبد الملك فبلغ من قتلهم إلى ستين ألفاً ونحو ستين ألف سجين، لأن عبد الملك ولاء العراقيين واليمن والحجاز، فولى على اليمن أخاه محمد بن يوسف ثم ابن عمه يوسف بن عمر الثقفي.

-جمع محمد بن يوسف الثقفي في صنعاء المرضى المزمنين الذين كانوا ينفقون عليهم من بيت مال المسلمين فهم بإحراقهم أحياء فاجتمع علماء صنعاء ووقفوا أمامه حائلين بينه وبين ما يريد اقترافه.

-الولاية يقومون بجلد العلماء والقضاة أي القضاة الذين ولاهم بنوا أمية أنفسهم ومن هؤلاء الذين جلدوا:

-الإمام أبو حنيفة، جلده ابن أبي هبيرة والي الأمويين في العراق طالباً منه تولي القضاء، فرفض ذلك فسجنه وجلده.

-أبو بكر عمرو بن حزم قاضي المدينة في زمن يزيد بن عبد الملك ضربه الوالي عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس^(١).

(١) أخبار القضاة لوكيع ج١/١٤٢.

والسبب أن القاضي حكم على عثمان بن حيان المري بحد الشرب والقذف وكان عثمان هذا حينها والياً على المدينة أيام الوليد بن عبدالمك.

- وضرب يوسف بن عمر الثقفي القاضي إياس بن معاوية ٥٦ سوطاً لأنه رفض قبول ولاية قضاء واسط في العراق، كما ضرب يوسف بن عمر في صنعاء وهب بن منبه^(١).

- أحكام الإعدام كانت تنزع من اختصاص القضاة في هذا العصر الأموي وتوكل إلى الولاة وأغلب أسباب الإعدامات سياسية بحتة إذا قال المسلم هذا ظلم أو الأمر به ظالم فمصيره إما سجن مؤبد أو قتل.

- انتشار أبشع صور الظلم والإجرام في العصر الأموي من قبل الولاة ومن كانوا يسمونهم بالخلفاء، فقد ثبت بالروايات الصحيحة قيام الوليد بن يزيد بن عبدالمك الذي جاء بعد الطاغية هشام ونصب المصحف الشريف وقام يرميه بالنبل لأنه استفتح فيه فكان قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ فقال البيهقي المشهورين عنه:

أتوعد كل جبار عنيد فهذا آنذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشرٍ فقل يا رب مزقني الوليد

- خطب ذات مرة خالد بن عبدالله القسري في مكة المكرمة وهو أمير

(١) أخبار القضاة لو كيع والطبري ج ٥/٣٢٦.

الحج في عصر هشام بن عبد الملك فخطب في الحجاج قائلاً: (أيها الناس أطيعوا الأمير والخليفة وأقسم أن الخلفاء أفضل عند الله من رسله، ولو أمرني أمير المؤمنين هشام بهدم هذه الكعبة لهدمتها حجراً حجراً ما ترددت).

-في النظام المالي المتعلق بالدولة ووارداتها كان مصدر الثروة لبيت مال المسلمين الزكوات والخراج وغنائم الحرب، وللولاة الحرية التامة في التصرف فيها وفي ما يخص حقوق الفقراء والمساكين فيها لا ينفق عليهم منها إلا الفتات والنزر اليسير، أما الخراج والغنائم فتقسم بين الولاة والخلفاء ويبعثون بها من قطر إلى قطر إلى الخليفة الظالم.

-وعندما لا تشبعهم هذه الثروة قاموا بفرض خراجات زائدة على البلدان العُشرية التي أسلمت طوعاً بلا سيف ولا قتال كاليمن ففرضوا عليها خراجاً سنوياً فوق الزكاة تُساق كل عام إلى ملوك بني أمية حتى جاء عمر بن عبدالعزيز وقطعها ثم أعادوها بعد وفاته رحمه الله.

-قضية اليهودي الذي سب فاطمة الزهراء في مجلس الطاغية هشام في محضر الإمام زيد وأمام حاشيته وجلساء هشام في دمشق حين قال له الإمام: (يا عدو الله والله لو تمكنت منك لاختطفت روحك) آنذاك أتدرون من هذا اليهودي إنه كان يعمل داخل بلاط هشام في دار الخلافة في ما كان يسمى بالديوان وهي كما نقول هذه الأيام المحاسب المالي الذي يعد كشوفات الوارد والمنصرف والمرتببات الشهرية ونحوها كانوا يتقنون هذه الصنعة اليهود وبعض النصارى، فيستخدمهم الولاة وملوك بني أمية، لهذا الغرض ولذلك قال اللعين

هشام للإمام زيد: (مه يا زيد لا تؤذ جليسننا) لأنه مداوم لديه ٢٤ ساعة ومعتمد عليه في أعمال خلافة المسلمين.

فكيف يصنع من يريد التغيير بين هذا الوضع والكم الهائل من المخالفات والانحرافات، الإمام زيد عبر في رسالته في عدة مقاطع عن هذا الوضع حيث قال عَلَيْكُمْ مخاطباً للعلماء وبالذات علماء السوء: (لا مالأً تبدلونه لله تعالى، ولا نفوساً تُخاطرون بها في جنب الله تعالى، ولا داراً عطلتموها، ولا زوجة فارقتموها، ولا عشيرة عاديتموها).

فلا تتمنوا ما عند الله تعالى وقد خالفتموه، فترون أنكم تَسْعُونَ في النور، وتَتَلَقَّكُمْ الملائكة بالبشارة من الله عز وجل؟ كيف تطمعون في السلامة يوم الطامة؟! وقد أَخَذْتُمْ الأمانة، وفارقتم العلم، وأدهنتم في الدين، وقد رأيتم عهد الله منقوضاً، ودينه مبعوضاً، وأنتم لا تفزعون، ومن الله لا ترهبون، فلو صبرتم على الأذى، وتحملت المؤنة في جنب الله لكانت أمور الله صادرة عنكم، وواردة إليكم.

عباد الله لا تَمَكَّنُوا الظالمين من قيادكم بالطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا الزائل، وتراثها الأفل، فتخسروا حظكم من الله عز وجل).

أهم الملامح في حياة وفكر الإمام زيد بن علي (ع)

أ. حفظ الله علي زايد

حينما نقفُ أمامَ شخصيةٍ كشخصيةِ إمامِ الجهادِ والاجتهادِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام، فلن نستطيعَ أن نوفيه حقَّه، لأنَّه من الشخصياتِ التي قلَّ نظيرُها في تاريخِ البشرية، وما هذه الكلماتُ إلا قطرةٌ من مطرٍ في رحابِ هذا الإمامِ الجليلِ..

هذه الشخصيةُ النادرةُ في تاريخِ الإسلامِ الحنيف، حيثُ إنَّه العَلَمُ بين الفكرِ الأصيلِ وبينَ غيره، كما قالَ الإمامُ عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام: (العَلَمُ بيننا وبين الناسِ علي بن أبي طالب، والعَلَمُ بيننا وبين الشيعةِ زيد بن علي) ^(١) فكان حجةَ الله في أرضه.

وسوفَ نسلطُ الحديثَ على جانبٍ من جوانبِ هذه الشخصيةِ الإسلاميةِ العظيمة، وهو أهمُّ الملامحِ التي تميَّزَ بها عليه السلام في حياته وفكره، علماً أنَّ هذه الملامحَ عبارةٌ عن خطوطٍ عريضةٍ يندرجُ تحتها كثيرٌ من التفاصيل، وهذا يدعونا إلى دراسةِ هذا الفكرِ باستفاضةٍ وتأنٍ وموضوعيةٍ، والانفتاحِ على ما تركه لنا من تراثٍ عظيمٍ، وفكرٍ أصيلٍ.

وقد حاولتُ الإمامَ بأهمِّ هذه الملامحِ قدرَ الإمكان، وجعلتها ثلاثةً

أساسية:

(١) المجموعة الفاخرة والعقد الثمين والاعتصام بجعل الله المتين والروض النضير .

أهم الملامح في حياة الإمام زيد

أولاً: التربية الإيمانية: التي حضي بها في بيت النبوة، كيف لا؟ وأبوه سيد الساجدين وزين العابدين، وجدّه سيد شباب أهل الجنة، وكان أهمُّ معالم هذه التربية:

1- الالتزام بروح الإسلام الحنيف علماً وعملاً، وبيّرُ هذا المعنى جلياً في قوله عليه السلام: (والله ما كذبت كذبة منذُ عرفتُ يميني من شمالي، ولا انتهكتُ لله محرماً منذُ عرفتُ أن الله يعاقب عليه) ⁽¹⁾ وفي هذا الصدِّ حاول بعض أمراض النفوس تشويهه، وأطلقوا شائعةً بأنّه لا يخرج زكاة أمواله، فردَّ عليهم بقوله:

يقولون زيدٌ لا يزكي بماله وكيف يزكي المال من هوَ باذله؟
إذا جاء رأس الحولٍ لم يكُ عندنا من المال إلا رسمه وفواضله

كما يتضح هذا المعنى أيضاً في رسالة الحقوق، التي بيّن فيها حقوق الله سبحانه، وما يجبُ لله سبحانه في الجوارح والصلاة والصيام والأموال وغير ذلك، والتي جاء فيها: (فاعلموا أن حقوقَ الله سبحانه مُحيطَةٌ بعبادته في كلِّ حركةٍ، وسبيلٍ وحالٍ ومنزلٍ وجارحةٍ وآلةٍ، وحقوقُ الله تعالى بعضها أكبرُ من بعض، فأكبرُ حقوقِ الله تعالى ما أوجبَ على عباده من حقّه، وجعله أصلاً لحقوقه، ومنه تفرّعتِ الحقوق، ثم ما أوجبه

(1) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد عليه السلام.

من قَرَنِ العَبْدِ إِلَى قَدَمِهِ عَلَى اخْتِلافِ الجِوارِحِ، فَجَعَلَ لِلقَلْبِ حَقاً، وَلِلسانِ حَقاً، وَلِلبَصَرِ حَقاً، وَلِلسَّمْعِ حَقاً، وَلِليَدَيْنِ حَقاً، وَلِلقَدَمَيْنِ حَقاً، وَلِلبَطْنِ حَقاً، وَلِلفَرْجِ حَقاً، فَهَذِهِ الجِوارِحُ تَكُونُ الأَفْعالِ، وَجَعَلَ تَعالَى لِلأَفْعالِ حَقوقاً؛ فَجَعَلَ لِلصلاةِ حَقاً، وَلِلزكاةِ حَقاً، وَلِلصومِ حَقاً، وَلِلحجِّ حَقاً، وَلِلجِهادِ حَقاً، وَجَعَلَ لِذِي الرِّحْمِ حَقاً، ثُمَّ إِنَّ حَقوقَ اللَّهِ تَتَشعَّبُ مِنْها الحَقوقُ، فَاحفظوا حَقوقَهُ ... إلخ^(١).

ولهذا يقول أبو خالد الواسطي رحمة الله عليه: (ما رأيتُ هاشمياً أزهَدَ ولا أوعَرَ من زيدِ بن علي).

٢- الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم، وفي هذا يقول ع (عليه السلام): (خلوتُ بالقرآنِ الكريمِ ثلاثَ عشرةَ سنةً أقرؤهُ وأتدبرهُ)^(٢) بل إنه كان يدعى بحليفِ القرآن، لكثرةِ مجالستِهِ للقرآنِ الكريمِ، وقد أوصى هذه الأمةَ بقوله: (أوصيكم أن تتخذُوا كتابَ اللَّهِ قائداً وإماماً، وأن تكونُوا له تبعاً فيما أحببْتُم وكرهْتُم، وأن تتهمُوا أنفُسَكُم ورأيكُم فيما لا يوافقُ القرآنَ، فإنَّ القرآنَ شفاءٌ لمن استشفى به، ونوراً لمن اهتدى به، ونجاةٌ لمن تبعه، مَنْ عَمَلَ به رَشِداً، وَمَنْ حَكَمَ به عَدَلًا، وَمَنْ خَاصَمَ به فَلَجًا، وَمَنْ خَالَفَهُ كَفَرَ، فِيهِ نَبَأٌ مَن قَبْلَكُم، وَخَبْرٌ مَعادِكُم، وَإِلَيْهِ مَنتهى أمرِكُم)^(٣).

(١) رسالة الحقوق للإمام زيد ع

(٢) أمالي أحمد بن عيسى وأمالي المرشد بالله .

(٣) كتاب الإيمان للإمام زيد ع

٣- المنزلة العلمية الرفيعة، فقد أخذ العلمَ عن آبائه، وعن علماء عصره، حتى أصبح من كبار العلماء المجتهدين، وبلغ مبلغاً عظيماً في الفصاحة والبلاغة، وتخرج على يديه كثيرٌ من العلماء، ولهذا نجدُه عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: (سلوني، فوالله ما تسألوني عن حلال أو حرام، أو محكم أو متشابه، أو ناسخ أو منسوخ، أو أمثال أو قصص، إلا أنبأتكم به، والله ما وقفتُ هذا الموقف، ولا قمتُ مقامي هذا حتى قرأت القرآن، وأتقنت الفرائض والأحكام، والسنن والآداب، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل، وفهمت الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، وأنا أعلم أهل بيتي بما تحتاج إليه الأمة، وأنا على بصيرة من ربي)^(١) وفي هذا يكفي شهادة علماء عصره، منهم أخوه الإمام محمد بن علي الباقر، حينما سأله جابر الجعفي عن الإمام زيد فقال: (سألني عن رجلٍ مَلئَ إيماناً وعلماً من أطرافِ شعره إلى قدمه).

ومنهم أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور، الذي قال: (شاهدتُ زيدَ بنَ علي كما شاهدتُ أهله، فما رأيتُ في زمانه أفقه منه، ولا أعلم ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً لقد كان منقطع القرين).

ومنهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، الذي قال: (إنَّ زيدا لمن الفاضلين في قبيله ودينه).

(١) المنتزع من المحيط بالإمامة والمصايح في السيرة والتحف شرح الزلف.

ومنهم خالد بن صفوان الذي قال: (انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي).

ثانياً: التصدي للانحراف الفكري والعقائدي الذي طرأ على الفكر الإسلامي الأصيل: حيث إنه بعد أن تسلط على رقاب هذه الأمة، الملوكة الظلمة، والأمراء الفجرة، من الأمويين وأنصارهم، عملوا جاهدين على تثبيت ملكهم، والحفاظ عليه، على تشويه فكر الإسلام الأصيل، بأفكارٍ ديلة تضمن لهم البقاء على ما هم عليه من ظلمٍ وفسادٍ وانحرافٍ، **الخطوط العريضة لذلك الفكر المنحرف هي:**

- إلغاء دور العقل، والتسليم المطلق للروايات حتى وإن خالفت القرآن الكريم .
- التسليم المطلق للحاكم، وأن ما قاله هو الحق والصواب .
- عدم الخروج على الحاكم مهما كان ظالماً أو فاسقاً ما لم يعلن الكفر البواح .
- أن كل ما يحدث في هذه الدنيا من عدلٍ أو ظلمٍ أو طاعةٍ أو معصيةٍ، أنها بقضاءٍ وقدرٍ .
- أنه يكفي مجرد الإيمان باللسان لدخول الجنة، ولا يشترط العمل .
- أن ارتكاب المعاصي لا يضر مع الإيمان، وأن النبي ﷺ سيشفع لأهل الكبائر يوم القيامة، وإذا دخل هؤلاء النار فسيخرجون منها بعد أن يعذبوا فيها على قدر ذنوبهم.

فبعد أن أصبحت هذه المفاهيم هي السائدة، وأصبحت هي ثقافة المجتمع قام الإمام زيد عليه السلام مصححاً لها، وكان أهم ما عمل عليه هو:

١- إعادة الأساس الذي عليه يُقبل الحديث أو يُردُّ، وهو العرض على

القرآن الكريم، حيث أن تدوين الحديث الشريف بدأ بحوالي قرن بعد وفاة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الفترة شابها كثير من الكذب والدس والتحريف والتزوير والاشتباه والنسيان لكثير من كلام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، خاصة في العصر الأموي، الذي تحكمت فيه الأهواء والعصبية وسياسة الدولة في رواية الحديث، وهنا ظهر دور الإمام زيد عليه السلام، في العمل بقاعدة العرض على القرآن الكريم، وفي هذا يقول عليه السلام، بعد أن سأله بعض أصحابه: (اعلم يرحمك الله، أنه ما ذهب نبي قط من بين أمته، إلا وقد أثبت الله حججه عليهم، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته، فما كان من بدعة وضلالة، فإنما هو من الحديث الذي كان من بعده، وأنه يكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وقد قال رسول الله: (اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن، فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلت، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله، وأنا بريء منه) ^(١).

كما نجد أن أول كتاب دُون في الحديث الشريف هو مسند الإمام

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد عليه السلام.

زيد عليه السلام، وقد دَوَّنَهُ بيده، وما اسْتَشْهَدَ إلا وقد أملاه على جماعةٍ من أصحابه، وبهذا فقد حَفِظَ الإمامُ زيدٌ لفكرِ الإسلامِ أصالته، وقد ساعدهُ في ذلك، اتصَّاله القريبُ بالمنبعِ الأصليِّ لهذه الشريعةِ العظيمة، حيثُ لم يكنْ بينهُ وبينَ الحبيبِ المصطفى صلى الله عليه وآله إلا ثلاثةُ أشخاصٍ فقط، وهم زينُ العابدين، والحسينُ بنُ علي، وعليُّ بنُ أبي طالب، ولهذا سُمِّيَ هذا السندُ في علمِ الرجالِ، بالسلسلةِ الذهبية: (حدثني أبي عن أبيه عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ عن رسولِ الله) وللهُ درُّ الإمامِ عبد الله بن حمزة عليه السلام حينما قال:

كم بين قولي عن أبي عن جده وأبو أبي فهو النبي الهادي
وفتى يقول روى لنا أשיاخنا ما ذلك الإسناد من إسنادي
خذ ما دنا ودع البعيد لشأنه يغنيك دانيه عن الإبعادِ

٢- تصحيح مفهوم الجبر والاختيار بالنسبة لأعمال الإنسان: حيث إنَّ الشائع في المجتمع آنذاك هو القول بالجبر، وأنَّ ما يصدرُ من الإنسان من أعمالٍ هي قضاء وقدر، ولا مفرُّ له منها، فبيَّنَ الإمامُ زيدٌ عليه السلام أنَّ هذا المفهومَ صنَعُ الجبابةِ والظلمةِ والطغاةِ، وأنَّ المكلفَ مسئولٌ مسئوليةً كاملةً عن كلِّ ما يصدرُ منه، يقولُ عليه السلام مبيناً ذلك: (زعموا أنه لم يجعل للقلوب استطاعة لرد ما دهمها وحلَّ بها، إذ أجبرها عليه وجبَّها له، فنسبوا إلى الله تعالى المذمَّات، ونفوها عن نفوسهم من جميع الجهات، فقالوا: منه جميع تقلبنا في الحركات التي هي المعاصي والطاعات، وأنه محاسبنا يوم القيامة على أفعاله التي فعلها، إذ خلق: الكفر، والزنا، والشرك، والظلم،

والجور، والسَّفَه. ولولا أنه خلقها - زعموا - ثم أجبرنا عليها ما قدرنا على أن نكفر أو نشرك، أو نكذب أنبياءه، أو نجحد بآياته، أو نقتل أوليائه ورسله، فلما خلقها وأجبرنا عليها وقدرها لنا لم نخرج من قضائه وقدره، فغضب علينا وعذبنا بالنَّار طول الأبد .

كلا وباعث المرسلين ما هذه صفة أحكم الحاكمين، بل خلقهم مكلفين مستطيعين مَحْجُوجِينَ مأمورين منهيين . أَمَرْنَا بِالْخَيْرِ وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ، وَنَهَى عَنِ الشَّرِّ وَلَمْ يُعْرِ عَلَيْهِ، وَهَدَاهُم النَّجْدِينَ - سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ - وَقَالَ: اْعْمَلُوا فَكُلَّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنْ عَمَلِ الطَّاعَةِ وَتَرَكَ الْمَعْصِيَةَ... فَتَفَتِ الْمَجْبِرَةَ وَالْمَشْبَهَةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ جَمِيعَ الْمَذْمَاتِ، وَالظُّلْمَ وَالْجُورَ وَالسَّفَهَ، وَنَسَبُوهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، فَقَالُوا خَلَقْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَشْقِيَاءَ، ثُمَّ عَذَبْنَا بِالنَّارِ وَلَمْ يَظْلَمْنَا . فَأَيُّ اسْتِهْزَاءٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَوْضَحُ أَوْ جَوْرٌ أَبِينُ مِمَّا وَصَفُوا بِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟! كَلَّا وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ مَا هَذِهِ صِفَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^(١) .

٣- الفصل في قضية أصحاب الكبائر، وأنهم ينزلون منزلةً بين الإيمان والكفر وهو الفسق، حيثُ أنَّ هناك مَنْ قَالَ بِأَنَّ صَاحِبَ الْكِبِيرَةِ مُؤْمِنٌ، وَبِالْتَّالِيِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَهُ كَمُؤْمِنٍ، فَنُؤَالِيهِ وَنُحِبُّهُ، وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا مِنَ الْحُكَّامِ الظُّلْمَةَ وَالْفِسْقَةَ وَالْخَمَارِينَ وَالزَّنَاةَ وَالْقَتْلَةَ وَغَيْرِهِمْ، جَعَلُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ، وَقَامُوا بِمُؤَالَاتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد عليه السلام (الرد على المجبرة - الرسالة المدنية) .

والدفاع عنهم، وحرّموا الخروج عليهم، وهناك مَنْ قَالَ بأنهم كفار، وبالتالي تنطبق عليهم كلُّ أحكام الكافر، مِنَ المعاداة والتفريقِ بينه وبين زوجته، وعدمِ توريثه، وعدمِ دفنِه في مقابرِ المسلمين، وغير ذلك مِنَ الأحكام، ولكن ماذا قَالَ الإمامُ زيدٌ عليه السلام في مرتكبِ الكبائرِ؟ قَالَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَا بِكَافِرٍ، وَلَا بِمَنَافِقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ وَمَجْرُمٌ وَظَالِمٌ، وَعَدُوٌّ لِمَوْلَى سَبْحَانَهُ مَا دَامَ أَنَّهُ مَصْرُوعٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَيَجِبُ مَعَادَاتُهُ وَجِهَادُهُ، وَإِذَا مَاتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَنَهَايَتُهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا^(١).

٤- تصحيح مفهوم القلة والكثرة: حيث إن الشائع في المجتمع أنَّ الكثرة

دليل الحق، والقلة دليل الباطل، وهذا ما احتجَّ به علماء الشام على الإمام عليه السلام، فبيَّن أنَّ هذا ليس معياراً للحقِّ والباطل.

وأنَّ المفهوم القرآني في هذه المسألة ينصُّ على أنَّ أهل الحق في الغالب قليل، وأنَّ أهل الباطل كثير، يقول عليه السلام: (إن أناساً من هذه الأمة يتكلمون في الجماعة ويزعمون أنهم أهل الكثرة، وأنهم حجة الله على أهل القلة من الناس، وأن القليلين من هذه الأمة هم أهل البدع والضلالة، وإنا سمعنا الله تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وعلا نوره وظهرت حجته، قال - فيما نزل من وحيه الناطق الصادق على محمد عبده ورسوله عليه السلام، بخير الأمم الماضية مثل: أمة نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم السلام، وهم

(١) انظر كتاب الإيمان للإمام عليه السلام فقد ناقش هذه القضية باستفاضة .

أولوا العزم من الرسل، وغير أهل الكُتُب - إن أهل الحق والجماعة وأتباع الرسل أهل القلة، وإن أهل البدع والضلالة هم الأكثرون، وإنا سمعنا الله جل اسمه يثني على أهل القلة ويمدحهم، ويذم أهل الكثرة ويُجَهِلُهُمْ وَيُسَفِّهُهُمْ ويكذبهم ويضلّهم، وينهى عباده الصالحين عن اتباعهم والاقتراء بهم والأخذ بمقالهم ... إلخ^(١).

٥- توضيح المفهوم حول أهل البيت عليه السلام: فَبَيَّنَ مَنْ هُمْ؟ وما هي مكانتهم؟ وما هي حقوقهم؟ وما واجب الناس نحوهم؟ يقول عليه السلام: (ثم سمي لنبيكم عليه السلام أهلاً حيث سمي للذين نبأهم أهلاً، قال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] فهم أهله كما جعل للأنبياء أهلاً، فَاتَّبَعُوهُ وَأَطَاعُوهُ فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عليه السلام، ثم قال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] وقال: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦] فنحن ذوو قرباه دون الناس، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]... إلخ^(٢).

وقال أيضاً: (وكان رسول الله عليه السلام الداعي على بصيرة، وكان أول من اتبعه علياً عليه السلام وكان الداعي من بعده على بصيرة؛ لأنه أول من اتبعه، وأولى أن يكون وصيه ... فكان علي عليه السلام أحق الناس بالله وبرسوله عليه السلام، وكان إمامهم بعد نبيهم، وأحق الناس بالناس وأولاهم بهم الحسنُ

(١) كتاب القلة والكثرة للإمام عليه السلام.(٢) كتاب الصفوة للإمام عليه السلام.

والحسين؛ لأنهما ذرية رسول الله ﷺ وعقبه . وليس للحسن فضل على الحسين إلا درجة الكبر، وكان القول من رسول الله ﷺ فيهما واحداً، فهما ذرية رسول الله ﷺ، وهما أولى به من سائر الناس، وأولى الناس بعلي، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤ ... إلخ] (١).

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث أنها فريضة إسلامية عظيمة، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقول الحبيب المصطفى ﷺ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَسْطُرَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَيَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُوا خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ» وحيث أن الواقع قد بلغت فيه المنكرات مبلغاً عظيماً، إلى درجة سبِّ الحبيب المصطفى ﷺ في مجلس من يسمي نفسه خليفة، قام الإمام علي عليه السلام بهذه الفريضة قائلاً:

حُكْمُ الْكِتَابِ وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ	فَرَضًا جِهَادَ الْجَائِرِ الْخَوَّانِ
فَالْمُسْرِعُونَ إِلَى فَرَائِضِ رَبِّهِمْ	بَرُّوْا مِنَ الْأَثَامِ وَالْعُدْوَانِ
وَالْكَافِرُونَ بِفَرْضِهِ وَبِحُكْمِهِ	كَالسَّاجِدِينَ لَصُورَةِ الْأَوْثَانِ
كَيْفَ النِّجَاةِ لِأُمَّةٍ قَدْ بَدَلَتْ	مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ

(١) كتاب تشييت الوصية للإمام علي عليه السلام، كما ناقش عليه السلام هذه المسألة في كتاب تشييت الإمامة، وقد أورد أدلة جلية في ذلك.

وكان أهمُّ ما عمل عليه في هذا الجانب:

١- مخاطبة النخبة من الناس وهم العلماء: حيث دعاهم إلى تحمل مسؤولياتهم كعلماء، وأنهم إذا صلحوا صلحت هذه الأمة وإذا فسدوا فسدت هذه الأمة، كما حذر أشد التحذير من علماء السوء، وقد جاء في تلك الرسالة: (فإنما تصلحُ الأمورُ على أيدي العلماء، وتفسدُ بهم إذا باعوا أمرَ الله تعالى ونهيه بمعاونةِ الظالمينَ الجائرين، فكَذلك الجهالُ والسفهاءُ إذا كانت الأمورُ في أيديهم، لم يستطيعوا إلا بالجهلِ والسفهِه إقامتها، فحينئذٍ تصرُّخُ الموارِيث، وتضجُّ الأحكام، ويفتضحُ المسلمون، وأنتم أيها العلماءُ عصابةٌ مشهورة، وبالورعِ مذكورة، وإلى عبادةِ اللهِ منسوبة، وبدراسةِ القرآنِ معروفة، ولكم في أعينِ الناسِ مهابةٌ، وفي المدائنِ والأسواقِ مكرمةٌ، يهابُكم الشَّرِيف، ويكرمُكم الضَّعِيف، ويرهبُكم من لا فضلَ لكم عليه، يُبدأُ بكم عندَ الدُّعوةِ والتُّحفَةِ، ويُشارُ إليكم في المَجالس، وتشفعونَ في الحاجاتِ إذا امتنعتْ على الطَّالِبين، وآثارُكم مُتَّبَعَةٌ، وطُرُقُكم تُسَلَّكُ ... يا علماءَ السوءِ إنما أمنتُم عندَ الجَبَّارينَ بالإدْهانِ، وفزتمُ بما في أيديكم بالمُقارَبَةِ، وقُربتُم منهم بالمُصانَعَةِ، قد أبحتُم الدِّينَ، وعطلتُم القرآنَ، فعادَ علمُكم حجةً لله عليكم، وستعلمونَ إذا حَشَرَجَ الصِّدْرُ، وجاءتِ الطامةُ، ونزلتِ الدَّاهيةُ . يا علماءَ السوءِ أتمُّ أعظمُ الخلقِ مصيبةً، وأشدُّهم عقوبةً، إن كنتم تعقلون، ذلكَ بأنَّ اللهَ قد احتجَّ عليكم بما استحفَظَكم؛ إذ جعلَ الأمورَ

ترد إليكم وتصدر عنكم، الأحكام من قبلكم تلتمس، والسُنن من جهتكم تختبر، يقول المتبعون لكم: أنتم حجنا بيننا وبين ربنا، فبأي منزلة نزلتم من العباد هذا المنزلة؟ فو الذي نفس زيد بن علي بيده، لو بينتم للناس ما تعلمون، ودعوتهم إلى الحق الذي تعرفون، لتضعع بنيان الجبارين، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وادهنتم في دينه، وفارقتم كتابه، هذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزيتتم لهم الجور، وشدتتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم. فيا علماء السوء محوتهم كتاب الله محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً، فند والله نديد البعير الشارد، هرباً منكم، فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحق من ذرية النبي ﷺ ورفعت رؤوسهم فوق الأُسنة، وصدوا في الحديد، وخلص إليهم الذل، واستشعروا الكرب، وتسربلوا الأحزان، يتنفسون الصعداء، ويتشاكون الجهد؛ فهذا ما قدمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فالله المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين، وقد كتبت إليكم كتاباً، بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو العمل بكتاب الله، وإحياء سنة رسول الله ﷺ فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين... إلخ⁽¹⁾.

(1) رسالته ﷺ إلى علماء الأمة.

٢- **النصيحة المباشرة للحاكم:** فقد ذهب الإمام عليه السلام إلى هشام بن عبد الملك في الشام وقال له: (اتق الله) فقد روى الإمام المهدي في المنهاج، والإمام أبو طالب في الأمالي من طريق كليب الحارثي أن زيد بن علي عليهما السلام دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام الشاميين، ثم قال له زيد: إنه ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وليس أحد من عباد الله دون أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقوى الله، فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة الراجي لها، وما أنت والخلافة وأنت ابن أمة؟ فقال له زيد عليه السلام: (إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من الأنبياء صلوات الله عليهم، وقد بعث الله نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصراً عن ختم الغاية لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم منزلة عند الله من الخلافة، فكانت أم إسماعيل مع أم إسحاق كأمي مع أمك لم يمنع ذلك أن جعله الله أبا العرب وأبا خير النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما تقصيرك برجل جدّه رسول الله، وأبوه علي بن أبي طالب، فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون، ودعا قهرمانه (الخازن والوكيل) فقال: لا يبيتن هذا في عسكري، فخرج أبو الحسين زيد بن علي وهو يقول: لم يكره قومٌ حرَّ السيوف إلا ذلوا).

٣- **الجهاد المسلح:** فبعد أن أعذّر الإمام زيد عليه السلام في أولئك الظلمة دعا الناس إلى الجهاد، يقول عليه السلام: (لا يسعني أن أسكن، وقد خولف كتاب

اللَّهُ تَعَالَى، وَتُحَوِّكَمَ إِلَى الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَذَلِكَ إِنِّي شَهِدْتُ هَشَامًا، وَرَجُلًا عِنْدَهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِسَابِ لَهُ: وَيْلَكَ يَا كَافِرَ، أَمَّا إِنِّي لَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْكَ لَأَخْتَطِفُ رُوحَكَ، وَعَجَلْتُكَ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ هَشَامُ: مَهْ يَا زَيْدَ لَا تُؤْذِ جَلِيسَنَا، فَوَاللَّهِ لَوْلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَا وَيَحْيَى ابْنِي، لَخَرَجْتُ عَلَيْهِ وَجَاهَدْتُهُ حَتَّى أَفْنِي^(١).

وبهذا يكون عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ قد أسس لمبدأ الخروج على الظالم مهما كان، وأينما كان عملاً بقول الحبيب المصطفى ﷺ: (مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مَخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ).

أسأل المولى سبحانه أن يهدينا إلى كل خير، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يحشرنا في زمرة محمد وآل محمد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ .

ثورة الفكر والمفاهيم لدى إمام الأئمة

بـقـلـم العلامة/ أحمد علي المهدي

إن الإمام زيداً غني عن التعريف فهو أعرف المعارف، وفوق مدح كل واصف، إمام الجهاد وفتح أبواب الاجتهاد، أمير المؤمنين، ومُجَدِّدُ الملة والدين، في رأس المائة الأولى من هجرة خاتم النبيين، الواردة في شأنه وفضله آثار وأخبار، مزبورة في بطون الكتب الحديثية والأسفار، الجدير بقول الإمام النفس الزكية فيه: (أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ إعوَجَّ، ولن نقبَس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة) اهـ .

- إن الكلام عن الإمام الأعظم زيد بن علي لا تستوعبه الأسفار، والمجلدات الكبار، لكنني أدلي بدلوي، مقتدياً بكلام ربي سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ فأتحدث عن جانب معين من حياته عليه السلام وعن صفحة مشرقة من صفحاته المنيرة ألا وهي (ثورة الفكر والمفاهيم).

نعم: لقد قام الإمام زيد بثورات متعددة كاملة وشاملة في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والمعرفية بعد أن أمضى شطراً من عمره عليه السلام في تعلم كتاب الله وعلوم الشريعة لدى أبيه زين العابدين

وأخيه الأكبر الباقر وغيرهما حتى فاق درجة الإجتهد، حافظاً لكتاب الله عن ظهر قلب في ثلاث عشرة سنة حتى سُمِّي بـ«حليف القرآن».

وصار راوية لحديث جده المصطفى في جميع العلوم فقهاً وفرائض وغير ذلك، وحينئذٍ أصبح الإمام زيد قبلة لطالبي العلوم، ورواة الحديث ومهوى أفئدة المتعلمين والمستفتين، ومرجعاً لحل المشكلات وفك المسائل المعضلات.

قبل أن يقوم الإمام زيد بثورة مسلحة ضد الظلمة والطغاة قام بثورة معرفية في الفكر والمفاهيم بسبب ما رأى من تعكيس للمفاهيم والأفكار، ورأى أن الأمة مستهدفة في أفكارها وعقائدها ودينها فرأى خطر ذلك على حاضر الإسلام ومستقبله، فشمّر عن ساعد الجد وبذل كل ما في وسعه في سبيل تصحيح المفاهيم الموهومة والأفكار المشوومة فقام قبل الثورة الجهادية بثورة فكرية تصحيحية ومعرفية.

- لقد ثار الإمام زيد على كل فساد وانحراف فكري، فبعد أن واجه الإمام طوفاناً مدمراً للأمة من عقائد باطلة مشبهة مجسمة مجبرة وافكار مدجّنة للأمة ونبد للقرآن وطرح الأحكام—رأى لزاماً عليه القيام بثورة تصحيحية واسعة شاملة لجميع المفاهيم الخاطئة، والأفكار الساقطة، التي كرسها أئمة الجور والظالمون بمساعدة علماء السوء وفقهاء البلاط.

- وإليك أخي القارئ سرداً لجملة من المفاهيم التي صححها الإمام الأعظم إمام الأئمة وهادي هداة هذه الأمة زيد بن علي عليهما السلام:

١- مفهوم الولاية:

نبّه الإمام زيداً أن هناك خطأ لدى كثير من الناس في فهم الولاية العامة وأوضح أن مفهومها الصحيح هو أن الولاية هي تعيين من الله لأهلها لأنه لا يعلم بمصالح العباد إلا خالقهم سبحانه وأن الله لم يهمل عباده من ذلك وأوضح أن ولاية أمر الأمة بعد نبيها ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بدليل آية الخاتم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وخبر الغدير المتواتر المقطوع بوقوعه وصحته، ثم الولاية من بعده لابنه الحسن، ثم للحسين لقول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» ثم في الأختيار من ذرية الحسن والحسين مستشهداً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومحمد وآله من ذرية إبراهيم، وبقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وأوضح الإمام الأعظم أن سبب ضلال الأمة وتفرقها وتمزقها وضياعها هو عدم رضاها بحكم الله في تولية أمرها من قرن الله ولايتهم بولايته وولاية رسوله في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

٢- مفهوم الإسلام الصحيح:

إن أول مفهوم باطل كرسه أئمة الجور والطغيان هو أن الإسلام مجرد تأدية الأركان الخمسة شهادةً وصلاةً وصياماً وزكاةً وحجاً فقط من فعلها فهو

(١) راجع كتاب الصفوة للإمام زيد بن علي عليه السلام.

من أهل الجنة ولا يضره ما فعل بعد ذلك من معصية وظلم للرعية وفساد أخلاقي وسلوكي، وروجت أحاديث لتثبيت هذا المفهوم الخاطئ في عقول الناس منها «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق».

فتصدى الإمام زيد لمثل هذه الأحاديث المكذوبة المخالفة لقواطع القرآن وأوضح للأمة أن الإسلام الصحيح هو قول وعمل وعبادة ومعاملة وأن الدين المعاملة.

٣- مفهوم طاعة ولي الأمر:

حذّر الإمام زيد من مفهوم وجوب الطاعة العمياء ومن طاعة الظلمة المستبدين المستأثرين بخيرات الشعوب ومقدراتهم وأن المفهوم الصحيح المتسق في نظام واحد مع آيات الكتاب المبين وسنة إمام المرسلين عليه السلام هو طاعة من أمر الله بطاعته إذا كان طائعاً فإن عصى الله فلا طاعة له «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ودعا الإمام زيد إلى وجوب الخروج على الظالم من ولادة أمر الأمة وجهاده.

هذا وقد رأى الإمام كثيراً من المفاهيم المغلوطة التي من شأنها تدجين الأمة للظالمين وزحزحتها عن طريق الهادين والمحقين ومن شأنها حرف مسار الأمة المحمدية عن المنهج الأقوم.

فبعد أن استشهد الإمام الحسين بن علي السبط عليه السلام كاد الدين ينطمس، ومعامله تدرس، بسبب ابتعاد الأمة عن الثقلين اللذين أخبر

النبي ﷺ بوجود التمسك بهما وأن الأمان والنجاة من الضلال هو في تمسك الأمة بهما، فلما ابتعد الناس عن الكتاب وقرنائه قلبت المفاهيم وعكست الموازين وطوّع علماء السوء وفقهاء البلاط ثقافة الأمة بما يخدم أئمة الجور ويضفي عليهم مطلق الشرعية فشاعت أفكار تناقض روحية القرآن وتتصادم مع آياته منها: وجوب طاعة ولي الأمر مهما لم يظهر كضراً بواحاً، ولتدعيم هذا المفهوم تم وضع عدد من الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله ﷺ لإعطاء الوالي الظالم الشرعية الكاملة والحصانة التامة من أي مسؤولية وتحريم الخروج عليه والنيل من جلالته وأن ذلك يُعدُّ خروجاً عن الدين وكفراً بما جاء به محمد خاتم النبيين.

من هذه الأحاديث الفائحة منها رائحة الوضع والتدجين للأمة وجعلها مهينة خانعة، مستضافمة للباطل طائعة: «أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك».

فجعلت هذه الأحاديث كالمسلمات وإن خالفت قواطع القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ وضحیح السنة كقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ومن ثم حذر الإمام زيد من علماء السوء ورواة الأحاديث الموضوععة المدججة للأمة لأنهم يساهمون في تشييت دعائم الباطل وسلطانيته، وخذلان الحق وأساطينه.

هذا وقد وجَّه الإمام الأعظم رسالة هامة إلى علماء الأمة قال فيها ما لفظه: (إن الظالمين قد استحلوا دماءنا وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خذلانكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا وفيما منعوهم من حقنا، وفيما أنكروهم من فضلنا، عباد الله فأنتم شركاء لهم في دماننا، وأعوانهم على ظلمنا، فكل مال لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله أخضروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نبذوه، وكل حكم لله عطلوه، وكل عهد لله نقضوه، وأنتم المعاونون لهم بالسكوت عن نهيمهم عن السوء).

هذا ولما كان مبدأ الخروج على الظالم مبدأً إسلامياً أصيلاً زدياً خالصاً اضطرت جميع الفرق المخالفة للزيدية إلى تطبيق هذا المبدأ عملياً وتركت ما ورثته من النظريات الخاصة بها وأقوال أسلافها ابتداءً بالإمامية الاثنا عشرية الرافضة لإمامة زيد بن علي - قامت بثورة خمينية عارمة ضد حكم الشاة في إيران مع أن ذلك مخالف لعقائدهم- وانتهاءً بالمتسننة المطبقين في مصنفااتهم على عدم جواز الخروج على ولي الأمر ظالماً أو فاسقاً أو شارب خمر أو ناهباً لثروات الأمة ومقدّراتها.

هذه التعاليم فتفتحت أذهانهم ورجعوا في هذا الأمر إلى عقولهم أو مصالحتهم فقررروا التطبيق الفوري لمبدأ الزيدية في الخروج على الظلمة ورموا بما ورثوه من روايات وأحاديث تحرم الخروج على ولي الأمر - في سلات المهملات، وقامت ثورات الربيع العربي.

٤- مفهوم حاكمية الأثر على كلام خالق القوى والقدر:

لقد عمل طغاة بني أمية على إبعاد الأمة عن منهجية القرآن وعملوا على إزالة حاكميته على السنة وجعلوه مجرد آيات تتلى في المحاريب، وجعلوا الأثر وما رووه من أحاديث موضوعة مختلفة منسوبة لسيد البشر، أصلاً مقطوعاً بصحته ولو كان مخالفاً لقواطع العقول وصحيح المنقول، لأنهم لو جعلوا القرآن حاكماً لحكم بكذب تلك الروايات التي اختلقوها.

ومن هنا تصدى الإمام زيد لكثير من الروايات المكذوبة وقال إن الطريق لمعرفة الحديث الصحيح عند العترة وشيعتهم وهو قوله عليه السلام «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فأنا قلته وإن خالفه فليس مني ولم أقله».

٥- مفهوم الكثرة والقلّة:

من الثورة العلمية والمعرفية التصحيحية قيام الإمام زيد بتأليف كتاب مدح القلة وذم الكثرة (بعد أن عمل أرباب الباطل والفكر الضال على نشر ثقافة سخيطة خاطئة بين العامة قائمة على أن الكثرة هم على الحق وأن القلة هم على الباطل، ليوهموا العوام كون الوالي الظالم محقاً لكثرة تابعيه، وكون الإمام زيد مبطلاً لقلة تابعيه فرد عليهم الإمام زيد وصحح هذا المفهوم الباطل مستدلاً بصرائح القرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً﴾.

٦- العقائد الباطلة:

عمل طغاة بني أمية وأولهم زعيم الفئة الباغية معاوية على نشر ثقافة الجبر بين الناس لإيهام الناس أن ولايتهم بأمر الله وأعمالهم تنفيذاً لمشية الله لا يُسألون عما يفعلون من التصرفات والعبث بأموال الأمة ومقدراتها حيث قال معاوية للرعية يوماً (إنما أنا خازن من خزان الله أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله) وقد كان يعطي المفسدين والإقطاعيين والمترفين ويمنع أولياء الله والكادحين المحتاجين.

فكان معاوية الباغي هو المؤسس الثاني بعد إبليس لمفهوم الجبر ومن ثم يجب على الرعية الرضا بولاية الطغاة من بني أمية كمعاوية وأضرابه إذ هم قضاء من الله وقدر ويجب على المؤمن الرضا بقضاء الله وقدره وعدم التناول على ظل الله في أرضه!!

ومن ثم رأى الإمام زيد رواجاً لأحاديث الجبر والتشبيه والتجسيم فتصدى لدحضها وتبيين كذبها ووضعها وأنها إما إسرائيليات رواها كعب الأحبار من التوراة المحرفة أو من وضع الزنادقة وغيرهم.

فأخذ الإمام زيد يؤلف في اصول الدين وإيضاح صحيح العقائد للمسلمين ودعا الإمام زيد الأمة إلى التوحيد والاعتصام بحبل الله جميعاً وبيّن لها أن معرفة الحق وأهله سهلة متيسرة إن كان هناك نية صالحة لمعرفة الحق متمثلة في إيمان الجميع بصدور حديث الثقلين من لسان رسول الله قطعاً وقيناً إذ هو متواتر بإجماع المسلمين وهو قوله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وآله:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ولفظ «تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسند صحيح.

وبعد أن تبحث الأمة صحة هذا الحديث المتواتر وتتيقن صدوره يلزمها حينئذٍ العمل به وتطبيقه بالمبادرة إلى اتباع العترة المطهرة ليحصل لها الأمان من الضلال، وأنهم قرناء الكتاب، بهم يفهم القرآن ومن ربي علومهم وعقائدهم ينهل الظمان، وأوضح الإمام زيد أن حديث الثقلين هذا المتواتر يوجب على جميع المسلمين اتباعهم والافتقار لآثارهم والتمسك بهم وبنهجهم وفكرهم ويوجب سؤالهم وقراءة كتبهم وأحاديثهم ورواياتهم^(١).

٧- مفهوم الولاء والبراء:

أوضح الإمام زيد في مجموع كتبه ورسائله أهمية وجوب المواولة لأولياء الله والمعادة لأعداء الله وأن هذا أصل من أصول الدين تجب المواولة المؤمن ومحبته ونصرته ومعاونته، ويجب معادة الفاسقين والظالمين والمنافقين والكافرين من يهود ونصارى وغيرهم.

مستدلاً بآيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ... إلخ﴾.

(١) انظر مجموع كتب ورسائل الإمام زيد، وكتاب تثبيت الوصية.

خاتمة

اختط الإمام زيد لثورته الفكرية خطوطاً أهمها:

- ١- التوحيد.
- ٢- العدل.
- ٣- الإمامة.
- ٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٥- وجوب الخروج على الظالم.

ويجدر بي في نهاية المقال التذكير أولاً: بأنه لولا ثورة الإمام المجدد للدين المحيي لما اندرس من شريعة سيد المرسلين زيد بن علي عليه السلام سواء الثورة المسلحة أو الثورة الفكرية- لما اخضر للإسلام عود، ولا قام له عمود.

ثانياً: أن تراجع الأمة الإسلامية وانحطاطها وعدم تقدمها العلمي والصناعي والتكنولوجي هو بسبب تغييبها فكر الزيدية ومنهج زيد وانحيازها الأعمى لما ورثته من آثار وأفكار تخالف صحيح العقل وصريح النقل.

ثالثاً: أدعو جميع النخب الفكرية والثقافية في بلادنا إلى الحفاظ على فكر زيد بن علي عليه السلام وتعليمه للأجيال إذ هو فكر نظيف من خرافات الروافض وهفوات النواصب فهو بحق الفكر الوحيد الوسطي المعتدل بين محب غال ومبغض قال.

دلالات وصية الإمام زيد (ع)

قبيل استشهاده لابنه يحيى

أ. طه الحاضري

تمهيد

تختلف حسابات الناس وتفاوت فيما يتعلق بتغيير الواقع ونهضة المجتمع، فمنهم من يحسب حساب ضريبة التحرك العملي وتبعات الموقف المسؤول فيؤثر السلامة، ومنهم من يحسب حساب النتائج والتي يرونها من خلال الاستقراء للواقع ومن خلال المعطيات والتجارب الماضية سلبية - حسب نظرهم - فيتجهون إلى العمل السلمي الناعم، والقليل النادر من يحسب حساب المسؤولية ورضا الله تعالى والقيام بالواجب ويرون أن العمل الثوري الواعي لتغيير الواقع ونهضة المجتمع فريضة لا بد من القيام بها وأدائها ولذلك لا يخشون العواقب ولا التحذيرات ولا التحليلات ولا يعرفون اليأس ولا الإحباط ويوطنون أنفسهم على التضحية، بل ويشعرون بالسعادة والاطمئنان ويحمدون الله على توفيقه لسلوك هذا الخط والمضي في هذا الدرب، ولا تقتصر نظرهم للتغيير والنهضة في حدود حياتهم فإذا ما استشهدوا انتهى الموضوع بالنسبة لهم بل نظرهم استراتيجية فيؤسسون

للعمل من بعد استشهادهم مؤكدين على ضرورة مواصلة المسير حتى يأذن الله بنصره ولو في الأجيال اللاحقة.

وهكذا كان الإمام زيد عليه السلام بشهادة فكره ومواقفه وثورته وبدلالات وصيته قبيل استشهاده بلحظات لابنه يحيى بضرورة أن يستمر في خط المواجهة مهما كانت الظروف كون معادلة المواجهة حق وباطل وليست معتمدة بشكل أساسي على حساب النتائج الميدانية بل على حساب المصير الأخروي.

وفي هذه الورقة المتواضعة سنتناول موضوع دلالات وصية الإمام

زيد عليه السلام قبيل استشهاده بلحظات لابنه يحيى عليه السلام

نص الوصية

في ثاني أيام الثورة المباركة يوم الخامس والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٢ هـ أصيب الإمام زيد عليه السلام بسهم قاتل في جبينه الأيسر حتى خالط دماغه فنادى قائلاً: الشهادة... الشهادة، الحمد لله الذي رزقنيها، فجاء ابنه يحيى وهو يبكي، وأخذ يمسح الدم عن وجه أبيه ثم قال له: أبشر يا ابن رسول الله، ترد على رسول الله وعلي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين وهم عنك راضون. فقال عليه السلام: صدقت يا بني، فأى شيء تريد أن تصنع؟ قال يحيى: أجاهدهم إلا أن لا أجد الناصر. فقال زيد: نعم يا بني جاهدتهم، فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل، وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار.

دلالات الوصية

استشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في يوم عاشوراء بعد أن نصحه الكثير بالعدول عن الخروج وبعد أن ذكَّره المحبون له والحريصون عليه بنكت أهل الكوفة لأبيه الإمام علي عليه السلام وأخيه الإمام الحسن عليه السلام وحذروه بأنه مقتول إن خرج، ومع ذلك خرج من منطلق المسؤولية وحصلت تلك الفاجعة والمأساة الإنسانية وارتكب الأمويون أبشع الجرائم والمجازر حتى يُسكتوا أي تحرك مستقبلي ضدهم وخصوصاً أي تحرك من أهل البيت عليه السلام، وفعلاً كادت كربلاء لتكون الأولى والأخيرة لكن بعد ستين سنة تحرك الإمام زيد عليه السلام وقاد ثورة عظيمة تُعتبر عاشوراء الثانية بحق والامتداد لثورة جده الحسين عليه السلام ونسخة طبق الأصل منها، حيث نصحه المحبون له والحريصون عليه من نكت أهل الكوفة وذكروه بكربلاء وما جرى فيها وحذروه بأنه مقتول ثم يخرج من منطلق المسؤولية فيخذه الناس وينكثوا عهده وبيعته ويرفضوه ثم في أثناء المعركة يتراجع الكثير ممن بدأوا القتال إلى جانبه حتى جعلوها حسينية ثم يُصاب بسهم قاتل على جبينه وهو على وشك الرحيل من الحياة الدنيا يهتم بالمستقبل ويستدعي ابنه يحيى ويسأله ما هو صانع من بعده فيجيب الإبن بمواصلة مسيرة الجهاد فيشجعه على ذلك ويؤكد له أنه على الحق وعدوه على الباطل ويقسم له بأن مصير المجاهدين إلى الجنة ومصير المبطلين إلى النار، فلم يقل لابنه لا تكرر ما فعلته فالناس قد خذلوني

وخذلوا جدك الحسين وليس فيهم خير فحافظ على نفسك فيكفيانا ما حصل لنا، ولم يقل له اهرب وانج بنفسك واستتر وعش حياتك بل يأمر أحب الناس إليه بمواصلة مسيرة الجهاد والتضحية.

إنه موقف يحق لنا أن نقف عنده طويلاً وأن نتأمل هذه الوصية الخالدة وندرسها ونتعرف على دلالاتها وما تحمله من معاني عميقة وعظيمة وما تسفر عن مبادئ وقيم وفكر وروح جهادية وما تختزل من وعي وما تتصف به من حكمة.

وعند البحث والتأمل والدراسة لهذه الوصية الاستثنائية في توقيتها ومضمونها وظروفها نستطيع معرفة دلالاتها من حيث منطلق ثورة الإمام زيد عليه السلام ومن حيث أهدافه ومن حيث وعيه وروحه الجهادية ومن حيث بصيرته ومن حيث النظرة الاستراتيجية سواء ما يتعلق بالمصير الأخرى الذي يتخطى الحياة الدنيا أو مصير الأجيال اللاحقة على مستوى الأمة.

الدلالة الأولى: المنطلق القرآني سر الثبات والتفاني

لم تكن منطلقات تحرك الإمام زيد عليه السلام الثوري مرهوناً بمعطيات مادية من حساب للكثرة والقلة رغم دقة إعداده وتخطيطه، ولا من حسابات عسكرية ترجح النصر ولا من منطلق شعبية يتمتع بها، بمعنى لم تكن منطلقات قد تتغير بتغير المعطيات والوقائع، بل كان من منطلق

قرآني خالص منطلق المبدأ الثابت بغض النظر عن النتائج، إنه القيام بالواجب والتحرك من دافع المسؤولية وأداء فريضة إلهية افترضها الله على الناس كأساس للتغيير وفي نفس الوقت لبراءة الذمة يوم القيامة، ولذلك لا بد من مواصلة المشوار حتى يأذن الله تعالى بفرجه لأن الفرج لا يأتي بالانتظار السلبي الممزوج بالقعود والجمود وإيثار السلامة بل يأتي بالحركة والعمل والجهاد والتضحية، فالظلم والطغيان ليس قدراً محتوماً ولا جبراً لا يمكن تغييره ولذلك ليس الاستشهاد نهاية المطاف بل لا بد من الاستمرار في مسيرة التضحية والجهاد كاستراتيجية لمواجهة الباطل.

من هنا كان الإمام زيد عليه السلام يرد على من يحذره من القتل إن قام بالثورة مذكراً بمنطلق تحركه القرآني فعن جابر الجعفي، قال: قال لي محمد بن علي (عليهما السلام): إن أخي زيد بن علي (عليهما السلام) خارج ومقتول وهو على الحق فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله، قال جابر: فلما أزمع زيد بن علي (عليهما السلام) الخروج قلت له إنني سمعت أخاك يقول كذا وكذا فقال لي: يا جابر لا يسعني أن أسكت وقد خولف كتاب الله تعالى وتحوكم بالجبت والطاغوت وذلك أني شهدت هشاماً ورجل عنده يسب رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت للسبب له: ويلك يا كافر أما إنني لو تمكنت منك لاخطفت روحك وعجلتك إلى النار، فقال لي هشام: مه، عن جليسنأ يا زيد، فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى).

فالقضية ليست عنده يُقتل أو لا يُقتل سواء هو أو ابنه يحيى فهو مستعد بالتضحية بابنه أحب الناس عليه لأن القضية أن القرآن الكريم لا يدعه أن يسكت وهو يرى المخالفة للقرآن والتحاكم بالظلم والطغيان حتى وصل الموضوع إلى أن يتجرأ يهودي على سب رسول الله ﷺ في مجلس الخلافة ولا يحرك الخليفة ساكناً بل ينهر الإمام زيد عليه السلام لدفاعه عن رسول الله ولذلك فلا يمكنه السكوت مهما كانت النتائج حتى لو لم يخرج معه مقاتلاً إلا ابنه يحيى وحتى لو فنياً معاً.

وهذا ما يؤكد أيضاً أخوه الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام حيث قَالَ: كَانَ أَخِي زَيْدٌ بَنُ عَلِيٍّ يُعْظِمُ مَا يَأْتِيهِ أَهْلُ الْجَوْرِ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا يَدْعُنِي كِتَابُ اللَّهِ أَنْ تَكْفَّ يَدِي، وَاللَّهِ مَا يُرْضِي اللَّهُ مِنَ الْعَارِفِينَ بِهِ أَنْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ وَالسِّتَتَهُمْ عَنِ الْمُفْسِدِينَ فِي أَرْضِهِ.

فرضا الله سبحانه هو الهدف من التحرك، والتحرك هو القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مبدأ قرآني لا بد من القيام به فهو وسيلة التغيير وحالة صحية داخل الأمة ولذلك كان هم الإمام زيد أن يلقى رسول الله يوم القيامة وهو لم يؤدي هذه الفريضة وهذا ما يفسر حمده لله حين خفقت رايات الجهاد فوق رأسه بقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْمَلَ لِي دِينِي وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي أَنِّي لَقَيْتُ مُحَمَّدًا عليه السلام وَلَمْ أَمُرْ أُمَّتَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ أَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاللَّهِ مَا أُبَالِي إِذَا أَقَمْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ أُجِّبَتْ لِي نَارٌ تَمَّ قُدِفَتْ

فِيهَا، ثُمَّ صِرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى).

ولذلك فمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنده عَلَيْهِ السَّلَامُ محوري بالنسبة لبقية الفرائض صغیرها وكبیرها فهو من یوضح هذا المفهوم في رسالته لعلماء الأمة بقوله: (واعلموا أن فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أقيمت له استقامت الفرائض بأسرها، هَيِّئْهَا وَشَدِّدْهَا).

فليس الهدف من الثورة مجرد النصر ولا الحكم ولا الثورة في حد ذاتها بل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحيائه في أوساط الأمة وبه يكون للثورة معنى وللحكم قيم وللنصر ديمومة.

الدلالة الثانية: توازي عظمة التضحيات مع سمو الهدف

عندما يكون الهدف نبيلاً وسامياً وعظيماً تهون من أجل تحقيقه أو العمل من أجله التضحيات، والهمم العالية والنفوس المتفانية تضحي من أجل صلاح الناس وسعادتهم وهذا ما يفسر الاستعداد للتضحية برغبة بل وتمني التضحية التي هي فوق التصور والخيال وخارج نطاق التوقع من أجل تحقيق الهدف السامي والنبيل فلا غرابة أن يوصي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه بمواصلة الجهاد وفي ذلك ما يرويه البابكي صاحب الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (خَرَجْتُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) إِلَى الْعُمَرَةِ فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنْ عُمَرَتِنَا أَقْبَلْنَا فَلَمَّا كُنَّا بِالْعَرَجِ أَخَذْنَا طَرِيقًا، فَلَمَّا اسْتَوَيْنَا عَلَى رَأْسِ

النَّبِيَّةِ نِصْفِ اللَّيْلِ اسْتَوَى الثُّرَيَّا عَلَى رُؤُوسِنَا فَقَالَ لِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): يَا بَابِكِي أَتَرَى الثُّرَيَّا مَا أَبْعَدَهَا أَتَرَى أَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُ بَعْدَهَا؟ قُلْتُ: لَأَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ وَدِدْتُ أَنَّ يَدَيَّ مُلْتَصِقَةٌ بِهَا ثُمَّ أَفَلْتُ حَتَّى وَقَعْتُ حَيْثُ وَقَعْتُ وَأَنَّ اللَّهَ أَصْلَحَ بِي أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فصلاح الأمة هو الهدف وبذلك فالتضحية هي من أجل عشرات الملايين من أبناء الأمة، بل إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مستعد أن يرمي نفسه في نار إذا كان في ذلك صلاح الأمة ولله فيه رضا فهو القائل عَلَيْهِ السَّلَامُ لمن حذره من الخروج: (والله لو أعلم أنه تؤجج لي نار بالحطب الجزل، فأقذف فيها وأن الله أصلح لهذه الأمة أمرها لفعلت).

الدلائل الثلاثة: استمرار الخط الجهادي استراتيجيّة التغيير

عندما يضحى المؤمن من منطلق القرآن الكريم ويكون هدفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي يصلح أمر الأمة فلا شك أن المنطلق ثابت والهدف ممتد وصلاح الإمة ضروري وواجب حينها يكون الاستمرار في هذا المشروع واجباً والجهاد في سبيل الله هو السبيل للخروج من الواقع المظلم إلى الواقع المشرق ومعادلة التغيير والنهضة هو التحرك العملي الميداني والتشخيص الصحيح لحالة الأمة ومعرفة الأسباب التي أدت بها إلى حالة الذل والمهانة ومعرفة كيفية معالجتها بشكل جذري.

وهذا ما وضعه الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ حين خرج ذات مرة من مجلس هشام

بن عبد الملك بعد أخذ ورد معه بقوله: (لَمْ يَكْرَهُ قَوْمٌ قَطَّ حَرَّ السُّيُوفِ إِلَّا ذُلًّا) فبسبب حالة الأمة وذلتها هي كره المواجهة والسبيل للخروج من هذه الوضعية المهينة هي المواجهة نفسها، وهذه القاعدة النهضوية شرط للتغيير والخروج من حالة الذل إلى العزة والحرية والسيادة.

فالطغاة دائماً ما يحاولون جعل الثورات ضدهم جزء من التاريخ فقط ولكن أن يوصي الثائر ابنه لمواصلة الثورة فهذا يدل على وعي استراتيجي وفعلاً كان من نتائج ثورة الإمام زيد وابن يحيى عليهما السلام سقوط حكم بني أمية.

ولهذا لم يوص الإمام زيد عليه السلام ابنه يحيى بالنجاة بنفسه بحجة أن الأمة قد خذلتهم، ولم يقل لا تثر فيكفينا كربلاء وما حصل لي بل جاهدهم لأن الجهاد ليس من شروطه أن يغلب المجاهدون بل تحمل مسؤولية وأداء فريضة وقيام بواجب بعده استراتيجي يتخطى الزمن والجغرافيا، وبقدر ما تجعل كثرة التضحيات الجسيمة والهزائم العسكرية المتكررة بسبب الخذلان مبرراً للكثير للتنصل عن المسؤولية والعدول عن الخيار الجهادي فإنها في الحقيقة تجعل المسؤولية أكبر والواجب أوجب والفريضة أهم وشراسة المواجهة مع الطغاة أشد ومن هنا كانت الوصية بمواصلة الجهاد.

الدلالة الرابعة: قيادة الأمة هي الفاعلة في الميدان والمهتمة بمستقبل الأمة

هناك من يقول أن الإمام زيداً عليه السلام ثار بالوكالة ونسجوا لذلك أخباراً واختلقوا قصصاً لا تمت إلى الصحة والحقيقة بصلة، فقالوا إن الإمام زيداً عليه السلام ثار بإذن ابن أخيه جعفر بن محمد ولو ظفر لوفى، وأن الإمام زيداً عليه السلام كان يُمثل الجناح العسكري لمن زعموا أنهم أئمة معصومون.

ووصية الإمام زيد عليه السلام لابنه يحيى تدحض ذلك فكيف يوصي الإمام زيد عليه السلام ابنه بمواصلة الجهاد وهو ليس من اختصاصه ولا من صلاحياته، والحقيقة هي أن من تراجع عن الجهاد مع الإمام زيد عليه السلام هم أول من تحجج بأن الإمام هو جعفر بن محمد والقصة معروفة، وهم من سماهم الإمام زيد عليه السلام بالرافضة وهناك الشواهد الكثيرة التي تدل على أن جعفر بن محمد هو من كان يعتقد إمامة عمه الإمام زيد عليه السلام وله مقولات تؤيد ذلك ليس هنا محل ذكرها.

الدلالة الخامسة: البصيرة ضمانتة الاستمرار في خط الجهاد

عندما أوصى الإمام زيد عليه السلام ابنه يحيى بمواصلة الجهاد من بعده، أرسى له قاعدة جهادية مهمة جاء نصها في الوصية (فوالله إنك لعلى الحق وهم على الباطل) فالأساس الذي يتحرك على أساسه البصيرة والرؤية الواضحة هو أنه على الحق وعدوه على الباطل فهذه هي القضية

عنده، وهي قاعدة مهمة حيث لا يمكن معها اليأس من الواقع ولا الإحباط من النتائج ولا القعود بسبب مرارة التجارب وكثرة التضحيات، بل إن الحق الذي ضحى من أجله الإمام زيد عليه السلام ما زال مستمراً لأن الباطل الذي واجهه ما زال مستمراً وبالتالي فالتكليف ما زال مستمراً ومن هنا يجب أن يستمر الجهاد كضرورة واستراتيجية جيلاً بعد جيل حتى يوم القيامة.

لقد كان الإمام زيد عليه السلام يهتم كثيراً بموضوع البصيرة وكان يحذر حتى وهو في بدايات المعركة من الشك لخطورة آثاره فيقول: عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة .. البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضالتها كمن قتل نفساً بغير حق.

عباد الله البصيرة .. البصيرة.

قال أبو الجارود فقلت له: يا ابن رسول الله يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟! قال: نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون، فأولئك مني وأنا منهم.

ومن ثبت من المستبصرين معه دعا لهم عليه السلام وقال:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُقَاتِلُونَ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّ رَسُولِكَ وَدِينِكَ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِعِبَادِكَ، فَأَجْزِهِمْ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَالَ:

أَحْيُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّهَجُّدِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَا أَعْلَمُ وَاللَّهُ أَنَّهُ مَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عِصَابَةٌ أَنْصَحَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ.

الدلالة السادسة: المصير الأخروي هو معيار النتائج

يقول الإمام زيد عليه السلام في آخر وصيته لابنه يحيى: (وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار) لأن الكثير ممن يتراجع هو بسبب الواقع ونتائجه والجهاد لا يعتمد على معيار النتائج الدنيوية من نصر وتمكين وغلبة بقدر ما يعتمد على معيار المصير الأخروي مهما كانت النتائج.

فالإمام زيد عليه السلام يُدرك وضعية الأمة وما يمكن أن تؤول إليه الأحداث مع ابنه يحيى ولكنه يرسى معادلة قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، وهي دحض لكل أصحاب الرؤى المغايرة لخط الجهاد بحجة أن لا جدوى من التضحيات، ولا فائدة من تكرار المآسي والفواجع والحقيقة أن قعودهم هم هو ما يساهم في ذلك وليس السبب الجهاد بل هو التخاذل وقلة الوعي، فلو تحرك كل من منطلق مسؤوليته ومن حساب المصير الأخروي لتهاوى الطغيان وظهر أهل الحق.

ولذلك فالوعي بالمصير الأخروي لا يجعل أهمية كبيرة للمصير الدنيوي من ترك الحياة الدنيا بالشهادة في سبيل الله وليس الاستمرار في خط المواجهة رغم الظروف القاسية والنتائج المتوقعة يأساً ولا انتحاراً بل طلباً للحياة الكريمة وإذا لم تكن في الدنيا فلتكن في الآخرة بحياة

الشهداء ومن بعدها بالجنة ويوضح الإمام زيد عليه السلام ذلك أكثر بقوله:
(فإن نَظَهَرَ فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه
من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأى هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا
يرهب المسلم) ويقول: (وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أمورنا، والجهاد
في سبيل خالقنا، وشريعة نبينا صلى الله عليه وآله، صابرين على الحق، لا نجزع من
نائة مَنْ ظَلَمْنَا، ولا نَرَهَبُ الموتَ إذا سَلِمَ لنا دِينُنَا).

ونظرة الإمام زيد عليه السلام إلى الشهادة نظرة قرآنية بأنها رزق تستحق
حمد الله عليها فقد قال بعد أن أصابه السهم: (الشهادة... الشهادة،
الحمد لله الذي رزقنيها).

كما أن أشعاره التي كان ينشدها تتحدث عن هذه الروحانية المستميتة
التي لا يمكن أن تضعف أو تنهار فيقول:

أذُلُّ الحَيَاةِ وَعِزُّ المَـمَاتِ وكل أراه طــــعاماً وبيلاً
فإن كان لآبـد مــــن واحد فســــيرٌ إلى الموت ســــيراً جميلاً

ويقول:

إن المحكم مالم يرتقب حسداً
لو يهرب السيف أو وخز القناة صفا
من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجباً
موتاً على عجل أو عاش فانتصفا

ويتمثل بهذه الأبيات:

ومن يطلب المال المنع بالقنا يعيش ماجداً أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حميماً تجتنبك المظالم
وكنت إذا قـوم غزوني فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

خلاصة

يجدر بنا دراسة فكر وثورة وسيرة الإمام زيد عليه السلام بكل تفاصيلها وجزئياتها لنستفيد من كل ذلك في واقعنا، ولنعرف أن الانتقام الأموي الوحشي من جثة الإمام زيد عليه السلام ومن أصحابه وأهل بيته إنما هو بسبب فتح باب الثورة من جديد وما كانوا يخافونه من امتداداتها وارتداداتها والتي تمثلت في الثورات المتلاحقة بعده وما نتج عن ذلك من إقامة دول حق وتصحيح للفكر الإسلامي وما تمثل في تاريخ شعبنا اليمن حتى عُرف بمقبرة الغزاة وما زالت تتمثل إلى اليوم في صمود شعبنا اليمني أمام العدوان السعودي الأمريكي.

والله من وراء القصد

عندما تثور الكلمات

قراءة أولية في شعر الإمام زيد بن علي (ع)

حمدي الرازحي

اللغة كأداة تخاطب وتفاهم قادرة - أكثر من غيرها - على حمل الأحاسيس والمشاعر من المتكلم إلى المتلقي مما يجعل عملية التواصل أكثر سهولة ويسراً وبشكل يتيح للغة إمكانية إفراغ حمولاتها الدلالية ونقل المعارف والخبرات من شخص إلى آخر مما يضمن لتلك الرؤى والأفكار الاستمرارية والانتشار والقدرة على التأثير في جموع المخاطبين والمتلقين دون الحاجة إلى الاتصال المباشر بصاحب النص أو الرسالة التي تتضمنها المقولة اللغوية.

ومن خلال اللغة انتقلت مقولات البشر ومضامين الرسائل السماوية منذ آحاد طويلة كما ترجم الإنسان تجاربه الخاصة مع مفردات الوجود من حوله عبر رمزية الحرف ودلالة الكلمة إلى محمول دلالي يتعالى على عوامل الطمس والاندثار ويتجدد بتجدد الزمن ذاته ، وهذا ما منح تلك المقولات المكتوبة صفة الخلود في عوالم البشر .

والكلام بقسميه المنثور والمنظوم قادر على حمل تلك الشحنات الدلالية وتبليغها إلى جمهور المتلقين بكل سهولة ويسر إلا أن الشعر بما يكتنزه من

مؤثرات إيقاعية وتناغم موسيقي أبلغ تأثيراً وأكثر انتشاراً لميل القلوب إلى حفظه وترتيله واستحسان سماعه ولما يتصف به من جزالة واختصار وإيقاع فريد ، وهذا على العكس تماماً من الكلام المنشور حيث يتعرض للنسيان والاضمحلال وتتضاءل قدرته على التأثير كلما تقادم عليه الزمن. ومن هنا دونت العرب أخبارها وأحداث أيامها المشهورة شعراً حتى تضمن لها الصيرورة والتأثير.

وإذا ما توجهنا إلى رحاب المقاومة والثورة عبر امتداد التاريخ الإسلامي فإننا نجد الحضور الفاعل للمقطوعات الشعرية ذات الأبعاد الثورية والدلالات الإيحائية الموغلة في أعماق الثورة والتغيير والمقاومة كمفاهيم متجذرة في الوجدان الجمعي يتم تبليغها وترحيلها عبر فتنة الكلمة وسحر الإيقاع إلى جموع الأجيال المتعاقبة فمن حسان بن ثابت شاعر الإسلام الأول الذي صنع بإبداعاته وروائعه أنشودة المقاومة والتغيير حيث قال مدافعاً عن الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ومهاجماً أبا سفيان بن الحارث:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقيام

إلى جعفر بن أبي طالب الملقب بذئ الجناحين الذي ضرب أروع صور المقاومة والصمود في يوم مؤتة حيث كانت شجاعته وإقدامه تتسابق مع إيقاعات كلماته الحماسية وهو يحرض أصحابه على الصبر والمقاومة والصمود حيث يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنى عذابها عليّ إذ لاقيتها ضرابها

وإذا ما تجاوزنا العصر الإسلامي إلى العصر الأموي وتحديدًا في الفترة الزمنية التي حكم فيها طاغية بني أمية هشام نلمس بوضوح ذلك التطور السريع في التوظيف الدلالي لمفردات الثورة في وجه الطغيان والمقاومة لعوامل الهدم الفتاكة التي تعرقل مسيرة الأمة الربانية الممتثلة لشرع خالقها تعالى..

والحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحد منافق تؤكد أن البداية الأولى للثورة والتغيير قد انطلقت منذ خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في دفاعه المستميت لرد معالم هذا الدين وإقامة الشريعة وحراسة دولة القرآن ومقاومة عوامل الانحراف التي تجرف الأمة إلى مستنقع التيه والضياع، ليأتي بعد شهيد كربلاء الحسين بن علي عليه السلام والذي سطر بدمائه الزكية شعار الثورة ضد الطغيان وخط على جبين التاريخ دستور الثائرين وهذا ما استقرأه الإمام زيد بن علي حليف القرآن من رمال كربلاء ومأساتها الإنسانية لينهض من أجل تحقيق المثل الإسلامية وترسيخ قيم العدالة والمساواة بين الناس وتحقيق أرقى ما يمكن أن يتسامى ويسعد في ظلالة الإنسان فرداً كان أو جماعة.

تلك كانت الأهداف السامية لثورة حليف القرآن الإمام زيد عليه السلام

والتي ترجمها إلى واقع عملي تجسد في سيرته الشريفة وأخلاقه الفاضلة وقد عبر عنها شعراً وصاغ منها دستوراً لكل تائر حر أبي بقوله:

حَكْمُ الْكِتَابِ وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ فَرَضًا جِهَادَ الْجَائِرِ الْخَوَّانِ
فَالْمُسْرِعُونَ إِلَى فَرَائِضِ رَبِّهِمْ بَرَوًا مِنْ الْأَثَامِ وَالْعِدْوَانِ
وَالْكَافِرُونَ بِفَرَضِهِ وَبِحُكْمِهِ كَالسَّاجِدِينَ لِصُورَةِ الْأَوْثَانِ
كَيْفَ النَّجَاةِ لِأُمَّةٍ قَدْ بَدَّلَتْ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ

ومن خلال استنطاق المضامين الدلالية من مفردات النص السابق تدرك أن الإمام زيد بن علي عليه السلام كان يهدف إلى توضيح المنهجية التي استمد منها شرعية ثورته وأهدافها والتي تتمثل في تفعيل دور القرآن الكريم وتحقيق وجوده بشكل عملي ينطلق من قناعة راسخة وإيمان عميق ولا يخفى على المتأمل أن المقطوعة الشعرية السابقة قد تضمنت إحياءات فريدة حددت من خلالها المعالم الرئيسية لخط الثورة والجهاد من جهة والخط المقابل له المتمثل في خط الاستكبار والظلم والعدوان، فخط الجهاد والثورة يستمد وجوده وفاعليته من حركية الخطاب القرآني المنظم لسلوكيات الأفراد والجماعات والرافض للظلم والبغي والعدوان، بينما تستمد قوى الطغيان سكونيتها وانهزاميتها من واقع الانحراف من خط القرآن الكريم ومنهجيته الرائدة وهذا ما توحى به المضامين الدلالية للمقطوعة الشعرية التي ترجم الإمام زيد بن علي عليه السلام بها مشروعه

الثوري القائم على منهجية القرآن الكريم باعتباره المعيار الوحيد للتمييز بين أهل الحق وأهل البغي والباطل حيث يقول :

متى ما ذهبنا نترك القول بالهدى و نترك حقاً قد علمناه مُحْكَمًا
أسأنا ولم نُحَسِّن وكنا كمن طغى و حَدَادَ عن التقوى وَأَغْفَلَ مُبْرَمًا

وقد انعكست ملامح ثورته الإنسانية على كل تصرفاته وسلوكه وهل كانت الثورة أصلاً سوى استجابة لمطالب تلك الذهنية العلوية الفريدة التي آمنت بالإنسان شريكاً في الوجود ينبغي حمايته وحياطته والدفاع عنه والرفق به، وهذه القيم الإنسانية الرفيعة هي ما تعلمها حليف القرآن في مدرسة بيت النبوة وحمل السيف من أجل الدفاع عنها وفق ضوابط القرآن ومنهجية الإسلام الرائدة.

ولهذا فلا عجب أن نراه يسخر ممن يزعم أنه لا يؤدي فريضة الزكاة في ماله وكأنه لا يعلم أن زيداً ينفق ماله في البر والمعروف وصلة المحتاجين والضعفاء حيث يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يقولون: زيدٌ لا يزكي بماله وكيف يزكي المال من هو باذله؟
إذا حال حول لم يك في ديارنا من المال إلا رَسْمُهُ وفَوَاضُلُهُ

إن الغيرة على محارم الله أن تنتهك وعلى شرائعه أن تستحل أو تعطل كان دافعاً قوياً للإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى إعلان الجهاد والثورة ضد ذلك الانحراف الخطير الذي يتهدد كيان الأمة الإسلامية ورسالتها السماوية

وخصوصاً بعد هيمنة روح الانهزامية على عقليات المجتمع الإسلامي في تلك الفترة وانتشار الخوف من جور السلطان الأموي المتجسد في شخصية هشام الطاغية حتى استحالت الحياة إلى مستنقع من الذل والهوان يترفع عن ارتياده الشرفاء وأصحاب النفوس الرفيعة كما أن الموت في تلك الفترة قد تحول إلى منقذ ومخلص يكفي الإنسان شرور الحياة وامتهانها.

ولكن لا هذا ولا ذاك كان يدور في خلد الإمام زيد فلا هو ممن يرتضي الضيم والقهر ويستسيغ الهوان ولا هو ممن يتمنى الموت ليخلصه من تلك الحياة، فهذا جهد العاجز الذليل ولكنه كان رجل المواقف الذي اتخذ من حركية القرآن منهجية تنير دربه، فانطلق في ميادين الكفاح أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، داعياً إلى مقاومة الظلم والطغيان لتكون الشهادة غاية يتمناها ويسعى إلى تحقيقها، لهذا تراه يترنم بهذه المقطوعة وهو يقرأ صفحات الواقع المأزوم التي تعيشه الأمة:

أذَلَّ الحَيَاةِ وَعِزُّ المَمَاتِ وَكُلُّ أَرَاهِ طَعَاماً وَبَيْلاً
فإن كان لابد من واحد فسير إلى الموت سيرا جميلا

وقد استطاع الإمام زيد عليه السلام أن يغرس روح الثورة والمقاومة والجهاد في نفوس أتباعه وبنيه وأن يصنع من دمائه دستوراً ثورياً لكل حر أبي غيور على دينه وأمته، ولهذا كانت كلماته الأخيرة وهو وجود بنفسه بمثابة

القانون التربوي الذي يرسم ملامح الطريق لكل عابر في طريق الحرية

والكرامة، حيث خاطب ابنه قائلاً:

أَبْنِيَّ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَلَا تُكُنْ دَنِسَ الْفَعَالِ مُبَيِّضَ الْأَثْوَابِ

وَاحْذَرِ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّمَا شَيْنُ الْكَرِيمِ فُسُؤَلَةُ الْأَصْحَابِ

وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ وَخَبَرْتُ مَا وَصَلُوا مِنْ الْأَسْبَابِ

فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تَقْرُبُ قَاطِعاً وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

وهكذا رحل الإمام زيد حليف القرآن إلى عوالم الخلد ولكنه سيظل

حياً نائراً في وجدان كل أحرار العالم على اختلاف أشكالهم وهوياتهم

ولم لا؟! والعالم أجمع يتنفس عبير جسده الثائر الطاهر فتتغرس بذور

الحرية والمقاومة والصمود في كل عقل وتنمو تلك الذرات التي حملتها

الرياح وابتلعها المياه من جديد، كخلايا حيوية لا تقبل بالموت ولا ترضى

الخمول والانهازمية والخضوع لسلطين الجور والطغيان..

فسلام على الإمام زيد في الخالدين المجاهدين. وسلام عليه في

الصديقين والشهداء.

وسلام عليه حياً عند ربه.. فلقد أحيأ بدمه الزاكي الطريق الطويل

لحراس مبادئ الإسلام ومثله العليا..

مقومات الوحدة الإسلامية

عند الإمام زيد

أ. محمد العفيف

تمهيد:

أساس الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم

مصطلحات وحدوية وخطابات الجَمْع والجماعة

لطالما عبّر القرآن الكريم عن أهمية الوحدة الإسلامية باعتبارها قضية مصيرية يتركز الإسلام عليها وذلك بالعديد من المصطلحات الوحدوية من ناحية، وبتوجيه الخطابات الهامة والتعاليم الرئيسية العامة عن الدين الإسلامي بألفاظ الجَمْع والجماعة من ناحية أخرى.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: يشير القرآن الكريم مؤكداً على واحديّة أمتنا الإسلامية ووحدها بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢] حيث جعل مصطلح (الأُمَّة) عنواناً لجماعة المسلمين تنطوي تحته وتسمى باسمه شريطة أن يكونوا -أي المسلمين- مجتمعين جماعة واحدة تذوب أفرادهم فيها حتى يصلوا إلى درجة أن يُبرهن عنهم بهذا المصطلح الجَمعي الجماعي الذي لا واحد له من لفظة (أُمَّة)!!

ومن ناحية أخرى فإن هذا المصطلح لا يستقبح ولا يكون له معنى إلا بإضافته إلى الجماعة (أمتكم) في دلالة واضحة على أن حال واحديّة هذه الأمة ليس إلا بالجماعة (أمةً واحدةً) وذلك هو سرّ قوتها وتمييزها وتفردها!

ولزيد من التأكيد على ذلك نتأمل الجمع بين المصطلح الوجدوي (أمة) وبين مخاطبة أفراد هذا المصطلح باعتبارهم جماعة لا أفراداً، وذلك أثناء الإشارة إلى بيان سرّ تميزهم وتمكنهم في قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] حيث جمع بين مصطلح (الأمة) وبين مخاطبة جماعة هذه الأمة المعبر عنها بميم الجمع في (كنتم) وبواو الجماعة في (تأمرون، تنهون، تؤمنون) وهذا الخطاب في أوضح بيان على أن هذه الأمة لن تكون خير أمة إلا إذا كانت مجتمعة بواو الجماعة لتأمر وتنهي وتؤمن وإلا فلا سبيل لها إلى تلك الخيريّة من التميّز.

أضف إلى ذلك أن التشريعات التي شرعها الله لهذه الأمة لم تصل إليها إلا بالخطاب الجماعي وبالألفاظ الجماعة ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وهكذا إلى درجة أنه لا سبيل إلى نجاة هذه الأمة إلا باعتصامها مجتمعةً من ناحية، وباجتماعها معتصمةً بحبل الله وعدم تفرقها من ناحية أخرى كما أوضحه قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

وعليه .. فإن خاصة ما ذكرناه آنفاً أن ديننا الإسلامي ما شرعه الله تعالى لنا إلا ديناً جماعياً وحدوياً لا يقوم إلا بالجماعة الموحدة والمجتمع الواحد المعبر عنه بالمصطلح الوحدوي الواحدي (أمة) ومن ثم فالوحدة الإسلامية واجب شرعي وضرورة ملحة لهذه الأمة..

وهذا هو عين ما وعاه مولانا الإمام زيد بن علي عليه السلام حق الوعي فسعى نحو تحقيقه..

مفهوم الوحدة الإسلامية عند الإمام زيد:

لقد تجسّد مفهوم الوحدة الإسلامية لدى الإمام زيد عليه السلام من خلال فهمه للمصطلح القرآني الوحدويّ (أمة) حيث كان يتكرر هذا المصطلح على لسانه عليه السلام باستمرار باعتباره مصطلحاً قرآنياً بدرجة أساسية أمعن الإمام النظر والتأمل فيه أثناء تأمله للقرآن الكريم طيلة ثلاث عشرة سنة حتى سمي حليف القرآن!

وبما أن القرآن الكريم قد عبّر عن الوحدة الإسلامية بذلك المصطلح الجَمعي الجماعي والوحدوي الواحدي (أمة) فلا غرابة أن يحمل حليف القرآن عليه السلام ذلك المصطلح على عاتقه ويسعى نحو تحقيقه، ومن ثم كان يتكرر على لسانه باستمرار حتى كاد كل حديث له لا يخلو منه باعتباره جوهر الوحدة الإسلامية التي افتقدها المسلمون آنذاك (والله لو وددت أن يدي مصلقة بالثرية فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وأن الله يصلح (أمة) محمد صلى الله عليه وآله !!

أهم عوامل سعي الإمام زيد نحو تحقيق الوحدة الإسلامية

مآسي ماضية دامية قبل ميلاده الشريف:

لعل فاجعة كربلاء الدامية في العام الحادي والستين للهجرة، وتفصيل خروج الإمام الحسين عليه السلام حتى استشهاده والتمثيل بجسده الشريف، وما تبع ذلك من مآسٍ بأهل البيت عليهم السلام ولعل الوحدة الإسلامية التي كان ينشد تحقيقها الإمام الحسين عليه السلام وذلك بالإصلاح في الأمة الإسلامية الذي بدأ بخروجه إلى الثورة معلناً: (والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولكن خرجت للإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله) فحال دون ذلك بنو أمية ففعلوا ما فعلوا به عليه السلام وبأهل بيته في كربلاء من جرائم وحشية خلدها التاريخ معتقدين أنهم بذلك قد طمروا ثورته ودفنوها بتراب كربلاء..

ولعل ما أصاب المسلمين بعد تلك الواقعة الرهيبة من الخوف والهلع، وكيف تفرق الناس بكل شرائحهم عن الحق وأهله إلا ما ندر خاصة بعد أن ساستهم بنو أمية بالحديد والنار وبقاعدة (فرق تَسُدْ)، فسادتهم مفرقين يعيشون الشتات والتمزق والضعف بكل أشكاله وصوره.

لعل كل ذلك الماضي المأساوي السابق لميلاد الإمام زيد عليه السلام بسنين

معدودة لا تتعدى الرابعة عشرة قد نقل صداه المُدَوِّي إلى الإمام عليه السلام منذ ميلاده ومراحل سني عمره الأولى أثناء سماعه أولاً من والده الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام الذي عاش جميع ذلك الماضي بجمع مآسيه وأحزانه كان له أبلغ الأثر في نفس الإمام زيد عليه السلام فقرر أن يعيد الكرّة التي بدأها جده الإمام الحسين عليه السلام لإصلاح أمة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم !!

ظروف نشأته عليه السلام:

كان لنشأة الإمام زيد عليه السلام في بيت النبوة ومعدن الرسالة منحدرًا من السلالة المصطفوية لوراثة القرآن الكريم الدور الأساس في تربيته عليه السلام باعتباره عنوان الطهارة والإيمان وقبلة العلم والعبادة عن المجتمع الذي تلوّخ بالدنس الأموي من جميع جوانبه ونواحيه ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:-

• من الناحية السياسية:

عاصر الإمام زيد عليه السلام بطهره ونقائه أرذال الحكم الأموي كالوليد بن عبد الملك المعروف بالترف وسفك الدماء وخبث الولاية ثم سليمان بن عبد الملك المعروف بالخليفة الأحول حين انصرف إلى الأكل والترف وتوزيع الطعام حتى قتله الشره، ثم يزيد بن عبد الملك الذي قضى أوقاته في اللهو والمجون وكانت له معشوقة اسمها (حُبَابَة) رماها بحبة

عنب فوقعت في حلقتها فشرقت بها وماتت، فحزن عليها حزناً شديداً وترك جسدها في القصر حتى أنتن، ثم أصيب بعدها بالسل حتى هلك، فخلف من بعده هشام بن عبد الملك الطاغية الغشوم الذي عرف بالفظاظة والغلظة والبخل المفرط والحسد لكل شريف وتبعيته لمستشاره اليهودي حتى بلغ به الكبر والغرور أن يقول: والله لا يقول لي أحد اتق الله إلا ضربت عنقه!!

• من الناحية الاجتماعية:-

أدى فساد الحكم الأموي إلى انهيار القيم والأخلاق وتعظيم السفهاء وتحقير الفضلاء وانتشار المظالم والمفاسد والرذائل حتى كادت معالم المجتمع الإسلامي أن تنطمس.

• من الناحية الدينية والفكرية:-

يعتبر العصر الأموي عصر الفرق الدينية المتناحرة والحركات الفكرية المضادة للفكر الإسلامي النقي كالقدرية والمجبرة والخوارج وغيرها مما أنشأه حكام بني أمية بقصد سلخ الناس عن عقائدهم وفكرهم ودينهم الإسلامي النقي واستبداله بما يوافق أهواءهم ويخدم سلطانهم عن طريق وضع الأحاديث وتزييف العقائد وتحريف الدين الحنيف مما حدى بالإمام عليه السلام إلى قرار لم الصف.

• شخصية الإمام زيد عليه السالم:-

تعتبر شخصية حليف القرآن عليه السلام شخصية رسالية وفترة زمانية مما لا يمكن تكررها حيث جمعت شخصيته عليه السلام بين شجاعة علي عليه السلام وبصيرة الحسن وإباء الحسين وعبادة زين العابدين وعلم الباقر، اكتنفته مكارم الأخلاق من كل جانب، فنشأ في بيت الكمال تغذوه أعلى مراتب الإنسانية وترعرع في أحضان الفضيلة النبوية وتقلب في وهج مصابيح العلوم المحمدية وأنوار الحكمة العلوية حتى صُقلت شخصيته بملامح جده الرسول وأبيه الإمام فمزج بذلك بين الرسالة والإمامة فأصبح في امتياز: الإمام الرسالي!! كيف لا؟! وهو لم يحمل هم نفسه قط بل حمل هم الأمة الإسلامية جمعاء فذاب في إخلاصه وتفانيه لجمع كلمتها وإصلاحها وتوحيدها ورفع الظلم عن كاهلها وإن ضحى في سبيل ذلك بنفسه وبذل مهجته، وهذا هو عين ما عبرَ هو عنه بأبلغ تعبير وأفصح بيان حين قال لمسلم بن بابك في منتصف الليل وقد استوى الثريا: (يا بابكي أما ترى هذه الثريا؟ أترى أحداً يناها؟! قال: لا. فقال عليه السلام والله لوددت أني يدي ملصقة بالثريا فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطع قطعة قطعة وأن الله يصلح بين أمة محمد صلى الله عليه وآله) فكان لهذه الطاقة الفدائية أثرها لتوجيه الإمام عليه السلام بعد تكامل شخصيته -نحو إصلاح أمة جده صلى الله عليه وآله ولملمة صفها وتوحيدها..

• أهم مقومات الوحدة الإسلامية لدى الإمام زيد عليه السلام التي سعى لإرسائها:-

حين توافرت للإمام عليه السلام ما سبق من عوامل قلما يمكن توافرها لغيره، وحين قرر السعي نحو تحقيق الوحدة للأمة جده عليه السلام امتداداً لما بدأه أبوه الحسين عليه السلام كان لا بد أن يقوم بحزمة من الإصلاحات الجوهرية ما كان لتحقيق الوحدة الإسلامية أن يتم دون إجرائها باعتبارها المقومات الإصلاحية من وجهة نظرنا ما يلي:-

أولاً: الإصلاح السياسي:-

لما عاث ولات حكام بني أمية وكان حال تلك الشجرة الخبيثة ما كان من مظاهر الفساد والإفساد أثناء توليهم رقاب المسلمين وأموالهم وأعراضهم دون أن يراعوا أيأ من الحرمات، بل وأعلنوا العدا والبغض لرسول الله عليه السلام، وفرغوا أحقادهم تلك في أهل بيته وذريته قتلاً وتنكيلاً وتشريداً وتشويهاً، فسخروا إعلامهم الرسمي للنيل من رسول الله عليه السلام وسب أهل بيته عليه السلام وتشويه صورهم بين الناس وتثبيط الناس عن اتباعهم أو الانتماء إليهم، وبثوا الجواسيس هنا وهناك لمطاردتهم تحت كل حجر ومدبر!! حتى قتلوا الناس على التهمة والظنّة!!

وسخروا لكل ذلك الكثير من العلماء والخطباء والمفتين والمحدثين فاشتروا ذمهم ليزينوا للناس فيقلبوا الحق باطلاً والباطل حقاً!! بل

وجيَّشوا لذلك الجيوش من السفهاء والحسدة والمنافقين والطامعين فنهبوا الأموال والثروات، وحكموا الناس بالحديد والنار، قاموا بترويج الشائعات والأراجيف ونشر فتاوى التكفير حتى أصبحوا هم أهل الحق والإيمان وأصبحت القلة القليلة من العصبة المؤمنة من أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم هم أهل الباطل والكفر والخارجين على ولي أمر المسلمين!! وأنهم مجرد عصابات خرجت على دولة الإسلام ويجب القضاء عليها واستئصال شأفتها حتى يسلم المسلمون من شرهم!! فإذا ما تم القبض على أحد منهم أو مجموعة منهم وتم قتلهم أو ذبحهم والتمثيل بهم أبشع تمثيل!! أو حبسهم وتعذيبهم في السجون والتنكيل بهم أشد التنكيل!! بل ونهب أموالهم وتخريب بيوتهم واستباحة حرماهم إذا ما تم ذلك وجدوا التأييد المطلق من مجتمعاتهم!!

أمام كل ذلك لم يجد الإمام زيد عليه السلام بداً من وجوب إصلاح ذلك الواقع السياسي المشين ورسم المعالم السياسية البديلة وفق الرؤى الوجدانية الثاقبة التي وضعها كمبادئ دستورية لولاية أمر الدولة الموحدة القادمة ومن أهم تلك المعالم والمبادئ الدستورية السياسية ما يلي:-

١- مبدأ الخروج:-

كل علوي فاطمي شجاع عالم زاهد سخي خرج تائراً على الظلم يكون إماماً ومهدياً، وليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخ ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من جاهد في سبيل الله حق جهاده ودافع عن رعيته.

كما حق علينا أهل البيت إذا قام الرجل منا يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله وجاهد على ذلك فاستشهد ومضى أن يقوم آخر يتلوه يدعو إلى ما دعا إليه حجة الله عزوجل على أهل كل زمان إلى أن تنقضي الدنيا، ذلك أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ما دام لا يمكن دفع المنكر بإقامة الحق لا يكون إلا بذلك.

٢- مبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل:-

إذا كانت مصلحة الأمة أن يكون القائم بولايتها ممن عرفوه باللين والمودة والفضل وغير ذلك من الشروط السالف ذكرها وهناك من هو أفضل منه لكن السابق كان للمفضول جاز تولي هذا المفضول مع قيام الأفضل لكن على المفضول أن يرجع إلى الأفضل في أحكامه وقراراته المصيرية ويحكم بحكمه فيها.

٣- جواز خروج إمامين في قطرين متباعدين تجمعهما شروط الإمامة:-

أجاز الإمام زيد عليه السلام خروج إمامين في قطرين يتعذر وصول دعوة الإمام الأول إلى القطر الثاني، على أن يستجمع كل منهما شروط الإمامة حتى إذا انتصرت الدعوة واتسعت الرقعة حتى تقارب القطران فإن الأمر يكون حينها لأسبقهما إلى الدعوة فإن لم يعرف أسبقهما كان الأمر لأكفهما.

وكان يهدف الإمام عليه السلام من هذا المبدأ أن تتعدد الثورات في البلدان وأن تتباعد حتى تعجز السلطات الغاشمة القائمة عن مواجهتها معاً وذلك أدعى إلى انتصاراتها.

ثانياً: الإصلاح الديني والعقائدي:

أخذ الإمام زيد عليه السلام - وهو حليف القرآن وربيب السنة المطهرة- على عاتقه الذبّ عن أصالة هذا الدين الحنيف وحمايته من التحريف فبدأ بتفسير غريب القرآن -وهو أول تفسير في الإسلام- حتى لا تشوه معاني القرآن خبائب بني أمية، ثم جند نفسه للدفاع عن حياض السنة النبوية عن طريق جمع وتمييز ما هو صحيح وما هو موضوع خاصة في مواجهة دولة بني أمية التي كانت تحاول أن تهدم أحكام الشريعة بمعول إحدى يديها وباليد الأخرى تستخدم المأجورين وعلماء السلطة ومحدثي البلاط لعشر الأكاذيب والأباطيل بين ثنايا الحقائق من جهة، ونقل الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية من مصادر كعب الأخبار وأمثاله من جهة أخرى. حتى اختلطت الأحاديث الصحيحة بالموضوعية!! فبرزت الأحاديث الموضوعية وانتشرت على أنها هي السنة بينما خفت وصُور ما ظهر منها على أنها بدعة!!

فكادت السنة أن تفقد دورها وماكنتها لولا جهود الإمام زيد عليه السلام في الذب عن سنة جده صلى الله عليه وآله وما وضعه من ضوابط علمية تكشف صحيح الأحاديث من موضوعها، ومن ذلك مقارنتها بالنص القرآني وعرضها على معانيه عملاً بالقاعدة التي أسسها جده المصطفى صلى الله عليه وآله حين قال: (اعرضوا الحديث إذا سمعتموه على القرآن فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله وأنا بريء منه) بل إن الإمام

زيداً عليه السلام كان في سبيل ذلك يقف متحدياً يصول ويجول منادياً: (والله لا تأتونني بحديث تصدقون فيه إلا أتيتكم به من كتاب الله).

فكان نتاج ذلك كله أن قام بتصحيح الكثير من المفاهيم الدينية المغلوطة التي انتشرت آنذاك بين الناس وكان مصدرها القصر الأموي!!

ومن تلك المفاهيم المغلوطة على سبيل المثال لا الحصر:

- تحريف حقيقة الإيمان واعتباره مجرد قول باللسان للاعتراف بالدين فقط لا يضر معه أية معصية أو كبيرة من الكبائر!!

- تحريف معاني القضاء والقدر لأسباب كثيرة أهمها: أن حكم بني أمية باستبداده وظلمه وفساده قضاء وقدر فرضه الله وقدره على الناس، فيجب الرضى به خيره وشره!!

فالقدر هو الذي منح بني أمية السلطة! والقدر هو الذي أغرقهم في فسادهم ومعاصيهم!!

والقدر هو الذي قتل الأبرياء وسلب أموالهم! والقدر هو الذي شرّد أهل البيت عليهم السلام وقتل أئمتهم وشيعتهم، وعاث في الأرض والفساد، ونشر المعاصي والمحرمات وحمل الذنوب على الله!

والقدر هو من جعل الكثرة على الحق والقلة على الباطل!! والقدر هو من أسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!! وأوجب السمع والطاعة لولي الأمر وإن سلب مالك وجلد ظهرك وأخرب بيتك ما لم يظهر كفراً بواحاً لأنه صنيع القدر!! فأين المفر؟!!!

هذه المفاهيم المغلوطة وغيرها الكثير والكثير استشرت في أوساط الأمة الإسلامية ومجتمعاتها بعد أن روجها إعلام السلطة الأموية وعملاؤها فضضعت لها عقول الناس ورقابهم حتى أصبحت من المسلمات!!

ثالثاً: إصلاح علماء الأمة:-

قرر الإمام عليه السلام إحياء دور العلماء وواجباتهم تجاه أمتهم وأوضح ذلك بقوله لهم: (إنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين!!).

ومن قبس تلك الرسالة العظيمة قوله عليه السلام لعلماء الأمة: (فאלله الله يا عباد الله.. أجيئوا إلى كتاب الله وسارعوا إليه، واتخذوه حكماً فيما شجر بينكم، وعدلاً فيما فيه اختلافنا، وإماماً فيما فيه تنازعنا، فإننا به راضون، وإليه منتهون، ولما فيه مسلمون لنا وعلينا، ولا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا إلا سلطانه ولا نلتمس بذلك أثرة على مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا عبد..) إلى أن قال: (عباد الله.. فأجيئونا إجابة حسنة تكن لكم البشرى بقول الله عزوجل في كتابه: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرُّم: ١٨] ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣] عباد الله .. فأعينونا على من استعبد أمتنا، وأخرب أمانتنا، وعطل كتابنا وتشرف بفضل شرفنا، وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديننا.. تعاونوا وانصروا

الحق بقول الله عزوجل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] ويقول الله عزوجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

تلكم كانت حزمة أهم الإصلاحات التي تعد أهم مقومات الوحدة الإسلامية التي ما كان لها أن تقوم لولاها، أرساها الإمام زيد عليه السلام بعظمته الخالدة ورواها بدمه الزاكي وأذكاها بثورته الرائدة، ولنا نحن الزيدية -الشرف والعزة والكرامة - إذ ننتمي إلى مولانا الإمام زيد ومنتسب إليه ونسمى باسمه!!.

فالإمام زيد ثورة بكل ما تعنيه الكلمة:

ثورة جهادية ضد الطغاة والمستبدين والظالمين؟!!

ثورة علمية ضد التخلف والجهل البسيط والجهل المركب!!

ثورة فكرية ضد العقائد الفاسدة الدخيلة على المسلمين!!

و ضد العقائد الزائفة صنيعة القصور و بلاط السلاطين!!

كل ذلك وأكثر عنوان الوحدة الإسلامية في أي زمان وأي مكان أسسها مولانا الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام.

ملاحم من ثورة الإمام زيد (ع) الفكرية

الأستاذ العلامة/ عبدالله الشاذلي

عضو الهيئة العليا لرابطة علماء اليمن

الحمد لله رب العالمين الذي فضل المجاهدين على القاعدين واصطفى من عباده المؤمنين أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وجعلهم هم المفلحون، وصلى الله وسلم على سيد الثائرين على الطاغوت والطاغين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين المجاهدين الباذلين نفوسهم ونفيسهم لله رب العالمين.

أما بعد ..

نعيش في كل عام ذكرى استشهاد أبي الحسين الإمام الأعظم زيد بن علي سيد الساجدين ابن الحسين شهيد كربلاء وكثيراً ما يقترب اسم الإمام زيد مع الجهاد عند سماعه ويقترب أيضاً بالتضحية والخروج على الحاكم الظالم.

وهذا المعنى يطرق من قبل الخطباء والمحاضرين في معظم المناسبات ولكن الإمام زيد بن علي عليه السلام قبل أن يخرج على بني أمية كان له عمل عظيم وكبير في ثورة سبقت ثورته العسكرية لا تقل أهمية عنها وهي

ثورته الفكرية والاجتماعية والتي لا زال المؤمنون والمفكرون والعقلاء يجنون ثمارها ويستظلون بظلالها إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقبل أن نستعرض جوانب هذه الثورة الفكرية العلمية المباركة لا بد أن نتعرض للهمجية التي قامت هذه الثورة المباركة ضدها وهذه الهمجية التي هي امتداد في الحقيقة للقرشية الجاهلية التي وقفت في وجه المصطفى ﷺ في أول رسالته بل بذلت ارواحا وأموالا وكل ما يمكن بذله من أجل الصد عن دعوته والحيلولة دون علو كلمة الله التي أبى الله إلا أن تلو ولو كره المشركون ولكن هذه المعارضة الشديدة والشيطانية ما لبثت أن انهارت في وجه قوة الصمود المحمدي والكفاح العلوي والإخلاص العظيم لكثير من أصحاب محمد ﷺ فاضطرت أن تتلبس بلباس الاستسلام وتظهر مظاهر الخضوع والانقياد متحينة الفرصة للوثوب على هذا الدين لتبديل معالمه وطمس آثاره والتنكيل بحملته وقد انتهت الفرصة بعد حين من غلبت الإسلام وقهره لهم وعلو كلمته على كلمتهم فانسلوا إلى الإسلام من خلال إظهار الرضاء بتعاليمه والاستسلام لقادته وكان أن تمكنوا بدخولهم هذا من الانقلاب الناعم على الإسلام وتعاليمه وأصبحت تلك الغلظة الفاسدة التي كانت وكان سلفها أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته وأقاربه ومناصريه وأعوانه ومتبعيه حقداً وكراهية وبغضاً أصبحت وبيدها إمرة المؤمنين وقيادة دولة المسلمين ومعهم من كان قد قهره الإسلام وكان خفي النفاق من الأعراب وجفاة

القبائل العربية وأصبحوا وبيديهم أموال المسلمين وسيوفهم يقضمون مال الله ويفسدون في الأرض فقلبوا الإسلام حتى أصبح كل طريد وبغيض للنبي وللإسلام قريبا حبيبا مهابا واصبح كل قريب للنبي وسابق في الإسلام بعيدا بغيضا لا يناله إلا القتل أو النفي او كسر الضلوع حتى قال قائل المؤمنين

يا ناعي الإسلام قم فأنعه قد غاب عرفٌ وبدا منكر
ما لقريش لا علاكعها من قدموا اليوم ومن أخروا

وما زالت الأحوال تزداد سوءا حتى تولى على الأمة ابن هند بنت عتبة أكلة كبد حمزة يوم أحد الذي لم يكتف بالوصول إلى السلطة بل قاد ثقافة مضادة لثقافة الإسلام تحت اسمه مستعملا لعناوينه العريضة فقابل كل جميل في الشريعة بقبيح من قبائح الجاهلية فجعل مكان تنزيه الله من أفعال العباد أن نسبها قبيحها وحسنها اليه تعالى الله عن افكهم إعادة لتلك الثقافة الجاهلية التي أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ وجعل مكان هدي الله عز وجل بالقرآن أحاديث اشتراها بالأموال ونسبها إلى سيد المرسلين، واستبدل بما خلفه النبي ﷺ فينا من كتاب الله وعترة رسول الله، تلك الأكاذيب التي اشتراها من المنافقين التي هي أشبه شيء بثقافة ودين أمه وأبيه، فحلت بالأمة الإسلامية المحن والفجائع، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ودس على الناس في دينهم ما قلب عقيدتهم في رب العالمين، فبدل

التنزيه بالتشبيه، والعدل بالجبر والتجوير، وأقيم مكان العدل والإنصاف الظلم والاعتساف، ومكان ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقافة الخنوع والخضوع والتسليم لأمر الحاكم الظالم، وجعل الوقوف في صفه سنة وجماعة، والمعارضة له ولو بكتاب الله بدعة وضلالة، وأكلت أموال المسلمين وأنفقت على الظلمة والفاجرين، وقتل أهل بيت رسول الله وأصحابه شر القتل، وغزيت مدينة الرسول ﷺ، وسييت بناته، ونكس الإسلام؛ فاصبح أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، وغيرت مفاهيم الإسلام الجميلة، فاستبدل العدل بالظلم والجور، والرحمة المحمدية بالقسوة والغلظة الجاهلية، وهون من شأن كلام النبي ﷺ ومن شأن ما أتى به بروايات كثيرة وعجيبة، فمرة يروون تمجيده للأصنام، ومرة يجعلون لعنه ﷺ لشخص رحمة من الله له، ومرة يتدخله الخاطيء في شؤونهم الزراعية، ثم اعتذاره بأنه لا يعرف، وغير ذلك الكثير مما هو معلوم عند من له أدنى اطلاع، وعمدوا إلى تعطيل العقل حياطة وحراسة لخرعبلاتهم ثم قالوا هذا شرع الله فلا يجوز لك أن تقيسه بعقلك، كل ذلك ليتقبل المسلم ما يأتون به من أمور يزعمون أنها شريعة وهي مناقضة للعقل، وانتشر في زمان بني أمية كل ما هو مخالف لروح الإسلام من ظلم القوي الضعيف، كما كان ذلك في الجاهلية، وانتشر الزنا، وشرب الخمر، والمغالات في شراء الجواري، والمجاهرة بتنقص النبي ﷺ؛ حتى أنه كان لبني أمية شخص ينشدهم في مجالسهم الأشعار

التي قيلت في زمن الجاهلية في هجاء النبي ﷺ.

أما أهل بيته فقد كان سبهم هو السائد في ذلك المجتمع بل جعله بنو أمية ديناً وسنة تقال في كل جمعة من على منابر بلاد الاسلام بكلها، وأقصى كل من كان من أهل الدين لا سيما إذا كان يحمل علماً إلا مجموعة من المرتزقة جعلوهم علماء لسلطتهم يفتون الناس بطاعة هؤلاء الظلمة الطواغيت، ويوجبون ذلك عليهم ويخبرونه أنه دين الله، ووضعوا لذلك روايات زعموها عن النبي ﷺ، بل وظفوا للرواية من أحبوا، ومنعوا عنها من شاءوا، ولو كان لديه علمها ومعرفتها، وتعداد أمورهم وفسادهم في الدين هو مما يحتاج لوقت طويل لعرضه.

ولا زالت الأمة تعاني ضرر ذلك الفساد إلى وقتنا هذا؛ لا سيما بعد وجود النفط الذي سخر لخدمة هذه الأفكار الأموية ونشرها وتحسينها بين الناس؛ مما جعل العالم بأكمله يعاني منها ويتبرأ منها؛ حتى من أسسها ودعمها يضطر في كثير من أحيانه للبراءة منها لبشاعتها، واستنكار كل ذي فطرة سليمة لها، ولقد حمل هذا الفكر كثيراً من الشباب على الوقوع في شرك الإلحاد بسبب الصورة التي رسمتها هذه الثقافة للإسلام في وسط هذه الظلمات المتراكمة، والجهالات المتتابعة، وبعد أن قُتل في يوم الطف آل رسول وأطفالهم وسُبيت نساؤهم وقتل كل من يعارض سبهم بل خشي الرجل أن يحدث عنهم أو يروي أي شيء عنهم ولو لم يكن له علاقة بفضلهم، وفي وقت وثق الأمويون ومن معهم أنهم ببطشهم وشدة

ظلمهم قد استطاعوا إخراس كل لسان ولم يعد أحد يتكلم بشيء من الدين إلا ما كانوا قد رضوه ديناً.

في وسط كل هذا نشأ الإمام زيد بن علي عليه السلام حليفاً للقرآن متأملاً آياته، منتزِعاً منه الأحكام التي أرادها الله عز وجل، فارتوى من معين كتاب الله، ونهل عن أبيه الصافي الصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ حتى قصده الطالبون للمعرفة، وأشارت إليه أيادي علماء وعظماء أهله، ورمقته أعينهم، وصرّحوا بأنه أعلمهم، وأفقههم، وأعرفهم بدين الله، فقصدته العلماء يلتمسون منه المعارف والعلوم، ونشر حججه ومعارفه بينهم بواسطة الرسائل والمكاتبات، وكان قوي الحجة، فصيح اللسان؛ يشبه في فصاحته وقوة حجته بجده علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان همه في ليله ونهاره وحله وأسفاره البيان للناس، وجعل القرآن الذي لم يتمكن الظالمون من تغييره أو تحريفه جعله الحجة الرئيسية له في كسر حجج المخالفين، ولم يفته وقت من الأوقات حتى الوقت الذي حبسه هشام في الشام استغله في كسر شبه علماء سوء؛ وناظرهم فحجهم بالقرآن حتى خشي منه هشام أن يصرف إليه أهل الشام، ولم يرضخ لما هو السائد في ذلك العصر من السكوت للظالمين، والرضاء بما يصدر عن علمائهم؛ بل كان يقارعهم بالحجج حتى في بلاط ملكهم، ووسط حاشيتهم، وكان يقول لبعض أصحابه: (أترى الثريا ما بعدها؟ قال: نعم، فقال: وددت أن يدي ملصقة بها فأهوي منها فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في

مكان سحيق وأن في ذلك صلاح أمة جدي).

ومن ثمار ثورة الإمام زيد عليه السلام المباركة الكثير في واقع أمتنا على المستوى الفكري والسياسي والتربوي؛ بدليل افتخار كثير من جهابذة المعتزلة وهم فرسان هذا الميدان باعتزازهم إلى الإمام زيد وقولهم نحن زيدية مع أنهم كما قال بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام: ينظرون إلى سائر الناس بالعين التي تنظر بها الملائكة إلى البشر، ولما حمله الإمام زيد من علم ودين وفضل، وما حصل منه من إصلاح لفكر الأمة، ولما ترك من الأثر اتفقت طوائف الأمة على نصرته، وسعى معظم أو كل الأمة إلى نصرته حتى الخوارج الذين كانوا أبعد الفرق عن أهل البيت عليهم السلام؛ حتى أظهر بعض شعرائهم التحسر على أنه لم يكن ناصرهم من الشراة، وتسابق الفقهاء والزهاد والعباد على معونته؛ منهم من نصره بالفتوى، ومنهم من نصره بنفسه، ومنهم من أمده بالمال، ولو قلنا إن إمامته عليه السلام كانت محل إجماع من يعتد بهم في الإجماع في عصره عليه السلام لما أبعدنا.

وبعد استشهاده عليه السلام تجاذبته طوائف الأمة فادعت السنية أنه سني، وأدعى المعتدلون من الإمامية أنه منهم، وأنه إنما خرج داعياً إلى إمامهم، وهذا يدل على فضله الذي لم يستطع أن يرده صاحب صلاح.

ومن صفاته وعلمه وإجماع أهل البيت عليهم السلام على إمامته أخذ أهل البيت الصفات التي يجب أن تعتبر في الإمام غير المنصوص من أهل البيت عليهم السلام، ومنذ خروجه عليه السلام وأهل البيت المكرمون ينتمون إليه في

الثوابت الرئيسية من دين الإسلام؛ كالعدل، والتوحيد، وصدق الوعد والوعيد، والخروج على الظالم، وكذلك في كثير من مسائل الفقه الفرعية، ولا زلنا في هذا العصر ننعم بالمعارف التي تناقلها عظماء أهل البيت عليهم السلام، وحموها بثوراتهم الفكرية والعسكرية، وناضلوا عنها بالتوضيح والتبيين، وإزالة الشبه، وكبح جماح الباطل، وذلك لئلا تبطل حجج الله وبياناته، والإمام عليه السلام ممن صدق فيه قول جده المصطفى صلى الله عليه وآله «إن عند كل بدعة يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين» فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله عز وجل وقد قال كامل أهل البيت عليهم السلام: العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي، بمعنى أن من رضي بعلي من الناس فهو إلى أهل البيت، ومن لا فلا، ومن رضي بزید بن علي من الشيعة فهو إلى أهل البيت عليهم السلام.

وقد يقول القائل ما سبب ضعف انتشار هذا المذهب الذي هو مذهب أهل البيت ومذهب زيد بن علي عليه السلام وانحصاره في نطاق معين بعكس المذاهب الأخرى؟

فتقول: سببه أن الدول والسياسة كانت ضدهم دون غيره في كل الأوقات والأزمان، ويدل على ذلك ما رواه السيد العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي في كتابه (التحف) من وصية أبي جعفر الدوانيقي العباسي لولده، والواقع يشهد لصحتها.

قال رحمه الله ناقلًا عن صاحب الدامغة: فأما الزيدية فهم صفوة الشيعة، وبطانة أهل البيت؛ الذين عناهم أبو جعفر الدوانيقي في وصيته بقوله: يا بني إنه قد حضرني ما ترى وقد بنيت لك هذه المدينة لم يبن في الشرك ولا في الإسلام مثلها - يعني بغداد - وجمعت من الأموال والأجناد ما لم يجمعه خليفة قبلي، وإني مخلفك في هذه الأمة وهي خمس فرق؛ فرقة تعرف بالمرجئة؛ وهم أصحاب قضاء، وشهادات، فارضخ لهم من دنياك فليس عليك منهم مضرة، ومنهم: فرقة تعرف بالمعتزلة فإن اشتغلوا بالكلام والجدال فخلهم ليس عليك منهم مضرة، ومنهم: فرقة تعرف بالخوارج؛ ولهم مذهب تنفر منهم جميع الأمة، فلا تهتم بهم، ومنهم: فرقة تعرف بالإمامية وينتظرون إماماً معه المعجز يتكلم السيف في يده، وذلك لا يكون، الخامسة: تعرف بالزيدية؛ يرون القيام مع كل من قام من الفاطميين، ويعتقدون ذلك ديناً وفرضاً عليهم؛ فلا يزال همك وشغلك إلا هم، فليس أفة دولتك إلا منهم، فأنفق مالك وأجنادك في أمرهم؛ فهذا ما جعلهم ألد عدو للدول الظالمة، وهي الغالبة في كل العصور.

ولنختم هنا بنقل كلام المولى العلامة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رحمه الله في سبب انتماء أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام حيث قال: ولما ظهرت الضلالات، وانتشرت الظلمات، وتفرقت الأهواء، وتشنت الآراء في أيام الأموية، وإن كان قد نجم الخلاف في هذه الأمة من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها عظمت الفتن، وجلت المحن، في

هذه الدولة، وصار متلبساً بالإسلام من ليس من أهله، وادعاه من لا يحوم حوله، وقام لرخص الدين، وتجديد ما أتى به رسول رب العالمين؛ الإمام زيد بن علي يقدم طائفة من أهل بيته وأوليائهم، وهي الطائفة التي وعد الله الأمة على لسان نبيها ﷺ «أنها لن تزال على الحق ظاهرة تقاتل عليه إلى يوم الدين» ﷺ أعلن أهل البيت صلوات الله عليهم الإعتزاء إلى الإمام زيد بن علي، بمعنى أنهم يدينون الله بما يدينه من التوحيد، والعدل، والإمامة، ليظهروا للعباد ما يدعونهم إليه من دين الله القويم، وصراطه المستقيم، وكان قد أقام الحجة، وأبان المحجة بعد آبائه صلوات الله عليهم، فاختراره علماً بينهم وبين أمة جدهم.

قال الإمام الكامل عبد الله بن الحسن بن الحسن: العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي. وقال ابنه الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية: أما والله لقد أحيا زيد بن علي مادثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوج، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة. انتهى.

فلم يزل دعاء الأئمة ولا يزال على ذلك إن شاء الله إلى يوم القيامة. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وقفات بين يدي الإمام زيد (ع)

بقلم / عبدالمجيد عزيز

يأتي شهر المحرم من كل عام لتتجدد معه أطياف من الذكرى : ذكرى المآسي، ذكرى التضحية، ذكرى الإباء، تأتي كلها في آن واحد فتجتمع العاطفة مع الوعي على ضفاف تلك الأحداث، وتتلاطم مشاعر الحزن مع نبضات العزة، ويسبح شهداء آل محمد في فضاء الزمن الممتد، فيكونون كبوصلة في محيط الذاكرة الإنسانية

يتجهون بها نحو دروب الحقيقة، ويعرّون تلك الثقوب السوداء في صفحات التاريخ الإسلامي المتخفية تحت وميض كاذب ظاهره الإسلام وباطنه الباطل بكل تلابيه . في هذا الموضوع نقف بين يدي الإمام زيد سلام الله عليه وفي رحابه، فتنزاحم الأفكار والكلمات وتختلج المشاعر والأحاسيس والعبيرات، ثم لا ندري أين نقف في تلك الرحاب الواسعة ولا ندري حين نكتب عنها ماذا نضيف ومن أين نبدأ، وماذا عسانا نقول في شخصية ناطقة عبر الزمان، جدّدت قيم الإسلام، وكتبت بالقلم أصفى فكر، وسطرت بالدم أروع تعبير عرفته البشرية، فنجد أنفسنا في حالة عجز حقيقي، لا نستطيع أن نعطي لتلك الشخصية أدنى حقها .

ولكننا سنقف لأننا نحتاج الوقوف بين يديه، نحتاج إلى قيمه ومبادئه، نحتاج إلى علومه وأفكاره التي أنارت ليل الأمة وهدمت أركان الأهواء والضلالات، نحتاج إلى روحه لتعلمنا أخلاقيات الثورة، ومبادئ الحرية، ومفاهيم العدالة، وفنون التضحية والفداء، نحتاج إلى أخلاقه لكي نتعلم منها كيف نصلح أنفسنا ثم نتجه لإصلاح مجتمعاتنا، نحتاجه لأن يعلمنا التطبيق الكامل لقواعد الإسلام بعد أن نعرف منه حقيقة الإسلام كما جاء به جده المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، فقد كانت رسالته ﷺ تتوزع في ثلاثة مسارات رئيسية (التوصيل، التوضيح، التطبيق) فأوصل لنا ذلك الكم الواسع من الأحكام الإلهية والمفاهيم الدينية التي تهدف إلى تنظيم الحياة البشرية والارتقاء بها إن وجدت لها رسوخا في الواقع والتطبيق . وجهد في توضيحها، وعمل على ترسيخ تطبيقها في حياة الأمة المسلمة أفرادا وجماعات حكاما ومحكومين، ثم أصبح هذان المساران الأخيران من بعد النبي ﷺ (التوضيح والعمل على ترسيخ التطبيق) مسؤوليَّة حملتها العترة الطاهرة على عاتقها، هكذا جاء الإسلام: (منظومة كاملة من الأحكام، وتطبيق صحيح كامل لها في كل جوانب الحياة)، وهذا ما عمل الإمام على ترسيخه في واقع الأمة، وسنبداً وقفاتنا في رحاب هذا الإمام الفاضل ونقف بين يديه ثائراً.

فنجده إنسانا عايش قضايا الأمة وسعى لإصلاح أوضاعها وطالب

بحقوقها وانطلقت حركته من واقعها المؤلم، نجده مناضلاً حقوقياً لم يتغاض عن الظلم ولم يصمت على الحاكم الأموي الجائر هشام بن عبد الملك الذي اضطهد الأمة وسلب أموالها وتلاعب بها في الملذات وعطل الحدود ورفع من شأن الباطل واستهتر بالإسلام وبالمقدسات الإسلامية، فشاع في عهده الظلم والفقر والفساد والمجون والانحطاط الأخلاقي والإساءة إلى المقدسات الإسلامية، يقول اليعقوبي في كتابه عن التاريخ متحدثاً عن هشام: (كان بخيلاً، حسوداً، فظاً، غليظاً، ظلوماً، شديد القسوة، بعيد الرحمة، طويل اللسان، وفشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر..). - فبدأ الإمام زيد مسيرته الجهادية بالكلمة ولكن الملك الأموي لم يكن من ذلك النوع الذي يجدي فيه الوعظ والنصيحة، وما كان لحرٍ كزيد أن يقبل بذلك الوضع الذي آل إليه حال الإسلام والمسلمين وكان لا بد من التغيير والخروج لتحقيق العدالة الاجتماعية وتعديل مسار الأمة نحو العمل بروح الإسلام وأحكامه، فاتجه الإمام إلى مرحلة التخطيط والإعداد السري حيث وجه الدعوات إلى علماء الأمة وقادة المجتمع المسلم ممن توسم فيهم النصر، ولأن الأمة تعرف من هو زيد وماذا يحمل زيد من غيرة على الإسلام وأهله، فقد حظيت دعوته بالكثير من الدعم والتأييد الشعبي الواسع من قبل معظم التيارات الإسلامية وعلمائها وهتفت باسمه وبايعت له الكثير من المدن الإسلامية ولكن العيون الأموية كانت له بالمرصاد فاستخدموا كل

الأساليب للحيلولة دون التفاف الناس حوله وأحبطوا ثورته الكبرى التي كان يخطط لها، لكن هذا لم يمنعه من الخروج والكفاح بالقلعة من أنصاره في الكوفة بعد أن تفرق معظمهم تحت ضغط الترهيب الأموي وقبل أن يحين الموعد الذي حدده لخروج أنصاره في باقي الأمصار، خرج وهو يدرك حجم الفروق بينه وبين خصومه من ناحية العدد والعدّة، ولكنه يدرك كذلك بأنه وإن لم يحقق الانتصار العسكري فإنه سيحقق أوامر الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه الظلم والطغيان وهذا هو الانتصار الحقيقي المعنوي، انتصار القيم والأخلاق والعدالة في ضمير الأمة، انتصار الحق على الباطل في نفوس المؤمنين، وهذه كلماته الخالدة تشهد على ذلك حين خفقت الرايات رفع يديه إلى السماء فقال: «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً ﷺ ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنهم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إن أُجِّجت لي نار ثم قُدِّفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى» هذه هي موازين الربح والخسارة التي يجب أن نتعلمها من الإمام زيد ؑ وهذه هي القيم التي يرسمها فقد بذل نفسه رخيصة فداء للإسلام ولأمة الإسلام، وفي مقابل ذلك نجد هشاماً أو من يُسمّى بالخليفة يضحى بقيم الإسلام وبأبناء الإسلام في سبيل المحافظة على فجوره وتسلطه وملذاته، وفي سبيل بقائه على الكرسي، ونعود لصلب موضوعنا

لنوضح كذلك بعض الملامح الإيمانية والحقوقية في حركة الإمام وفي ثورته التي لم تقبل أي شوائب دنيوية حيث نجده يغربل أصحابه بغربال الحق والإيمان وينقي الشوائب من عقولهم وقلوبهم ويعلمهم بأن ثورتهم لا تحمل أي أبعاد دنيوية بل هي أهداف سامية خرج من أجلها، إحياءا لدين الله وتطبيقا لشرعه وانتصارا لقيم الحق والعدل، وهو بذلك لا يريد مقاتلين لم تتضح لهم الغاية الأسمى من خروجهم، بل يريد مجاهدين على بينة ويقين من مواقفهم، ونترك كلماته تتحدث عن مضمونها حين قال : «عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك ففضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالها كمن قتل نفساً بغير حق، عباد الله البصيرة البصيرة».

بين يدي الإمام العالم :

نجد الإمام زيد بن علي الإمام الذي تفجر العلم من جوانبه وفاق كبار علماء الأمة في عصره، وسعى لإصلاح الإنسان المسلم وتحريره من قيود الشهوات، وحمل راية إرشاد وتنوير وهداية امتد أثرها حتى الزمن الحاضر، وتخرج على يديه الجهابذة من أبرز علماء وفقهاء الأمة، وترك موروثاً علمياً وفكرياً عظيماً مازال ماثلاً أمامنا في مؤلفاته ورسائله التي تناول فيها العديد من الجوانب الأصولية والفقهية والحديثية، وأهم مؤلفاته هي (تفسير غرائب القرآن، المجموع الفقهي والحديثي، المجاز في القرآن،

مناسك الحج والعمرة، المنشور في فضائل أمير المؤمنين، كتاب الدعاء، مجموع رسائله وكتبه، وله كذلك خطب ومواعظ وأقوال وأشعار بليغة).

وكذلك نجده فذاً تصدى للأهواء الضالة التي انتشرت في العصر الأموي (وبعضها ماتزال حتى الحاضر) كالجبر ونسبة القبيح إلى الله تعالى وغيرها من الأفكار الفاسدة، وكتب في ذلك كتباً ورسائل فكان الإمام زيد بذلك أول من ألف في علم أصول الدين وأول من أرسى قواعده ومبادئه ورسم خطوطه الأولى لكي يحافظ على الإسلام من الأهواء والبدع، وحدد مسار النهج الزيدي المحمدي القائم على العدل والتوحيد وتنزيه الله تعالى وأهم كتبه في هذا الجانب: (كتاب الإيمان، كتاب القدر، تثبيت الإمامة، تثبيت الوصية، الجواب على المجبرة، وله أجوبة ورسائل أخرى في هذا المجال).

هذا هو الإمام زيد وهذه هي أبرز نقاط حياته وثورته وحركته العامة: **(علم وعمل، إصلاح وهداية، بذل وإخلاص، تضحية وجهاد)** وهذا هو الدين الذي يجب أن نعرفه ونطبقه من خلال دراستنا لحياته، فالإسلام عند الإمام زيد لا يتوقف عند حدود الجغرافيا الفردية في الإيمان والتطبيق ولا يقتصر على الجماعة فقط بل يمتد ليشمل كل جوانب الحياة يشمل الدولة والأمة والعالم أجمع، يشمل العلم مع العمل يشمل الوعي مع التطبيق، يشمل الدين مع الدنيا، هذا هو الإسلام الذي ضحى الإمام زيد وآبأوه من قبله والأئمة من بعدهم سلام الله عليهم، وفي سبيل نشر مفاهيمه الواسعة وتطبيق قواعده الكاملة والتي لا مجال لتقسيمها أو

تجزئتها، ولا مجال للأخذ بالبعض وترك البعض الآخر منها، الإسلام الحركي المثمر، الإسلام الذي يهتم بالعلم ويرفع من شأنه ويترجمه إلى تطبيق وعمل ويسعى لتحرير النفس الإنسانية من قيود الشيطان والشهوات، إلى فضاء الحق الذي يعني التحرر من الخوف وعدم الخضوع للباطل، الإسلام الذي يرتبط بآل محمد سفن النجاة، ويعطيهم مكانتهم ولا ينتقص منهم، الإسلام الذي يعايش قضايا الأمة ويسعى لتنظيم حياتها وإصلاح أوضاعها، ويسعى إلى توحيدها على الحق لا الباطل، الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدفع الظلم وقيم العدل ويزيل الفساد ويعيد الحقوق المغتصبة، هذه هي الحقيقة الكاملة غير المنقوصة للزيدية كما رسمها الإمام زيد والأئمة من قبله وبعده، والتي يجب أن نراها رؤية كاملة غير مجزأة لأن البعض يرى نصفها أو بعضها ويتوقف عند تلك الرؤية ليبنى مواقف وأفعال حماسية تتعارض أحياناً مع النصف الآخر أو الأجزاء المتبقية لتلك الحقيقة فيكون بذلك أحد المعاول التي تعمل على هدم الحق وإخفائه، فلم تكن الزيدية عملاً بدون علم ولم تكن علماً بدون عمل، وفي حياة الإمام زيد وسيرته من الدلالة والوضوح ما يكفي لمن أراد أن يستشعر منهجه وثقافته وجهاده، ليكون له شرف الانتماء وصدق المتابعة.

مُحتَوَاتُ الْكِتَابِ

٣ المقدمة
١٥ حليف القرآن وثورة المبادئ والقيم
١٥ المحور الأول الشخصية القرآنية
١٧ حليف القرآن
١٧ شهادات بفضل الإمام زيد (ع) وعلاقته بالقرآن
١٩ الإمام زيد (ع) ومرجعية القرآن
٢١ دعوته (ع) إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم
٢٣ المحور الثاني الإمام زيد (ع) ومكمن الداء والدواء في إصلاح الأمة
٢٤ مكانة العلماء مرتبطة بهداية الناس إلى النجاة
٢٤ العلماء المتخاذلون شركاء المجرمين في جرائمهم
٢٦ علماء السوء كرسي يجلس عليه المجرمون
٢٨ المحور الثالث القيم والمبادئ في ثورة الإمام زيد (ع)
٢٨ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٠ إصلاح الأمة هدف لا بد أن يسعى لتحقيقه كل مؤمن
٣١ الأخلاق العسكرية
٣٢ الثورة ليست انتقاماً
٣٣ الثورة عهد بالتغيير الإيجابي
٣٤ الروح الجهادية
٣٧ مفهوم الرافضة وثورة الإمام زيد (ع)
٤٥ إضاعات معاصرة من ثورة الإمام زيد (ع)
٤٥ الموقف من الإساءة إلى النبي
٤٦ السعي لتحقيق التوزيع العادل للثروة

- ٤٧ مواجهة سياسة الإذلال
- ٤٨ الاختلاف المذهبي ليس مبرراً للعود
- ٤٩ مسؤولية أهل البيت الجهادية
- ٥٠ ضرورة كسر الأصنام الفكرية
- ٥٠ عناوين الرفض وشعاراته الواهية
- ٥١ البصيرة لا العصبية
- ٥٢ الأعداء والنيل من المصلحين
- ٥٢ تحريف مفهوم القيادة
- ٥٤ الكيد والفجور السياسي
- ٥٤ خذلان القيادة سبب للهزيمة العسكرية
- ٥٥ الهزيمة العسكرية لا تعني الهزيمة الكلية
- ٥٦ أبرز الأهداف التي حققتها ثورة الإمام زيد :
- ٥٧ البرنامج السياسي الذي قدمه الإمام زيد في ثورته:
- ٦١ **زيد بن علي بن الحسين إمام عِلْمٍ وقائدُ ثورةٍ**
- ٦٦ كلمة لمحبي الإمام زيد (ع):
- ٧١ **الإمام زيد...شرعية الخروج وأهداف الثورة**
- ٧٢ شرعية خروج الإمام زيد وأسباب ثورته:
- ٧٤ من أهداف ثورة الإمام زيد:
- ٧٧ **الإمام زيد عليه السلام .. عِلْمٌ وجهاد**
- ٧٧ المرحلة العلمية
- ٧٨ إحياء المدرسة العلمية
- ٨٠ إعادة القرآن إلى واقع الأمة
- ٨١ تصحيح مفهوم السنة النبوية ..

٨٤ المرحلة الجهادية ..
٨٤ الخروج على الظالم
٨٧ استنفار الشعب ..
٨٩ الإمام زيد (ع) وملامح الاقتصاد الإسلامي
٩٢ مقدمة أهمية النظام الاقتصادي الإسلامي
٩٥ المحور الأول أسس النظام الاقتصادي الإسلامي
٩٨ وسائل توزيع الثروة ..
١٠٠ الإسلام والمشكلة الاقتصادية ..
١٠٢ الربا وتركيز رأس المال ..
١٠٣ التخلص من الربا :
١٠٧ المحور الثاني معالجة الفقر
١٠٨ ١- الثورة على الحاكم الظالم ..
١٠٩ ٢- الإصلاح الإداري ..
١١٠ ٣- الاستفادة من الموارد المالية ..
١١٣ ٤- التكسب ..
١١٤ ٥- الاستثمار الشرعي ..
١٢٢ المراجعة في البنوك الإسلامية
١٢٥ خاتمة
١٢٧ الإمام زيد (ع) عنوان للوحدة الإسلامية
١٢٨ على القرآن اعتماده
١٢٩ بالقرآن شخّص داء الأمة ووصف دواءها
١٣٠ ثورته ثقافية قبل أن تكون عسكرية
١٣١ استنهض العلماء ضمن ثورته الثقافية
١٣٢ الخروج على الظالم

- ١٣٣..... ملامح منهجه الوحدوي
- ١٣٩..... الإمام زيد والزيدية بين الهوية الأصيلة والأمواء الوافدة
- ١٤٧..... البعد الاجتماعي في ثورة الإمام زيد بن علي (ع)
- ١٤٧..... مقدمة:
- ١٤٩..... تمهيد
- ١٤٩..... استئثار الأمويين بالأرض الخراجية
- ١٥٢..... تطورات الوضع الاجتماعي المتحكّم عبر الأشراف والأموال
- ١٥٥..... انعكاس الحالة الاجتماعية على برامج ثورات ذلك العصر
- ١٥٦..... المال شهوة هشام بن عبد الملك
- ١٥٨..... الفئات المسحوقة هي الأكثر تضرراً
- ١٥٩..... استطار الشرر حتى بالأشراف
- ١٦٠..... لؤم الحاكم السياسي المتعصب
- ١٦١..... رفض إسلام أهل الذمة
- ١٦٢..... العصية العربية ومعضلة الموالي
- ١٦٥..... العلم والموالي
- ١٦٦..... انتصار عمر بن عبدالعزيز للمبدأ الإسلامي
- ١٦٧..... انعكاس الأوضاع الاجتماعية على برنامج ثورة الإمام زيد
- ١٦٨..... أثر المبادئ الإسلامية في الثورات ضد الأمويين
- ١٦٩..... دلالة مشاركة الفئات المجتمعية البسيطة في الثورة
- ١٧٢..... الخاتمة
- ١٧٥..... لماذا كان الإمام زيد (ع) حليف القرآن؟
- ١٨٣..... أهم المنطلقات الثورية الرسالية في رسالة الإمام زيد (ع) إلى علماء الأمة
- ١٨٥..... لمحة عن أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى ثورة الإمام زيد (ع):

- أدوات التغيير وأسلوب المعالجة: ١٨٦
- أهم الملامح في حياة وفكر الإمام زيد بن علي (ع) ١٩٩
- أهم الملامح في حياة الإمام زيد ٢٠٠
- ثورة الفكر والمفاهيم لدى إمام الأئمة ٢١٥
- ١- مفهوم الولاية: ٢١٧
- ٢- مفهوم الإسلام الصحيح: ٢١٧
- ٣- مفهوم طاعة ولي الأمر: ٢١٨
- ٤- مفهوم حاكمية الأثر على كلام خالق القوى والقُدْر: ٢٢١
- ٥- مفهوم الكثرة والقلة: ٢٢١
- ٦- العقائد الباطلة: ٢٢٢
- ٧- مفهوم الولاء والبراء: ٢٢٣
- خاتمة ٢٢٤
- دلالات وصية الإمام زيد (ع) قبيل استشهاده لابنه يحيى ٢٢٥
- تمهيد ٢٢٥
- نص الوصية ٢٢٦
- دلالات الوصية ٢٢٧
- الدلالة الأولى: المنطلق القرآني سر الثبات والتفاني ٢٢٨
- الدلالة الثانية: توازي عظمة التضحيات مع سمو الهدف ٢٣١
- الدلالة الثالثة: استمرار الخط الجهادي استراتيجية التغيير ٢٣٢
- الدلالة الرابعة: قيادة الأمة هي الفاعلة في الميدان والمهمة بمستقبل الأمة ٢٣٤
- الدلالة الخامسة: البصيرة ضمانة الاستمرار في خط الجهاد ٢٣٤
- الدلالة السادسة: المصير الأخروي هو معيار النتائج ٢٣٦
- خلاصة ٢٣٨

- عندما تتور الكلمات قراءة أولية في شعر الإمام زيد بن علي (ع) ٢٣٩
- مقومات الوحدة الإسلامية عند الإمام زيد ٢٤٧
- تمهيد: ٢٤٧
- مفهوم الوحدة الإسلامية عند الإمام زيد: ٢٤٩
- أهم عوامل سعي الإمام زيد نحو تحقيق الوحدة الإسلامية ٢٥٠
- مآسي ماضية دامية قبل ميلاده الشريف: ٢٥٠
- ظروف نشأته (ع): ٢٥١
- أولاً: الإصلاح السياسي:- ٢٥٤
- ثانياً: الإصلاح الديني والعقائدي: ٢٥٧
- ثالثاً: إصلاح علماء الأمة:- ٢٥٩
- ملاحم من ثورة الإمام زيد (ع) الفكرية ٢٦١
- وقفات بين يدي الإمام زيد (ع) ٢٧١
- بين يدي الإمام العالم: ٢٧٥

والله لو ددت ان يدي ملصقة بها فأقع
إلى الارض أو حيث اقع فأتقطع قطعة
قطعة وان الله أصلح بين أمة محمد
صلى الله عليه وآله

الإمام زيد بن علي «ع»

